رحيل العالم الشيخ : أبو محمد صلاح بن محمد بن عرفات

إنا لله وإنا إليه راجعون

الحمد للّه الذي لا يحمد على مكروه سواه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه نبينا محمد وآله وصحبه ومن ولاه :

إنا للّه وإنا إليه راجعون ، اللهم اجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها .. يحزن القلب وتدمع العين .. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا جل وعلا .

إنه في يوم الثلاثاء ١٨ شوال ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠/١/٢٥م فجعت بنبأ وفاة شقيقي وشيخي وحبيب قلبي الذي أنقذني اللّه به من الغواية إلى الهداية ، ومن البدعة إلى السنة ، ومن الجهل إلى العلم ، وهكذا كان لكثير من شبابنا ، شقيقي أبو محمد صلاح بن محمد بن عرفات الذي كان مصباحًا يضيء لكثير من الشباب طريق الوصول إلى اللّه جل وعلا ؛ مدرس الحديث بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة ، أحيا اللّه على يديه عقائد سلفية كانت قد ماتت ، ومناهج دعوية كانت قد حرفت ، خاصة في منطقتنا وغيرها من البلاد ، غير أنه كان مجهولاً لدى كثير من الناس ، فإنه كان يعمل الأعمال ولا يحب الذكر ، لعل اللّه أن يتقبلها منه قبولاً حسنًا ، فأسأل اللّه جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يتغمده بواسع رحمته ، اللهم ارفع درجاته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله وبارك يا رب العالمين ، اللهم افسح له في قبره ، ونور له فيه واجعله روضة من رياض الجنة ، ولا تحرمه أجر أعماله .

أما عن أعماله العلمية فمعظمها كانت شفوية من تدريس عقائد وحديث وفقه ولغة عربية ، وكان لا يميل إلى الكتابة والتصنيف ، غير أنه شارك في إعداد أكبر موسوعة لأخلاق النبي ﷺ : ((موسومة نضرة النعيم)) ، وكان يشارك في تخريج تفسير ابن كثير ولم يتم بعد ، وما نحن وغيرنا ممن صنف وكتب إلا حسنة من حسناته .

فاللّه أسأل أن يكتب له ما قدم وآثاره الباقية ، وأن يبارك في ذريته ويخلف علينا ببعضهم ليحمل راية العلم والدعوة من بعده ، وأن يرزقه الفردوس الأعلى من الجنة ، وأن يلهمنا جميعًا الصبر على فقده .

والحمد للّه رب العالمين .

وكتب : مجدي بن عرفات

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

أما الرجل الثاني الذي التقيت به وكان يزعم أنه يجتمع يقظة بالخضر عليه السلام ، فقد كان أمره أكثر عجبًا ، وكان يحكي لنا كيف كانت بدايته مع الخضر ، حيث جاءه في المرة الأولى وأجرى له عملية جراحية في عينيه أصبح بعدها قادرًا على أن يتعامل مع الخضر ، ولما كثرت صحبتي لهذا الرجل الذي كان يعمل طبيبًا في ذلك الوقت ، واطمئن إلى أنني أثق فيه صَارَحَني يومًا بإحدى كراماته التي وقعت على يديه ، وكانت دهشتي بالغة حين صارحني أنه ارتكب أقبح الفواحش طاعة لخاطر ورد على قلبه ، ألقاه عليه من يسميه الخضر ، فقطعت صلتي به ، وانتهت علاقتي به ، ومنعته من حضور الحضرات ، وحذرت الناس من التعامل معه ، دون أن أصرح لهم بما صارحني به .

وقد أثارت أفعال هذين الرجلين وأحوالهما فضولي الشديد للمعرفة ودراسة الأمر برمته ، وقد بدأت هذه الدراسة منذ عقدين من الزمان ، وتشعبت وتنوعت وتعمقت حتى عقدت النية على التصدي لهذه القضية . واللّه وحده من وراء القصد ، وعليه التوكل والاعتماد .

الإعلام بسير الأعلام

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

حواريّ رسول اللّه ﷺ وابن عمته صفية ، ابن العوام بن أسد بن عبد العزى ، عالم المدينة أبو عبد اللّه القرشي الأسدي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة الذين جمعهم القائل في قوله :

وإذا قيل مَن في العلم سبعة أبحر رواياتهم عن العلم ليست بخارجة
فقل هم عبيد اللّه عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجة

- **مولده** : ولد سنة ثلاث وعشرين - قال الذهبي : وهو قول قوي - وقيل : ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان .
- حدَّث عن أبيه بشيء يسير ، وعن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وعن خالته عائشة أم المؤمنين ، ولازمها وتفقه بها وعن غيرهم .
- وحدَّث عنه أبناؤه يحيى وعثمان وهشام ومحمد ، وعنه أبو سلمة بن عبد الرحمن وابن شهاب وصفوان بن سليم وأبو الزناد وخلق كثير غيرهم .
- **سعة علمه** : قال هشام بن عروة عن أبيه : ما ماتت عائشة حتى تركتها-قبل ذلك بثلاث سنين . اهـ .
- قلتُ : أي حوى ما عندها من علم قبل وفاتها بثلاث سنين .
- قال الزهري : كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة صدق عندي حديث عمرة حديث عروة ، فلما تبحرتهما إذا عروة بحر لا تكدره الدلاء .
- وقال هشام : واللّه ما تعلمنا جزءًا من ألفي جزء أو ألف جزء من حديث أبي .
- قال الزهري : سألت ابن صُعير عن شيء من الفقه فقال : عليك بهذا ، وأشار إلى ابن المسيب فجالسته سبع سنين لا أرى أن عالِمًا غيره ، ثم تحولت إلى عروة ففجرتُ به ثُبَج بحر .

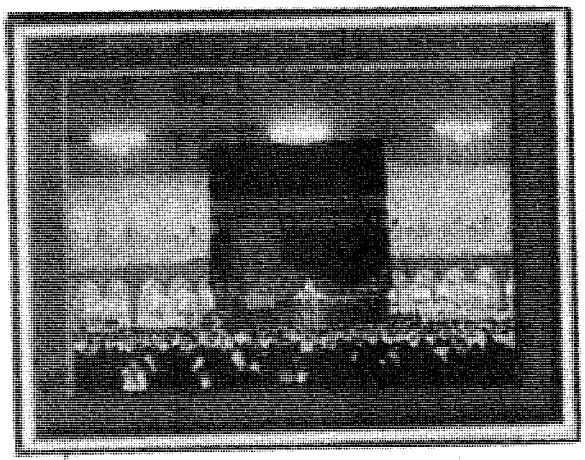

الحلقة الأولى

عروة بن الزبير (أحد الفقهاء السبعة)

● قال عمر بن عبد العزيز : ما أجد أعلم من عروة بن الزبير ، وما أعلمه يعلم شيئًا أجهله .

● وقال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن (ابن عوف) : دخلت مع أبي المسجد فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل ، فقال أبي : انظر من هذا ، فنظرت فإذا هو عروة ، فأخبرته وتعجبت ، فقال : يا بني لا تعجب ، لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه .

● **ثناء العلماء عليه** : قال هشام بن عروة : ما سمعت أحدًا من أهل الأهواء يذكر عروة إلا بخير .

● قال ابن سعد : كان عروة ثقة ثبتًا مأمونًا كثير الحديث فقيهًا عالمًا .

● قال العجلي : عروة بن الزبير تابعي ثقة ، رجل صالح ، لم يدخل في شيء من الفتن .

● **من أحواله وأقواله** : عن هشام عن أبيه أنه كان يقول لنا ونحن شباب : ما لكم لا تطعمون إن تكونوا صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم ، وما خير الشيخ أن يكون شيخًا وهو جاهل ، لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول : لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته ، ولقد كان يبلغني عن الصحابي الحديث فآتيه فأجده قد قال[1] فأجلس على بابه ، ثم أسأله عنه .

● قال الزهري : كان عروة يتألف الناس على حديثه .

● قال ابن شوذب : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون يأكلون ويحملون .

● قال هشام بن عروة : خرج عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك ، فخرجت برجله آكلة فقطعها ، وسقط ابن له عن ظهر بيت فوقع تحت أرجل الدواب فقطعته، فأتاه رجل يعزيه فقال: بأي

(١) (قال) أي : نام في وقت القيلولة .

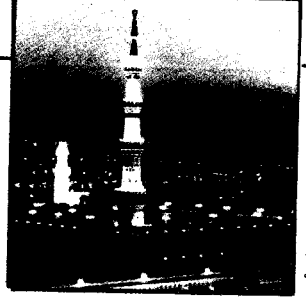

شيء تعزيني ؟ ولم يدر بابنه ، فقال له رجل : ابنك قطعته الدواب ، قال : وايم الله لئن كنت أخذت لقد أعطيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ، وقال : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ .

● وعن عبد الله بن عروة قال : نظر أبي إلى رجله في الطست ، فقال : إن الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط وأنا أعلم ، وقال عروة :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

● قال ابن خلكان : كان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال : والله ما بك حاجة إلى المشي ولا أرب في السعي وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض إن شاء الله ، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء من علمك ورأيك ، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك .

● قال أبو الزناد : اجتمع في الحجر مصعب وعبد الله وعروة بنو الزبير وابن عمر فقالوا : تمنوا ، فقال عبد الله : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا فأتمنى إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وأما ابن عمر فقال : أتمنى المغفرة ، فقالوا : ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له .

● قال عروة : يا بَنِي ، هلموا فتعلموا العلم ، فإن أزهد الناس في عالم أهله ، وما أشده على امرئ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله .

● وقال أيضًا : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، وإن السيئة تدل على أختها .

● وقال : ما حدثت أحدًا بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ذلك ضلالة عليه .

● قال هشام بن عروة : إن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم .

● قال عروة : ربَّ كلمة ذَلّ احتملتها وأورثتني عزًا طويلا .

● **وفاته** : مات سنة ثلاث وتسعين وهو ابن سبع وستين سنة . رحمه الله ورضي عنه .

الإعلام بسير الأعلام

أحد فقهاء التابعين بالمدينة[1]

عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

ابن مسعود الإمام الفقيه مفتي المدينة وعالمها وأحد الفقهاء السبعة أبو عبد الله الهذلي جده عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهما .

❋ **مولده** : ولد في خلافة عمر أو بعدها .

❋ **ثناء العلماء عليه** : قال العجلي : كان أحد فقهاء المدينة ، ثقة رجلاً صالحًا جامعًا للعلم ، وهو معلم عمر بن عبد العزيز .

قال أبو زرعة الرازي : ثقة مأمون .

قال الزهري : كان أبو سلمة يسأل ابن عباس ، وكان يخزن عنه ، وكان عبيد الله يُلطفه ، فكان يعزُّه عزًّا (أي يتحفه بالعلل) .

وقال أيضًا : ما جالست أحدًا من العلماء إلا أرى أني قد أتيت على ما عنده ، وقد كنت اختلف إلى عروة بن الزبير حتى ما كنت أسمع منه إلا مُعادًا ما خلا عبيد الله فإنه لم آته إلا وجدت عنده علمًا طريفًا . وقال : كان عبيد الله بحرًا من بحور العلم .

وقال : أدركت أربعة بحور من قريش : سعيد بن المسيب ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير .

قال أبو نعيم : أحد الأربعة البحور ، المواصل الراوح بالبكور ، المنابذ للدنيا خيفة الغرة والعثور .

قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عبيد الله حيًا ما صدرت إلا عن رأيه ، ولوددت أن لي يومًا من عبيد الله بكذا وكذا .

قال ابن حبان : من سادات التابعين .

قال الطبري : كان مقدمًا في العلم بالأحكام والحلال والحرام ، وكان مع ذلك شاعرًا مجيدًا .

وقال ابن عبد البر : أحد الفقهاء العشرة ثم السبعة الذين تدور عليهم الفتوى ، وكان عالمًا فاضلاً مقدمًا في الفقه تقيًا شاعرًا محسنًا ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا - فيما علمت - فقيه أشعر منه ولا شاعر أفقه منه .

قال ابن القيم : كان المُفتون بالمدينة من التابعين : ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وخارجة بن زيد ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وهؤلاء هم الفقهاء ، وقد نظمهم القائل فقال :

وإذا قيل في العلم سبعة أبحر
روايتهم عن العلم ليست بخارجه
فقل لهم عبيد الله عروة قاسم
سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وكان من أهل الفتوى أبان بن عثمان وسالم بن عبد الله ، ونافع ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعلي بن الحسين .

❋ **من أحواله وأقواله** :

كتب إلى عمر بن عبد العزيز :

بسم الذي أنزلت من عنده السور
والحمد لله أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يُسر به
إلا سيتبع يومًا صفوه كدر

قال مالك : كان ابن شهاب يأتي عبيد الله ، وكان من العلماء فكان يحدثه ، ويستقي هو له الماء من البئر وكان عبيد الله يطول الصلاة ولا يعجل عنها لأحد . قال : فبلغني أن علي بن الحسين جاءه وهو يصلي ، فجلس ينتظره وطوّل عليه فعوتب عبيد الله في ذلك وقيل : يأتيك ابن بنت رسول الله ﷺ فتحبسه هذا الحبس ، فقال : اللهم غفرًا ، لا بد لمن طلب هذا الشأن أن يُعنَى .

❋ **وفاته** : مات رحمه الله سنة ثمان وتسعين . وقيل : تسعة وتسعين . رحمه الله ورضي عنه .

وإلى اللقاء في العدد القادم - إن شاء الله تعالى - مع ثالث الفقهاء السبعة (القاسم بن محمد) .

تنبيه : مصادر هذه التراجم كثيرة أشهرها : « طبقات ابن سعد » ، و« حلية الأولياء » ، و« سير أعلام النبلاء » ، و« تذكرة الحفاظ » ، و« تهذيب الكمال » وغيرها . ولا نحب الإطالة بذكر موضع كل قول في بطونها . والله أعلم .

الإعلام بسير الأعلام

القاسم بن محمد

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

القاسم بن محمد ابن خليفة رسول اللّه ﷺ أبي بكر الصديق ، الإمام القدوة الحافظ الحجة ، عالِم وقته بالمدينة .

مولده : ولد في خلافة علي رضي اللّه عنه ، وربي في حجر عمته أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها ، وتفقه منها وأكثر عنها . أمه أم ولد يقال لها سودة .

ثناء العلماء عليه :

* قال ابن سعد : كان ثقة عالمًا رفيعًا فقيهًا إمامًا ورعًا كثير الحديث .

* قال يحيى بن سعيد : ما أدركنا بالمدينة أحدًا نفضله على القاسم .

* قال مالك : كان من فقهاء هذه الأمة .

* قال أبو الزناد : ما رأيت أحدًا أعلم بالسنة من القاسم بن محمد ، وما كان الرجل يعد رجلاً حتى يعرف السنة ، وما رأيت أحدّ ذهنًا من القاسم ، إن كان ليضحك من أصحاب الشبه كما يضحك الفتى .

* قال ابن معين : عبيد اللّه بن عمر عن القاسم عن عائشة ترجمة مشبّكة بالذهب .

* قال البخاري : حدثنا علي حدثنا سفيان حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه ...

* قال يحيى القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر منهم القاسم .

من أحواله وأقواله :

* قال أيوب : ما رأيت رجلاً أفضل منه ، ولقد ترك مائة ألف وهي له حلال .

* قال ابن الزبير : ما رأيت أبا بكر ولد ولدًا أشبه به من هذا الفتى (يعني القاسم) .

* قال ابن إسحاق : رأيت القاسم بن محمد يصلي فجاء أعرابي فقال : أيكما أعلم أنت أم سالم ؟ فقال : سبحان اللّه ، كلٌّ سيخبرك بما علم ، فقال : أيكما أعلم ؟ قال : سبحان اللّه ، فأعاد ، فقال : ذاك سالم انطلق فسله ، فقام عنه ، قال ابن إسحاق : كره أن يقول : أنا أعلم فيكون تزكية ، وكره أن يقول : سالم أعلم مني فيكذب ، وكان القاسم أعلمهما .

* قال مالك : كان ابن سيرين قد ثُقل وتخلف عن الحج ، فكان يأمر من يحج أن ينظر إلى هدي القاسم ولَبُوسه وناصيته فيبلغونه ذلك فيقتدي بالقاسم .

* وقال مالك أيضًا : أتى القاسم أمير من أمراء المدينة فسأله عن شيء فقال : إن من إكرام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

* وقال أيضًا : كان القاسم قليل الحديث قليل الفتيا ، وكان يكون بينه وبين الرجل المداراة في الشيء فيقول له القاسم : هذا الذي تريد أن تخاصمني فيه هو لك ، فإن كان حقًّا فهو لك فخذه ولا تحمدني فيه ، وإن كان لي ، فأنت منه في حل وهو لك .

* وقال يحيى : ما أشد علي أن تسأل عن الشيء لا يكون عندك وقد كان أبوك إمامًا ، قال : إن أشد من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله أن أفتي بغير علم أو أروي عن غير ثقة .

* قال يحيى بن سعيد : سمعت القاسم يقول : لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خيرٌ له من أن يقول ما لا يعلم . وقال : إنا والله ما نعلم كل ما تسألون عنه ، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حل لنا أن نكتمكم .

* قال يحيى بن سعيد : كان القاسم لا يكاد يعيب على أحد ، فتكلم ربيعة يومًا فأكثر ، فلما قام القاسم قال وهو متكئ عليّ : لا أبًا لغيرك أتراهم كانوا غافلين عما يقول صاحبنا - يعني عما يقول ربيعة برأيه .

* قال عكرمة بن عمار : سمعت القاسم وسالمًا يلعنان القدرية (الذين يقولون : لا قدر ، أو يقولون : إن الله لم يُقَدّر الشر كما قدر الخير) .

* قال خالد بن أبي بكر : رأيت على القاسم عمامة بيضاء قد سدل خلفه منها أكثر من شبر .

* قال الذهبي : قيل كان يخضب رأسه ولحيته بالحناء ، وكان قد ضعف ، وقيل : كان يصفر لحيته ، وقيل : إنه مات بقديد ، فقال : كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها ، قميصي ورداني ، هكذا كفن أبو بكر ، وأوصى أن لا يُبنى على قبره .

وفاته : مات - رحمه الله - سنة سبع ومائة ، وقيل : خمس ومائة ، وقيل : ست ومائة .

وإلى اللقاء في العدد القادم - إن شاء الله تعالى - مع رابع الفقهاء السبعة (سعيد بن المسيب) .

* * *

فضيحة كوفي عنان !!

ترشيح إسرائيل لجائزة نوبل للسلام !!

تلقى المراقبون بشيء من الغرابة تصريح الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان عن عزمه ترشيح إسرائيل لجائزة نوبل للسلام إثر انسحابها من الجنوب اللبناني ، فهل كان الأمين العام ينطلق من قناعة أممية دفعته إلى اختيار هذا المرشح المتميز بتنفيذ القرارات الدولية ! والخضوع لمبادئ السلام الدولي ؟ أم أنه يأتي في إطار سعي الغرب الدائم نحو تلميع صورة إسرائيل لدى الرأي العام الدولي ، ولا سيما أن اثنين من قادة إسرائيل المشهورين بالمذابح والمجازر الفلسطينية ، وهما مناحيم بيغن ، وإسحاق رابين قد حصلا على الجائزة من قبل !!

ترى كيف يجرؤ الأمين العام على ترشيح إسرائيل للجائزة الدولية في السلام وهي لا تزال تماطل في تنفيذ قرارات دولية صادق عليها مجلس الأمن ومن ضمنها قراري ٢٣٨ و٢٤٢ واستمرارها في احتلال الأراضي السورية في الجولان ، وتمارس انتهاكات وخروقات أمنية يومية في الجنوب اللبناني !!

وعلى الصعيد الداخلي تستمر إسرائيل في تجاهل الاتفاقيات الدولية والمعاهدات الرسمية مع الفلسطينيين كما تحتجز مئات الأسرى الفلسطينيين دون محاكمة وتمارس سياسة التفريغ والإحلال ، وزرع المستوطنات في المناطق الفلسطينية ، وتعمل على تهويد القدس رغم القرارات الدولية الداعية إلى إبقاء الأمور على حالها قبل الاحتلال الإسرائيلي .

ولذلك يحق للمتابعين أن يتساءلوا هل طبقت إسرائيل القرار الدولي رقم ٤٢٥ القاضي بانسحابها من الجنوب اللبناني لذاته أم انسحبت مكرهة على هذا القرار بفعل المقاومة اللبنانية الباسلة !!

● ● ●

وختم خطبته الأولى فقال: معاشر السادة : لنا فيمن يموتون أمامنا عبرة ، ولنا في النظر الى القبور عبرة ، ولنا في انتقال رسول اللّه ﷺ أقرب الخلق الى اللّه عبرة وذكرى ، فاتقوا اللّه وأحسنوا العمل يطيب اللّه نفوسكم ويرفع مقامكم وينصركم على عدوكم.

ثم قال في الخطبة الثانية: أيها الاخوة الكرام الأعزاء ، أيها الجمع المبارك ، أيها الرجال المحبون اجتمعنا اليوم لنودع أخًا عزيزًا كريمًا حبيبًا إلى قلوبنا ، لنودع داعية مخلصًا مجاهدًا في سبيل دعوة الحق ، نحسبه كذلك واللّه حسيبه نراه يجول ينطلق يؤدي دعوة اللّه في ربوع الأرض بقلم طاهر يكتب وبلسان صادق يترجم وبعقل نيّر رشيد يوجه وبقلب مخلص بإخلاص يؤدي نحسبه كذلك وأن اللّه حسبه ما قرأنا في كتبه إلا أحسسنا بإخلاصه وما سمعنا صوته يدوي بدعوة الإسلام إلا وحسبناه صادقًا ، إنه الآن أصبح في رحاب ربه .. إننا لا نبكي عليه كإنسان مات ، ولكن نبكي على أثره الصالح وعلى عمله المبارك الذي يؤديه يسهر الليل وينطلق بالنهار محبًا لدعوته منظمًا لرجاله وإخوانه .. إننا نبكي على هذه الخسارة ، ولكن الدمعة التي نبكيها ليست دمعة ضيق وكرب وكآبة وعدم رضا باللّه والعياذ باللّه ، ولكن إنها دمعة رحمة ، إنها الدمعة التي خرجت من عين رسول اللّه ﷺ وهو يودع ولده إبراهيم ويقول: « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، وإنا لا نقول إلا ما يرضي اللّه » ، فنحن لا نملك إلا أن نقول : إنا للّه وإنا إليه راجعون .

اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيرًا منها .

ملف خاص

وفاة علم من أعلام الدعوة

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

الحمد للّه الذي لا يُحمد على مكروه سواه ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، قال له ربه جل وعلا : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ، وإنا للّه وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنا في مصيبتنا ، واخلفنا خيرًا منها :

إن تبق تُفجع بالأحبة كلّهم
وفناء نفسك لا أبالك أفجع

في ليلة الجمعة ١٨/٨/٢٠٠٠م فجعت بنبأ وفاة علم من أعلام الدعوة ، فكانت الليلة من أطول الليالي التي مرت عليَّ ؛ لأنه كما قال الحسن البصري : (موت العالِم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار) .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن اللّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء » ، فها نحن نودع العلم شيئًا فشيئًا ، بتوديع العلماء والدعاة إلى اللّه .

هذا الرجل الذي عرفته عالمًا حازمًا حليمًا ، أعظم شيء بهرني فيه عقله ، الذي كان يحلل الأحداث تحليلاً عجيبًا ، قدّمته لإلقاء محاضرة مرةً فقلت : من الناس من تستفيد منه علمًا ،

ومنهم من تستفيد منه حلمًا ، ومنهم من تستفيد منه حلمًا وعلمًا وشيخنا منهم . قال ابن المبارك :

أيها الطالب علمًا
ايت حماد بن زيد
فاستفد حلمًا وعلمًا
ثم قيده بقيد
لا كثور وكجهم
وكعمرو بن عبيد

فكان الشيخ رحمه اللّه رحمة واسعة يعلّم العقيدة الصحيحة ويذب عنها ، ولا شيء يدل على ذلك أكثر من مجلة التوحيد التي أمسك بزمامها قائدًا لها نحو عشر سنين ، فظهرت الدعوة الصحيحة ، وافتتح مقالاته بعد رئاستها بمقالٍ فذٍّ بعنوان : (هذه عقيدتنا وهذا منهجنا) عقيدة السلف الصالح ، عاش عليها ولها ، ونافح عنها ، وذبّ بكل ما استطاع من قول باللسان وكتابة بالقلم عن هذه العقيدة ، مات وهو في طريق الدعوة إليها .

فأسأل اللّه أن يبعثه عليها تحت لواء صاحبها ﷺ ، وأن يكتب له بكل خطوة خطاها وكلمة ألقاها وكلمة نشرها حسنات ، ويمحو عنه سيئات ، ويرفعه في الجنة درجات ، اللهم ارفع درجاته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه ، واخلف علينا بمن يقوم بما قام به ، إنك على كل شيء قدير ، والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

صفوت الشوادفي .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾ [البقرة : ١٥٥، ١٥٦] .

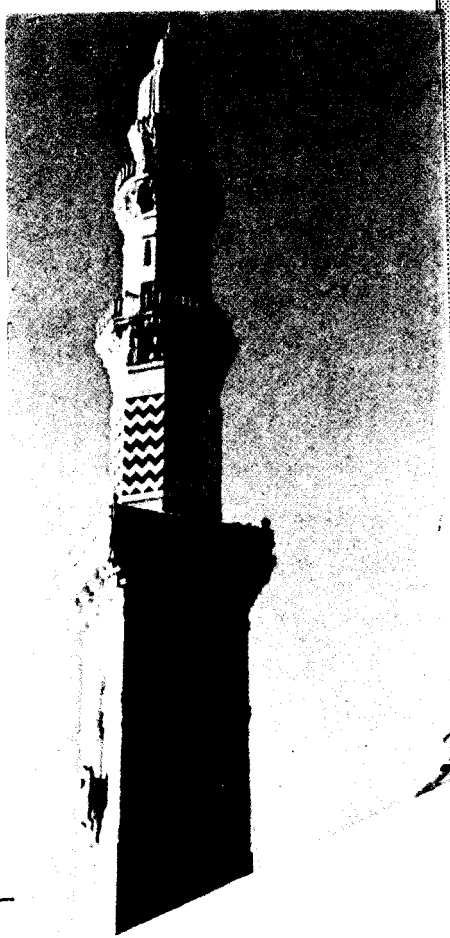

الإعلام بسير الأعلام

سعيد بن المسيب

أحد الفقهاء السبعة

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

❋ **اسمه** : سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزُوم بن يَقظَة ، أبو محمد القرشي المخزومي ، الإمام العلم ، عالِم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه .

❋ **مولده** : ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي اللّه عنه ، وقيل : لأربع مضين منها بالمدينة . رأى عمر وسمع عثمان وعليًّا وزيد بن ثابت وأبا موسى وسعدًا وعائشة ، وغيرهم .

روى البخاري في « صحيحه » (الأدب ، باب اسم الحزن) : أن النبي ﷺ قال لجده حزن : « ما اسمك ؟ » قال : حزن ، قال : « أنت سهل » . فقال : لا أغير اسمًا سمانيه أبي ، قال سعيد : فما زالت تلك الحزونة فينا بعد (أي غلظة وقساوة) .

❋ **شيوخه** : رأى عمر وسمع عثمان وعليًّا وزيد بن ثابت وأبا موسى وسعد بن أبي وقاص وعائشة وأبا هريرة وابن عباس ومحمد بن سلمة ، وخلقًا سواهم ، وقيل : إنه سمع من عمر .

وروى في الصحيحين عن علي وسعد وعثمان وأبي موسى وعائشة وأم شريك وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وحكيم بن حزام وعبد اللّه بن عمرو وأبيه المسيب وأبي سعيد ، وفي « صحيح مسلم » عن حسان بن ثابت وصفوان بن أمية ومعمر بن عبد اللّه ومعاوية وأم سلمة .

❋ **الرواة عنه** : روى عنه خلق كثير ؛ منهم عطاء الخراساني ، وعبد الكريم الجرزي ، وعلي بن جدعان ، وعمرو بن شعيب ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن مرة ، وقتادة ، وأبو جعفر الباقر ، والزهري ، ومحمد بن المنكدر ، وميمون بن مهران ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وبشر كثير .

❋ **من أحوال سعيد** : قال رحمه اللّه : ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

قُلْتُ : هكذا كان العمل عندهم مع العلم .

❋ قال يزيد بن حازم : كان سعيد يسرد الصوم .

❋ قال سعيد : إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .

❋ قال عمران بن عبد اللّه بن طلحة الخزاعي : كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفًا عطاؤه ، وكان يدعى إليها فيأباها ، ويقول : لا حاجة لي فيها حتى

يحكم اللّه بيني وبين بني مروان .

❋ قال له الزهري : لو تبدّيت[1] وذكرت له العبادة وعيشها والغنم ، فقال : كيف بشهود العتمة - يعني العشاء .

❋ وقال عمران : حج عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ، فأتاه الرسول وقال : أجب أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال : ما لأمير المؤمنين إليَّ حاجة ، وما لي إليه حاجة وإن حاجته لي لغير مقضية ، فرجع الرسول فأخبره ، فقال : ارجع فقل له : إنما أريد أن أكلمك ولا تحركه ، فرجع إليه فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فرد عليه مثل ما قال أولاً ، فقال : لولا أنه تقدم إليّ فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك ، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ، فقال : إن كان يريد أن يصنع بي خيرًا فهو لك ، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحُلّ حَبوتي حتى يقضي ما هو قاض ، فأتاه فأخبره ، فقال : رحم اللّه أبا محمد أبى إلا صلابة .

❋ قال قتادة : أتيت سعيد بن المسيب وقد ألبس تُبان شعر وأقيم في الشمس (يعني في محنته) ، فقلت لقائدي : أدنني منه ، فجعلت أسأله خوفًا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون .

❋ قال عمران بن عبد اللّه : زوج سعيد بن المسيب بنتًا له من شاب من قريش ، فلما أمست قال لها : شدّي عليك ثيابك

واتبعيني ، ففعلت ، ثم قال : صلّي ركعتين ، فصلت ، ثم أرسل إلى زوجها ، فوضع يدها في يده ، وقال : انطلق بها ، فذهب بها ، فلما رأتها أمه قالت : من هذه ؟ قال : امرأتي ، قالت : وجهي من وجهك حرام إن أفضيت إليها ، حتى أصنع بها صالح ما يصنع بنساء قريش ، فأصلحتها ثم بنى بها .

❋ **من أقوال سعيد** : قال رحمه اللّه : ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء ، وقال - وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى -: ما شيءٌ أخوف عندي من النساء .

❋ قال : لا تقولوا : مُصيحف ولا مُسيجد ، ما كان للّه فهو عظيمٌ حسنٌ جميلٌ .

❋ قال : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطي منه حقه ويكف به وجهه عن الناس .

❋ وقال : من استغنى باللّه افتقر الناس إليه .

❋ قال بُرد مولاه : ما رأيت أحسن ما

---

(١) تبديت : أي انتقلت إلى (الصحراء) ، وتركت الاختلاط بالناس .

يصنع هؤلاء ، قال سعيد : وما يصنعون ؟ قال : يصلي أحدهم الظهر ثم لا يزال صافًا رجليه حتى يصلي العصر ، فقال : ويحك يا بُرد ، أما واللّه ما هي بالعبادة ، إنما العبادة التفكر في أمر اللّه والكف عن محارم اللّه .

❋ قال يحيى بن سعيد : سُئل سعيد بن المسيب عن آية ، فقال : لا أقول في القرآن شيئًا ، قال الذهبي : ولهذا قلّ ما نقل عنه في التفسير .

❋ وقال : كان سعيد يكثر أن يقول في مجلسه : اللهم سلّم سلّم .

❋ **ذكر هيئته ولباسه** : قال عبيد بن نسطاس : رأيت سعيد بن المسيب يعتم بعمامة سوداء ثم يرسلها خلفه ، ورأيت عليه إزارًا وطيلسانًا وخفين ، وكان يصفر لحيته ، وكان يلبس السراويل .

❋ **ثناء العلماء عليه** : عن نافع أن ابن عمر ذكر سعيد بن المسيب فقال : هو واللّه أحد المفتين .

❋ وقال قتادة ومكحول والزهري وآخرون - واللفظ لقتادة -: ما رأيت أعلم من سعيد بن المسيب .

❋ قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أحدًا أوسع علمًا من ابن المسيب ، هو عندي أجلّ التابعين .

❋ قال أحمد بن حنبل : مرسلات سعيد بن المسيب صحاح ، وكذا قال الشافعي وغير واحد .

❋ قال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب .

❋ وقال سليمان بن المسيب : كان سعيد أفقه التابعين .

❋ قال أبو زرعة : مدني ، قرشي ، ثقة ، إمام .

❋ وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل من سعيد بن المسيب .

❋ وقال قتادة : ما جمعت علم الحسن إلى علم أحد إلاّ وجدت له فضلاً عليه ، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيب يسأله .

❋ **مرضه ووفاته** : قال عبد الرحمن بن حرملة : دخلت على سعيد بن المسيب وهو شديد المرض وهو يصلي الظهر وهو مستلق يومئ إيماءً ، فسمعته يقرأ بـ ﴿ الشمس وضحاها ﴾ .

❋ قال عبد الرحمن بن الحارث : اشتد وجع سعيد ، فدخل عليه نافع بن جبير يعوده فأغمي عليه ، فقال نافع : وجّهوه ، ففعلوا ، فأفاق فقال : من أمركم أن تحوّلوا فراشي إلى القبلة ؛ أنافع ؟ قال : نعم . قال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة واللّه لا ينفعني توجيهكم فراشي .

❋ قال زرعة بن عبد الرحمن : قال سعيد بن المسيب : يا زرعة ، إني أشهدك على ابني محمد لا يُؤذنن بي أحدًا ، حسبي أربعة يحملوني إلى ربي ولا تتبعني صائحة تقول فيّ ما ليس فيّ .

❋ **وفاته** : توفي رحمه اللّه سنة أربع وتسعين ، وفيها مات عدة من الفقهاء ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : خمس وتسعين ، والأول أصح .

واللّه أعلم .

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

أبو بكر بن عبد الرحمن

أحد الفقهاء السبعة

بقلم الشيخ : مجري عرفات

❋ **اسمه** : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه كنيته .

❋ **مولده** : ولد في خلافة عمر رضي اللّه عنه ، وقد استصغر يوم الجمل .

❋ **شيوخه** : روى عن أبيه وعمار بن ياسر وأبي مسعود الأنصاري وعائشة وأم سلمة وأبي هريرة ونوفل بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الرحمن بن مطيع وأبي رافع مولى النبي ﷺ وأسماء بنت عميس وغيرهم .

وروى عنه مجاهد وعمر بن عبد العزيز والشعبي وعمرو بن دينار والزهري وعكرمة بن خالد وعبد اللّه بن كعب وعبد الواحد بن أيمن وخلق كثير .

❋ **ثناء العلماء عليه** : قال ابن سعد : كان يقال له : راهب قريش ؛ لكثرة صلاته .

قال الواقدي : كان ثقة فقيهًا عالمًا سخيًا كثير الحديث .

وقال العجلي : تابعي ثقة .

قال ابن خراش : هو أحد أئمة المسلمين هو وإخوته يضرب بهم المثل .

قال الزبير بن بكار : هو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وكان يسمى الراهب ، وكان من سادات قريش .

قال الذهبي : كان ممن جمع العلم والعمل والشرف ، وكان ممن خلف أباه في الجلالة . وكان والده عبد الرحمن بن الحارث من كبار التابعين وأشراف قومه يوصف بالعقل والفضل ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وما علمت له صحبة ، له رواية في صحيح البخاري .

❋ **من أحواله** : قال أبو داود : كان إذا سجد يضع يده في طشت ماءٍ من علةٍ كان يجدها .

قال الشعبي : عن عمر بن عبد الرحمن أن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يفطر ، فدخل عليه ابنه وهو مفطر ، فقال : ما شأنك اليوم مفطر ؟ قال : أصابتني جنابة فلم أغتسل حتى أصبحت فأفتاني أبو هريرة أن أفطر ، فأرسلوا إلى عائشة يسألونها ، فقالت : كان النبي ﷺ تصيبه الجنابة فيغتسل بعدما يصبح ، ثم يخرج رأسه يقطر فيصلي بأصحابه ، ثم يصوم ذلك اليوم .

❋ **وفاته** : روى الواقدي عن عبد اللّه بن جعفر المخرمي : صلى أبو بكر بن عبد الرحمن العصر فدخل مغتسله فسقط ، فجعل يقول : واللّه ما أحدثت في صدر نهاري هذا شيئًا فما علمت أن الشمس غربت حتى مات ، وذلك في سنة أربع وتسعين بالمدينة ، وكان يقال لها : سنة الفقهاء ؛ لكثرة من مات منهم ، وقيل : سنة خمس وتسعين .

تحذير الخواص والعوام

تحذير : قد حذر النبي ﷺ من الحديث عنه إذا لم يثبت ، فقال ﷺ : « من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ معقده من النار » . [رواه البخاري] .

وقال ﷺ : « من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبَين » . [صحيح . رواه مسلم في المقدمة] .

وإليك بيان الأحاديث :

◉ « إذا كان أول ليلة في شهر رمضان نظر الله عز وجل إلى خلقه ، وإذا نظر الله عز وجل إلى عبده لم يعذبه أبدًا ، ولله عز وجل في كل ليلة ألف ألف عتيق من النار » . **موضوع** . [رواه الضياء وغيره عن أبي هريرة] .

◉ « إن الله ليس بتارك أحدًا من المسلمين صبيحة أول يوم من شهر رمضان إلا غفر له » . **موضوع** . [الخطيب ، وابن الجوزي ، عن أنس] .

◉ « إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي ، فإنه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشي إلا كانت نورًا بين عينيه يوم القيامة » . **ضعيف جدًا** . [الطبراني ، والدارقطني ، والبيهقي ، عن خباب] .

◉ « رأيت رسول الله ﷺ ما لا أحصي يستاك وهو صائم » . **ضعيف** . [أحمد] .

◉ « أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمة قبلهم ، خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك - هذا المعنى ثابت في الصحيح - وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله عز وجل كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك ، ويصفد فيه مردة الشياطين - هذا المعنى ثابت في الصحيح - فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة » . قيل : يا رسول الله ، أهي ليلة القدر ؟ قال : « لا ، لكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله » . **ضعيف** . [البزار ، عن أبي هريرة] .

◉ « صائم رمضان في السفر كالمفطر في الحضر » . **منكر** . [ابن ماجه ، والضياء عن عبد الرحمن بن عوف] .

◉ « صوموا تصحوا » . **ضعيف جدًا** . [الطيالسي ، وأبو نعيم في الطب ، عن أبي هريرة] .

◉ « من فطر صائمًا في رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل ، ومن يصافحه جبريل يرق قلبه وتكثر دموعه » . قال رجل : يا رسول الله ، فإن لم يكن ذاك عنده ؟ قال : « قبضة من طعام » . قال : أرأيت إن لم يكن ذاك عنده ؟ قال : ففلقة خبز ، قال : « أفرأيت إن لم يكن ذاك عنده ؟ » قال : « فمذقة من لبن » ، قال : أفرأيت إن لم يكن ذاك عنده ؟ قال : « فشربة من ماء » . **ضعيف** . [ابن عدي ، عن سلمان] .

◉ « تسحروا ولو بشربة ماء ، وأفطروا ولو على شربة من ماء » . **موضوع** . [ابن ماجه ، عن علي] ، وقد ثبت المعنى : « تسحروا فإن في السحور بركة » [ابن ماجه ، عن أنس] .

◉ « الصيام جنة ، ما لم يخرقها بكذب أو غيبة » . **ضعيف جدًا** . [ابن عدي ، والطيالسي ، عن أبي هريرة] .

من أحاديث ضعيفة تتعلق بشهر الصيام

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

◉ « ليتقه الصائم » ؛ يعني الكحل . منكر - [أبو داود ، والبيهقي ، عن معبد بن هوذة] .

◉ « إن هاتين صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتها تأكلان لحوم الناس » . ضعيف . [أحمد ، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ] .

◉ « من أدرك رمضان بمكة ، فصام وقام ما تيسر له كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه ، وكتب الله له بكل يوم عتق رقبة ، وكل ليلة عتق رقبة ، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله ، وفي كل يوم حسنة ، وفي كل ليلة حسنة » . موضوع . [ابن ماجه ، عن ابن عباس] .

◉ « من أدرك رمضان وعليه من رمضان شيء لم يقضه لم يتقبل منه ، ومن صام تطوعًا وعليه من رمضان شيء لم يقضه فإنه لا يتقبل منه حتى يصومه » . ضعيف . [أحمد ، والطيالسي ، عن أبي هريرة] .

◉ « الصائم في عبادة ، وإن كان راقدًا على فراشه » . ضعيف . [مسند الفردوس ، عن أنس] .

◉ « قالت عائشة رضي الله عنها : كان لا يمس من وجهي شيئًا وأنا صائمة » . منكر . [ابن حبان عن عائشة] . وهذا يخالف ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يقبل بعض أزواجه وهو صائم .

◉ « كان يحب أن يفطر على ثلاثة تمرات أو شيء لم تصبه النار » . ضعيف ، ولكن معناه ثابت من حديث أنس : « كان يفطر على رطبات ، أو تمرات ، أو حسوات » .

◉ « من أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله ، وإن صامه » . ضعيف . [أحمد ، عن أبي هريرة] .

◉ « شهر رمضان أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وأخره عتق من النار » . منكر ، أو ضعيف جدًّا . [العقيلي ، وابن عدي ، عن أبي هريرة] .

◉ « خمس تفطر الصائم وتنقض الوضوء : الكذب ، والغيبة والنميمة ، والنظر بالشهوة ، واليمين الفاجرة » . موضوع . [مسند الفردوس ، عن أنس] .

◉ حديث ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : رأيت الهلال ، قال : « أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ؟ » قال : نعم ، قال : « يا بلال ، أذن في الناس فليصوموا غدًا » . ضعيف . [أبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه] .

◉ « لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » . منكر بهذا التمام : « أخروا السحور » . [أحمد ، عن أبي ذر] ، لكن تأخير السحور ثابت من غير هذا الوجه .

◉ إذا أفطر قال : « اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم » . ضعيف . [الدارقطني ، وابن السني ، والطبراني ، عن ابن عباس] . ولا يثبت في هذا الباب حديث ؛ أي الذكر عند الإفطار .

◉ « إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد » . ضعيف . [ابن ماجه ، وابن السني ، والحاكم في المستدرك ، عن عبد الله بن عمرو] .

◉ « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى

يفطر ، والإمام العادل ، والمظلوم » . ضعيف .

◉ « عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو كافر حلال الدم : شهادة أن لا إله إلا اللّه ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان » . ضعيف . [ابن ماجه ، عن ابن عباس] .

◉ « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » . ضعيف . [أحمد ، والبيهقي ، عن أنس] .

◉ « شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ، ولا يرفع إلى اللّه إلا بزكاة الفطر » . ضعيف . [الخطيب ، عن أنس] .

◉ حديث سلمان الطويل : « قد أظلكم شهر عظيم ... » حديث منكر .

◉ « رجب شهر اللّه ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أمتي » . موضوع . [ابن الجوزي في الموضوعات] .

◉ « من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، وإن استقاء فعليه القضاء » . [أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة ، والصحيح أنه موقوف] .

◉ « الغنيمة الباردة الصوم في الشتاء » . ضعيف ، [أحمد عن عامر بن مسعود] .

◉ « لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون السنة كلها ... » موضوع . [أبو يعلى ، والبيهقي في الشعب ، عن ابن مسعود] .

إعلام الأخلاء .. إلى أدب مجالسة العلماء

بقلم الشيخ : أسامة علي سليمان
إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام

الحمد للّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

فإن اللّه عز وجل قد رفع العلماء في كتابه الكريم ، ومن رفعه اللّه لا ينبغي لأحد أن يضعه .

يقول اللّه سبحانه : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

ومن هذه الرفعة : إن مجالسة العلماء لها آداب ينبغي على طالب العلم خاصة والناس عامة أن يراعوها ، في زمن تأخر فيه العلماء ، وتصدر فيه السفهاء .

يقول أبو هلال العسكري في الحث على طلب العلم : جعل الحكماء منزلة العلماء مثل منزلة الملوك ، فقالوا : من أدب الداخل على العالم أن يسلم على أصحابه عامة ، ويخصه بالتحية ، ويجلس قدامه ، ولا يشير بيده ، ولا يغمز بعينه ، ولا يقول بخلاف قوله ، ولا يغتاب عنده أحدًا ، ولا يسار في مجلسه ، ولا يلح عليه إذا كَلَّ ، ولا يعرض عن كلامه ، فإنه

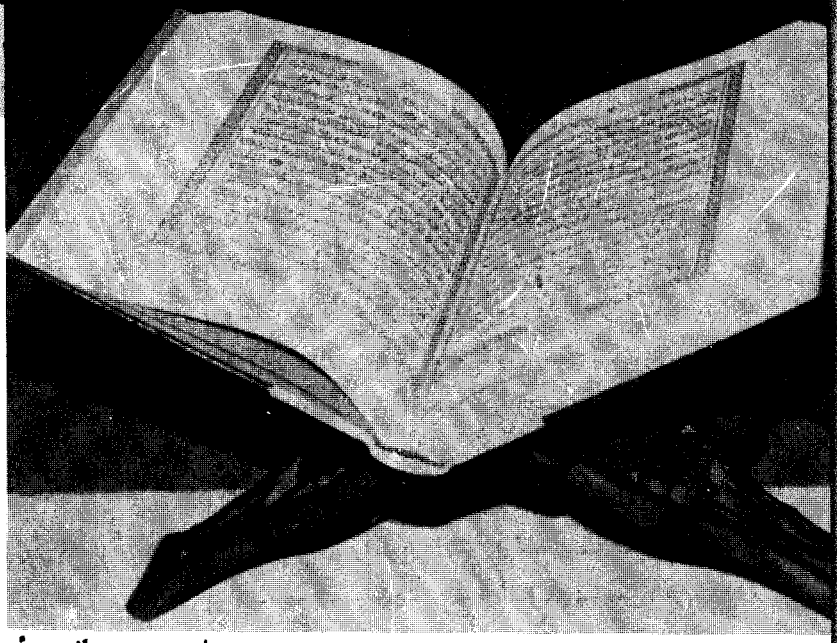

مضى رمضان وقبله أعوام ، ومضى يوم وقبله أيام ، وأنتم أيها الصائمون القائمون التالون للقرآن الذاكرون للرحمن ، كنتم في رمضان هذه أحوالكم ، ثم ماذا بعد رمضان ؟ أتتركون الصيام ؟ أتتركون القيام ؟ أتتركون قراءة القرآن ؟ أتهجرون مجالس الذكر التي كنتم روادها ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، اصبروا على الطاعات ، وصابروا وجاهدوا النفس والشيطان ورابطوا على الطاعات التي كنتم عليها ، فمن كان في رمضان صابرًا عن الطعام والشراب أيعجز عن هجران المعاصي والمحرمات ؟ ومن كان يقوم من الليل بإحدى عشرة ركعة أيعجز عن ركعتين في جوف الليل ؟ كان يقرأ القرآن في رمضان ليلاً ونهارًا وسرًا وجهارًا ، أيعجز عن قراءة القرآن ولو مرة كل شهر ؟ رابطوا على تلك الطاعات ، فقد قال رسول اللّه ﷺ : « ألا أدلكم على ما يمحو اللّه به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ » قالوا : بلى يا رسول اللّه ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة إلى الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » . رواه مسلم من حديث أبي هريرة ، فقد عدّ النبي ﷺ الحفاظ على تلك الطاعات رباطًا ؛ لأنه جهاد ضد أعدى الأعداء ، وهو الشيطان الذي توعدنا بالحرب والمكر والكيد ، ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

ثم ماذا بعد رمضان ؟!

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

الحمد للّه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .. وبعد :

وفي مر السنين لنا فناء
ونحن نحب أن تفنى الشهور
ويعجبنا زوال اليوم عنا
وفي غده تُسد بنا القبور
نسير إلى المنايا والمنايا
إلينا غير وانية تسير
فلا المغتر تتركه المنايا
لغرته ولا الحذر النفور

خَلْفِهِم وعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧] ، يقول ربنا جل وعلا مخاطبًا النبي ﷺ وأمته من بعده : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] أي : كن ثابتًا على العبادة واستمر عليها حتى الموت ولا تغير ولا تبدل أمرًا كنت عليه من الطاعات ، وإن كان قليلاً . قال رسول الله ﷺ : « عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا ، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه » . رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقد نهانا الله عز وجل أن نكون على هذه الحال من نقض العهد وخلف الوعد مع الله في الطاعات التي كنا عليها ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ .. ﴾ [النحل : ٩١، ٩٢] .

وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن كان على أمر أحكمه يعود عليه فينقضه ، ويقال : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئًا نقضته بعد انبرامه ، فلا تمل طاعة كنت عليها ، فإن هذا الملال والترك للطاعة التي كنت عليها تشبه بأهل الكتاب . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] ، أي : لا تكونوا مثل أهل الكتاب الذين ملوا الطاعة ، لا تتشبهوا بهم ، فإنه من تشبه بقوم فهو منهم ، ولكن آن لكم أن تخشع قلوبكم وتلين للطاعات . يقول ابن مسعود رضي الله عنه : لم يكن بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله عز وجل بهذه الآية إلا أربع سنين . رواه مسلم .

وقد سمع هذه الآية رجل كان ماجنًا قاطعًا للطريق وهو فضيل بن عياض فتاب من لحظته ، فقد روى الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٨/٤٢٣) عن الفضل بن موسى قال : كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورْد وسَرْخس ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية ، فبينا هو يرتقي الجدار إليها إذ سمع تاليًا يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ ، فلما سمعها قال : بلى يا رب ، قد آن ، فرجع ، فآواه الليل إلى خَرِبةٍ ، فإذا فيها سابلة(*) ، فقال بعضهم : نرحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا ، قال : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني ، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع ، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام . اهـ .

وقد كان هذا الرجل التائب يلقب بعابد الحرمين ؛ لاستمراره على العبادة وثباته على الطاعة ، ونحن ألم يأن لنا أن تخشع قلوبنا وترق ، وتخضع أبداننا لله بالطاعة والثبات عليها ، فلا تملوا طاعة كنتم عليها ، وهذا رسول الله ﷺ يقول لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » . رواه البخاري ومسلم .

فإياكم أن تكونوا كهذا الذي ترك قيام الليل ، أو تتركوا قراءة القرآن ، فإن الرسول ﷺ يشكونا إذا هجرنا تلاوته . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ، وهجر القرآن هو هجر تلاوته ، وهجر تدبره ، ﴿ أَفَلاَ

(*) سابلة : أبناء السبيل .

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ، وهجر عمل وهو أشده ؛ لأن القرآن ما نزل إلا للعمل به واتباع أحكامه في كل صغيرة وكبيرة ، بهذا نكون من أهل القرآن ، كما قال النبي ﷺ : « يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما ». رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان.

فبالعمل نكون من أهل القرآن الذين يدافع عنهم القرآن ، وبالقراءة ندخل في شفاعته ، كما قال ﷺ : « اقرءوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » . رواه مسلم من حديث أبي أمامة .

واستمر على الصيام الذي فيه الفضائل الجمة بعد هذه الاستطاعة التي كانت في رمضان وخاصة النوافل التي حث عليها النبي ﷺ مثل الست من شوال ، وصيام الإثنين والخميس ، والأيام البيض الثلاثة : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر ، وصيام عاشوراء وقبله تاسوعاء ، وصيام يوم عرفة ، وقبله أيام العشر من ذي الحجة ، وهكذا عليك أن تستفيد من هذه الدروس الأساسية التي كنت عليها في رمضان من الصيام والقيام والقراءة ، ودرس الصبر ، وهو من أعظم الدروس التي يستفيدها الصائم من رمضان . نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال ، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في الطاعات ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

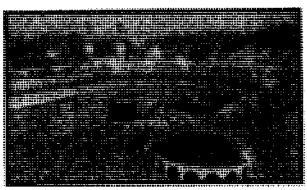

من بدع شهر شوال

بقلم : السيد كشك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فقد حثنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ على اتباع السنة ، ونهيانا عن الابتداع في الدين . قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال النبي ﷺ : « ... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . [رواه أحمد (١٢٦/٤) ، وأبو داود (٤٦٠٧)] .

فالبدع - أخي المسلم - من معاول الهدم في بنيان الإسلام ، ومن الأمراض التي تفتك بجسد الأمة الإسلامية ، التي لم تترك عضوًا منها إلا وأصابته ، كما أخبر النبي ﷺ : « إنه سيخرج في أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » . [رواه أحمد (١٠٢/٤) ، وأبو داود (٤٥٩٧)] ، ولذلك نذكر :

○ ○ أولاً : بعض الآثار الواردة في شهر شوال :

- قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان فشهر بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بعد الفطر فذلك تمام صيام السنة » . [رواه أحمد (٢٨٠/٥) ، وابن ماجه (٥٤٧/١)] .
- وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ، فترك الاعتكاف ذلك الشهر ، ثم اعتكف عشرًا من شوال . [رواه البخاري (٢٧٥/٤) ، ومسلم (٨٣١/٢)] .
- وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما : يوم فطركم من صيامكم ، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم . [رواه البخاري (٢٣٨/٤، ٢٣٩) ، ومسلم (٧٩٩/٢)] .
- وقدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ، فقال : « إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم خيرًا منهما : يوم الفطر ، ويوم النحر » . [رواه أحمد (١٠٣/٣) ، وأبو داود (٦٧٥/١)] .

وكبا الجواد!!

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن والاه ، اللهم أجرنا في مصيبتنا ، واخلف لنا خيرًا منها .

وربك ما الرزية فقد مالٍ
ولا شاةٍ غوث ولا بعير
ولكن الرزية فقد فذٍّ
يموت بموته بشر كثير

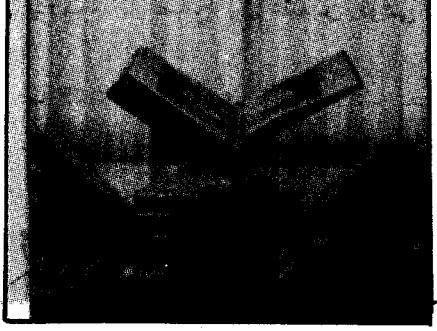

وهكذا تتوالى حصوننا في الزوال ، حصونٌ بها نتحصن من مكايد المبتدعة ، وندرأ بأقوالهم في نحور أعداء السنة ، خرّ حصن من تلك الحصون ، وكبا جواد من تلك الجياد التي كانت تعادي في مضمار الدعوة والتعليم ونشر السنة وقمع البدعة ؛ ذلك هو شيخنا : محمد بن صالح بن عثيمين ، ذلك العلم الفذ ، الفقيه ، النبيل ، اللغوي ، المدقق ، الأُصولي ، المحقق ، الذي رأيته فرأيت فيه علم العلماء الكبار ، وزهد الزهاد الأوائل ، وتواضع العُبّاد ، جلست بين يديه في حلقات العلم بالطائف ومكة المكرمة وبلدته عنيزة التي استنارت من علومه ، فرأيت فيه المعلم المخلص في تعليمه ، الحريص على إبلاغ كل ما يقول لكل جالس ، فتجده يسأل هذا ، وينبه ذاك ، ويجيب السائل على مسألته وزيادة ، يجيبه بجواب الفقيه ، وما أحلى مسائله ، تأمل في دقة تعبيراته وكثرة تفريعاته وفوائده التي يستنبطها من كل ما يقرأ ، وما أخلص نصائحه لطلبة العلم خاصة ، وللمسلمين عامة في لزوم السنة والجماعة وترك البدعة والفرقة ؛ امتثالاً لأمر الله جل وعلا : ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، (الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب) ، ونرى الجماعة حقًا وصوابًا ، والفرقة زيغًا وعذابًا ، كما هو مدون في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد كان - عليه رحمة الله - داعيةً وإمامًا من أئمتهم ، وله في ذلك اليد الطولى في شرح كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، التي أسست قواعد أهل السنة بفهم سلف الأمة ، وله في العقيدة كتب كثيرة ، أعظمها كتاب « القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه

الحسنى » ، الذي كان فردًا في بابه ، ولم ينسج على منواله ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وأخلف علينا بمن يقوم مقامه .

● فيا معشر المسلمين وطلاب العلم : العلماء يموتون ، وأنتم لا تعتبرون !! مضى ابن باز ، ثم الألباني ، وثالث أئمتنا ابن عثيمين يلحق بهم في كوكبة غيرهم من العلماء ، وحق لنا أن نتمثل بقول القائل :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلدِ الأجرب

فاللهم ارحم علماءنا ، من مات منهم ، وبارك فيمن بقي منهم ، واشف مرضاهم ، وشيخنا مقبل بن هادي - حفظه الله - وسدد من يدعو إلى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

فيا معشر العلماء وطلاب العلم : الرباط .. الرباط على هذا الثغر الذي تركه لكم هؤلاء .

اللهم ارحم شيخنا ابن عثيمين ، وارفع درجاته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

☆☆☆

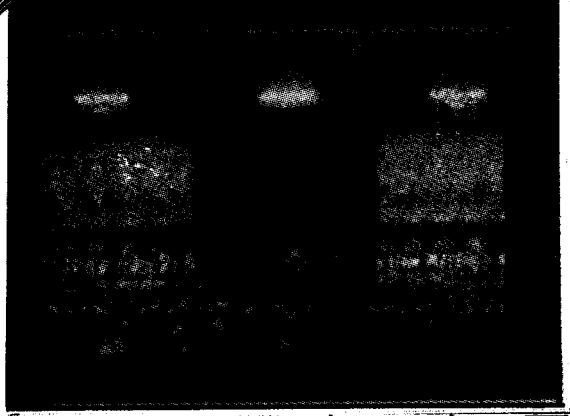

وقضى العالم الرباني نحبه

بقلم الشيخ : مصطفى العدوي

لقد تصدعت قلعة من قلاع العلم العتيدة بمدينة عزيزة بالقصيم بذهاب عالمها ، وفقيهها ، ومفسرها ، ورجل الأصول فيها ، وهو الشيخ الفاضل محمد بن صالح بن عثيمين ، ولله الأمر من قبل ، ومن بعد .

لقد أرّف رحيل مئات الأسر ، وطلاب العلم عن بلاد القصيم بفراق هذا الشيخ الجليل رحمه الله . لقد ذكرتني وفاة الشيخ رحمه الله ، بمقالة ابن عباس في زيد بن ثابت رضي الله عنه لمّا مات زيد - وزيد بن ثابت هو الذي تتبع القرآن ؛ فجمعه ، وكان أيضًا من أعلم الصحابة بالفرائض - فإذا بابن عباس يقول بعد دفنه رضي الله عنه : هكذا ذهاب العلم ، لقد دُفن اليوم علم كثير .

وحقًا فلقد دُفن مع الشيخ رحمه الله علمٌ كثير ، نسأل الله أن يعوض المسلمين خيرًا .

تقدمت فيها القلوب على الأقدام ، وسبقت الأرواح فيها الأشباح ، وسالت الدموع من هذه الجموع .

بكاه العلماء والعامة ، وحزن عليه الشيوخ والشباب ، أحدث رحيله ثلمة وفراغًا في العلم والفتوى ، والبر والتقوى ، تبكيه قلوب التفت حوله والتقت به في حلقات الدروس والتحصيل ومجالس الوعظ والتوجيه ومنابر الدعوة والخطب ، ومع عظيم اللوعة وألم الفراق فإن لله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفًا من كل فائت ، ودركًا من كل ذاهب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وإن من أعظم ما يعزى به أهل الإسلام ويخفف مصابهم في فقد علمائهم ، أن الله سبحانه بفضله ورحمته قد حفظ على هذه الأمة دينها ، وفضله سبحانه ليس مقصورًا على بعض العباد دون بعض ، ولا محصورًا في عصر دون عصر ، بل إنه سبحانه يقيم في كل فترة من الزمن أئمة عدولاً من كل خلف أمناء مخلصين ، علماء مصلحين ينفون عن دين الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، يدعون إلى الهدى ، ويذبُّون عن الحمى ، ويصبرون من العمى ، ويصبرون على الأذى ، فليس حفظ دين الله مقصورًا على ما حفظ ويحفظ في بطون الصحف والكتب ، ولكنه بإيجاد من يبينه للناس في كل وقت وعند كل حاجة ، فلله الحمد والمنة .

رحم الله شيخنا وأحسن منقلبه ، وأجزل مثوبته ورفع في العليين درجته ، وعفا عنا وعنه ، وأصلح عقبه وذريته ، وعوض المسلمين عنه خيرًا ، ووفق علماءنا وسددهم وأحسن إليهم ، وزادهم فضلاً وتوفيقًا وإحسانًا ، وأدام النفع بهم ، إنه خير مسئول وأكرم مأمول . وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

● ● ● ●

الإعلام بسير الأعلام

سليمان بن يسار

أحد الفقهاء السبعة

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

□ **اسمه** : سليمان بن يسار أبو أيوب الهلالي مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية ، المدني ، أخو عطاء بن يسار ، وقيل : كان مكاتبًا لأم سلمة .

□ **مولده** : ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه .

□ **شيوخه** : روى عن زيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وحسان بن ثابت وجابر بن عبد الله ورافع بن خديج وابن عمر وعائشة وأم سلمة وميمونة وأبي رافع مولى النبي ﷺ وحمزة بن عمرو الأسلمي والمقداد بن الأسود - وفي سماعه منه نظر - وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، كما روى عن عروة بن الزبير وكريب .

- وروى عنه أخوه عطاء ، والزهري ، وبكير بن الأشج ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن ميمون بن مهران ، وربيعة الرأي ، وأبو الزناد ، وصالح بن كيسان ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وخلق سواهم .

□ **ثناء العلماء عليه** : قال الزهري : كان من العلماء .

وقال أبو الزناد : كان ممن أدركت من فقهاء المدينة وعلمائهم ممن يُرضى ويُنتهى إلى قولهم :

سعيد بن المسيب ، وعروة ، والقاسم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وخارجة بن زيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسليمان بن يسار ، في مشيخة أجلةٍ سواهم من نظرائهم أهل فقه وصلاح وفضل .

وقال الحسن بن محمد بن الحنفية : سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب .

وقال سعيد بن المسيب لرجل : اذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلم من بقي اليوم .

قال مالك : كان سليمان بن يسار من علماء الناس بعد سعيد بن المسيب ، وكان كثيرًا ما يوافق سعيدًا ، وكان سعيد لا يجترئ عليه .

قال الذهبي : وكان من أوعية العلم ، بحيث إن بعضهم قد فضله على سعيد بن المسيب .

قال ابن معين : سليمان ثقة .

وقال أبو زرعة : ثقة مأمون فاضل عابد .

وقال النسائي : أحد الأئمة .

وقال ابن سعد : كان ثقة عالمًا رفيعًا فقيهًا كثير الحديث .

قال قتادة : قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالطلاق ، فقيل : سليمان بن يسار .

□ من أحواله : قال أبو الزناد : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر ، وكان أخوه عطاء يصوم يومًا ويفطر يومًا[1] .

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : قَدِم علينا سليمان بن يسار دمشق ، فدعاه أبي إلى الحمّام وصنع له طعامًا وكان أبوه يسار فارسيًا .

وقال الواقدي : ولي سليمان سوق المدينة لأميرها عمر بن عبد العزيز .

روى أبو نعيم في « الحلية » بإسناده إلى أبي حازم قال : خرج سليمان بن يسار خارجًا من المدينة ومعه رفيق له ، حتى نزلوا بالأبواء ، فقام رفيقه فأخذ السفرة وانطلق إلى السوق يبتاع لهم ، وقعد سليمان في الخيمة ، وكان أجمل الناس وجهًا ، وأورع الناس ، فبصرت به أعرابية من قمة الجبل وهي في خيمتها ، فلما رأت حسنه وجماله انحدرت وعليها البرقع والقفازان ، فجاءت فوقفت بين يديه ، فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر ، فقالت : اهتبني[2] ؟ فظن أنها تريد طعامًا ، فقام إلى فضل السفرة ليعطيها ، فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله ، فقال : جهزك إليّ إبليس ، ثم وضع رأسه بين كميه فأخذ في النحيب ، فلم يزل يبكي ، فلما رأت ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجليها بأكواب (بالحسرة والندامة) حتى رجعت إلى خيمتها ، فجاء رفيقه وقد ابتاع لهم ما يرفقهم ، فلما رآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه ، قال : ما يبكيك ؟ قال : خير ، ذكرت صبيتي ، قال : لا إن لك قصة ، إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها ، فلم يزل به رفيقه حتى أخبره بشأن الأعرابية ، فوضع السفرة وجعل يبكي بكاءً شديدًا ، فقال له سليمان : أنت ما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك ، قال : فلم ؟ قال : لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها ، قال : فما زالا يبكيان .

□ وفاته : قال ابن سعد : مات سنة سبع ومائة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

والله تعالى أعلم .

---

(١) ما كان يفعله عطاء بن يسار هو الذي دعت إليه السنة ، ونهت عن الزيادة عليه ، فمن صام الدهر فلا صام ولا أفطر ، وقال النبي ﷺ لابن عمرو وقد أراد الزيادة على هذا الحد المشروع قائلاً : أنا أطيق أكثر من ذلك ، فقال النبي ﷺ : « لا أكثر من ذلك » ، وما فعله سليمان بن يسار ومن وافقه خلاف السنة ، ولكن يعتذر لهم بأنهم فعلوه مجتهدين ، فلهم أجر الاجتهاد وعلينا حسن الظن بهم ، واتباع السنة فيما ثبت لدينا . والله أعلم . [التحرير] .

(٢) أي : وهبتُ نفسي إليك ، أو : خذني هبة .

الإعلام بسير الأعلام

خارجة بن زيد

أحد الفقهاء السبعة

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

● **اسمه** : خارجة بن زيد بن ثابت ، الفقيه الإمام ابن الإمام ، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام ، أبو زيد الأنصاري النجاري المدني .

● **مولده** : ولد سنة ثلاثين أو قبلها .

● **شيوخه** : روى عن أبيه وعمه يزيد وأسامة بن زيد وأمه وأم العلاء الأنصارية ، وعبد الرحمن بن أبي عمرة ، ولم يكن مكثرًا من الشيوخ والحديث ، وروى عنه ابنه سليمان ، وابن أخيه سعيد بن سليمان ، وسالم أبو النضر ، وأبو الزناد ، وهو تلميذه في الفقه ، وعبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعثمان بن حكيم الأنصاري ، ومحمد بن عبد الله الديباج ، والزهري ، ويزيد بن عبد الله بن قسيط ، وأبو بكر بن حزم ، وآخرون .

● **ثناء العلماء عليه** : قال مصعب بن الزبير : كان خارجة بن زيد وطلحة بن عبد الله بن عوف في زمانهما يُستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما ، ويقسمان المواريث بين أهلهما من الدور والنخيل والأموال ، ويكتبان الوثائق للناس .

● قال العجلي : خارجة بن زيد مدني تابعي ثقة .

● قال أبو نعيم : كان من عبّاد المدينة ممن تفقه ، ثم انفرد وآثر العزلة ولم ينتشر عنه من كلامه كبير شيء عامة أحاديثه في الأقضية والأحكام .

● عن عبيد الله بن عمر قال : كان الفقه بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة في خارجة بن زيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، وعروة ، والقاسم بن محمد ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان ، وسليمان بن يسار .

● **من أحواله** : عن زيد بن السائب قال : أجاز سليمان بن عبد الملك خارجة بن زيد بمال فقسمه .

● عن خارجة قال : رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة ، فلما فرغت منها تهوَّرَتْ وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها ، فمات عنها .

● قال رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، قدم قادم الساعة فأخبرنا أن خارجة بن زيد مات فاسترجع عمر وصفق بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : ثُلمة والله في الإسلام .

● **وفاته** : قال الفلاس وابن نمير : مات خارجة سنة تسع وتسعين . وقال غيرهما : سنة مائة .

● ● ●

عمن في قوله الشفا والغنا رحمة اللّه عليه ورضوانه ، وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى : أبو عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل .

فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال : سمعت أبا عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل يقول : اللفظية جهمية لقول اللّه عز وجل : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾ ممن يسمع ؟

وأما القول في الاسم أهو المسمى أو غير المسمى ، فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع ، والخوض فيه شين ، والصمت فيه زين ، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل ، وهو قوله : ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

ويعلم أن ربه هو الذي على ﴿ الْعَرْشِ اسْتَوَى ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ [طه : ٥، ٦] .

فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر ، فليبلغ الشاهد منكم أيها الناس من بَعُد منا ، فنأى أو قرب فدنا :

أن الدين الذي ندين به في الأشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وصفناه ، فمن روى خلاف ذلك أو أضاف إلينا سواه ، أو نحلنا في ذلك قولاً غيره فهو كاذب مفتر ، معتد متخرص يبوء بإثم اللّه وسخطه ، وعليه غضب اللّه ولعنته في الدارين ، وحق على اللّه أن يورده الذي وعد رسول اللّه ﷺ أضرابه ، وأن يحله الذي أخبر نبي اللّه أن اللّه يحله أمثاله .

❋ ❋ ❋ ❋

الإعلام بسير الأعلام

سالم بن عبد اللّه

أحد فقهاء التابعين

◎ **اسمه** : سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب ، الإمام الزاهد الحافظ ، مفتي المدينة ، أبو عمر ، وقيل : أبو عبد اللّه القرشي العدوي المدني ، أمه أم ولد .

◎ **مولده** : ولد في خلافة عثمان ، رضي اللّهُ عنه .

◎ **سبب تسميته بهذا الاسم** : روى علي بن زيد عن ابن المسيب قال : قال لي ابن عمر : أتدري لِمَ سميت ابني سالمًا ؟ قلت : لا ، قال : باسم سالم مولى أبي حذيفة - يعني أحد السابقين - قلت : وأحد حملة القرآن .

◎ **صفته** : روى يحيى بن سعيد عن ابن المسيب قال : كان عبد اللّه بن عمر أشبه ولد عمر به ، وكان سالم أشبه ولد عبد اللّه به ، قلت : لذا كان أبوه يحبه .

روى زيد بن محمد بن زيد عن نافع قال : كان ابن عمر يُقبل سالمًا ويقول : شيخ يقبل شيخًا .

وروى ابن سعد عن محمد بن حرب المكي أنه سمع خالد بن أبي بكر يقول : بلغني أن ابن عمر كان يلام في حب سالم ، فكان يقول :

يلومونني في سالم وألومهم
وجلدة بين العين والأنف سالم

◎ **شيوخه** : روى عن أبيه فجود وأكثر ، وعن عائشة ، وأبي هريرة ، وزيد بن الخطاب العدوي ، ورافع بن خديج ، وأبي رافع مولى النبي ﷺ ، وسفينة ، وسعيد بن المسيب ، وامرأة أبيه صفية .

وروى عنه : سالم بن أبي الجعد ، وعمرو بن دينار قهرمان آل الزبير ، ومحمد بن واسع ، وأبو بكر بن حزم ، والزهري ، ومحمد بن أبي حرملة ، وكثير بن زيد ، وصالح بن كيسان ، وعبيد الله بن عمر ، وعكرمة بن عمار ، وابن أخيه القاسم بن عبيد الله ، وخلق سواهم .

◎ **ثناء العلماء عليه** : قال ابن أبي الزناد : كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الغُرّ السادة : علي بن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، ففاقوا أهل المدينة علمًا وتقىً وورعًا ، فرغب الناس حينئذ في السراري .

قال ابن المبارك : كان فقهاء المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة : ابن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وسالم ، والقاسم ، وعروة ، وعبيد الله ، وخارجة بن زيد ، وكانوا إذا جاءتهم مسألة دخلوا فيها جميعًا فنظروا فيها ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم ، فينظرون فيها فيصدرون.

قال أحمد وابن راهويه : وأصح الأسانيد : الزهري عن سالم عن أبيه .

قال يزيد بن رومان : كان أفضل أهل زمانه .

وقال العجلي : سالم بن عبد الله تابعي ثقة .

وقال ابن سعد : كان سالم ثقة كثير الحديث عاليًا من الرجال ورعًا .

قال الدوري لابن معين : سالم أعلم بابن عمر أو نافع ؟ قال : يقولون : إن نافعًا لم يحدث حتى مات سالم .

◎ **من احواله واقواله** : قال يحيى بن بكير : قدِم جماعة من المصريين المدينة ، فأتوا باب سالم بن عبد الله ، فسمعوا رُغاء بعير ، فبينا هم كذلك خرج عليهم رجل شديد الأُدمة متزر بكساء صوف إلى ثندوته ، فقالوا : مولاك داخل ؟ قال : من تريدون ؟ قالوا : سالم ، قال : ها أنا ذا فما جاء بكم ؟ قالوا : أردنا أن نسألك ، قال : سلوا عما شئتم . وجلس ويده ملطخة بالدم والقيح الذي أصابه من البعير فسألوه .

قال مالك : لم يكن أحد في زمانه أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه ، كان يلبس الثوب بدرهمين ، ويشتري الشَمال[1] ليحملها .

قال أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال : دخلت على ابن عمر فقومت كل شيء في بيته ، فما وجدته يسوي مائة درهم ، ثم دخلت مرة أخرى ، فما وجدت ما يسوى ثمن طيلسان ، ودخلت على سالم من بعده فوجدته على مثل حال أبيه .

دخل سالم على سليمان بن عبد الملك ، وعلى سالم ثياب غليظة رثة ، فلم يزل سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريره ، وعمر بن عبد العزيز في المجلس ، فقال له رجل : من أخريات الناس ما استطاع خالُك أن يلبس ثيابًا فاخرة أحسن من هذه يدخلُ فيها على أمير المؤمنين ؟ قال : وعلى المتكلم ثيابٌ ثريَّة لها قيمة ، فقال له عمر : ما رأيتُ هذه الثياب التي على خالي وضعتُه في مكانك ولا رأيتُ ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك ، وصدق من قال :

يغايظونا بقمصانٍ لهم جُدُدْ
كأنها لا ترى في السوق قمصانًا

---

(١) جمع شملة ، وهي الكساء .

ليس القميص إذا جَدَدتَ رقعته
بجاعلٍ رجلاً إلا كما كانا

قيل : كان سالم يركب حمارًا عتيقًا زريًا ، فعمد أولاده فقطعوا ذنبه حتى لا يعود يركبه سالم ، فركبه وهو أقطش الذنب ، فعمدوا فقطعوا أُذُنه فركبه ولم يغيره ذلك ، ثم جدعوا أذنه الأخرى وهو مع ذلك يركبه تواضعًا واطّراحًا للتكلف ، قال أشعب : قال لي سالم : لا تسأل أحدًا غير اللّه تعالى .

حكى الأصمعي أن أشعب مَرَّ في طريق ، فعبث به الصبيان ، فقال : ويحكم سالم يقسم جَوْزًا أو تمرًا ، فمروا يَعْدون ، فغدا أشعبُ معهم ، وقال : ما يُدريني لعله حق .

قال ابن عيينة : دخل هشام الكعبة ، فإذا بسالم بن عبد اللّه ، فقال : سلني حاجة ، قال : إني أستحي من اللّه أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرجا قال : والآن فسلني حاجةً ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ فقال : من حوائج الدنيا ، قال : واللّه ما سألتُ الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها !!

قال يحيى بن سعيد : قلت لسالم في حديثٍ أسمعته من ابن عمر ؟ فقال : مرة واحدة ، أكثر من مائة مرة .

قال أيوب السختياني : أتينا سالم بن عبد اللّه وهو في قميص ، وجبة قد ائتزر بها .

قال خالد بن أبي بكر : رأيت على سالم قلنسُوة بيضاء ؛ وعمامة بيضاء يسدلُ منها خلفه أكثر من شبر .

قال أبو ضمرة الليثي : حج هشام بن عبد الملك ، فجاءه سالم بن عبد اللّه فأعجبتْه سحنتُه ، فقال : أي شيء تأكل ؟ فقال : الخبز والزيت ، قال : فإذا لم تشته ؟ قال : أُخَمِّره حتى أشتهيه ، فَعَانَهُ هشامٌ (أصابه بالعين) ، فمرض ومات ، فشهده هشام وأجفل الناس في جنازته فرآهم هشام فقال : إن أهل المدينة لكثير ، فضرب عليهم بعثًا أخرج فيه جماعة منهم ، فلم يرجع منهم أحد ، فتشاءم به أهل المدينة ، فقالوا : عانَ فقيهنا وعانَ أهل بلدنا .

◎ **وفاته** : مات رحمه اللّه في سنة ستٍّ ومائة . وقيل : سنة ثمان . قال الذهبي والأول أصح . واللّه تعالى أعلم .

عـــزة المؤمنين

شعر : أيمن إبراهيم شحاتة

اربـــأ بنفســـك أن تكـــون مهانـــة ... واطلـــب لهـــا بيـــن الكـــرام مكانـــة
اســلك بهـــا ســـبل المعـــالي واصطـــبر ... واحـــذر عليهـــا أن تـــروم خيانـــة
نفـــس الأبـــي عليـــةٌ وســـط الدنـــا ... وســـط الحطـــام ترعرعـــت ريحانـــة
دانـــت نفـــوس الأشـــقياء لعزهـــا ... وتمثلـــت بيـــن القشـــور جمانـــة
طـــافت نســـائم عطرهـــا بيـــن الربـــى ... وبحســـنها تبقـــى الريـــاض ملانـــة
اعـــرف لنفســـك قدرهـــا وحقوقهـــا ... واربـــأ بهـــا عـــن أن تكـــون مدانـــة
لكـــن فحـــاذر أن تصـــير مكـــابرا ... فتبيـــع عهـــدًا أو تخـــون أمانـــة

* * *

في تكذيب رسول الله ﷺ بطباعة المصاحف المحرفة وتكوين الطابور الخامس في بلاد العرب والمسلمين ليخترقوا دفاعاتنا ويطلعوا على عوراتنا .

ويستخدم الصهاينة آلة دعائية ضخمة منتشرة في أنحاء العالم وفي أوروبا وفي أمريكا ، بل وفي بعض بلاد المسلمين كتركيا وغيرها من صحف وفضائيات ومراكز أبحاث اتخاذ القرار في أمريكا لتحويل أنظار العالم عن جرائمهم البشعة وأفعالهم الدنيئة ، فصورا للعالم أن الشارع الفلسطيني يمارس العنف ضد الدبابات اليهودية والصواريخ والطائرات ؛ حتى تأثر الإعلام العالمي والعربي والإسلامي - للأسف الشديد - بهذه الدعاية الرهيبة ، فرأينا اسم انتفاضة الأقصى يتوارى خجلاً في زوايا النسيان ، وتحل محله كلمات العنف والعنف المضاد ، ويا سبحان الله كيف نسوي بين الضحية والجلاد ؟ كيف نسوي بين الصاروخ والحجر ؟ بين الطائرة والنبل ؟ بين الدبابة والدراجة ؟ بين صاحب البيت والمغتصب !! وإلى الله المشتكى .

هذا ، ولقد كان لليهود المعاصرين حركة نشطة في مجال الاستشراق ، استهدفوا من ورائها الطعن في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية من أمثال جولدزيهر وجب ، وغيرهم .

فليكن المسلمون من هؤلاء على حذر ، وليدرسوا جيدًا أهداف الصهيونية العالمية حتى يواجهوها بعلم ويقين من أنها صنو الوثنية وربيبة الخرافة ، شعارهم قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح : ٢٨] .

وللحديث بقية . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

❋ ❋ ❋

الإعلام بسير الأعلام

أبو سلمة بن عبد الرحمن

أحد فقهاء التابعين

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

○ **اسمه** : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القرشي الزهري . قيل اسمه : عبد الله . وقيل : إسماعيل . وقيل : إن اسمه كنيته ، وأمه تُماضر بنت الأصبغ الكلبية ، وهي أول كلبية نكحها قرشي .

○ **مولده** : ولد سنة بضع وعشرين .

○ **شيوخه** : سمع من عدة من الصحابة ، منهم عائشة ، وأبو هريرة ، وأم سلمة ، وأسامة بن زيد ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو سعيد الخدري ، وابن عباس ، وغيرهم من الصحابة والتابعين ، ولم يسمع من أبيه شيئًا .

○ **طلابه** : روى عنه ابن أخيه سعد بن إبراهيم ، وابنه عمر بن أبي سلمة ، وعروة ، والشعبي ، وسعيد المقبري ، وعمرو بن دينار ، وعمر بن عبد العزيز ، والزهري ، ونافع ، ويحيى بن أبي كثير ، وبكير الأشج ، وأبو الزناد ، وصفوان بن سليم ، وغيرهم خلق كثير .

○ **صفته** : قال محمد بن أبي يعقوب : قدم علينا أبو سلمة بن عبد الرحمن البصرة في إمارة بشر بن مروان ، وكان رجلاً صبيحًا ، كأن وجهه دينار هرقلي .

○ **من أحواله وأقواله** : قال الزهري : قال أبو سلمة : لو رفقت بابن عباس لأفدت منه علمًا كثيرًا ، قال : وكان أبو سلمة ينازع ابن عباس في المسائل ويماريه ، فبلغ ذلك عائشة فقالت : إنما مثلك يا أبا سلمة مثل الفروج سمع الديكة تصيح

فصاح معها ، يعني أنك لم تبلغ مبلغ ابن عباس وأنت تمارِيه .

● وعن عمرو بن دينار قال : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : أنا أفقه من بال ، فقال ابن عباس : أجل في المبارك ، وعجب من قوله .

● قال إسماعيل بن أبي خالد : مشى أبو سلمة يومًا بيني وبين الشعبي ، فقال له الشعبي : من أعلم أهل المدينة ؟ قال : رجل يمشي بينكما .

● وروى ابن عساكر بسنده إلى أبي بصرة قال : قدم أبو سلمة - وهو ابن عبد الرحمن - فنزل دار أبي بشر ، فأتيت الحسن ، فقلت : إن أبا سلمة قدم وهو قاضي المدينة وفقيههم ، انطلق بنا إليه ، فأتيناه ، فلما رأى الحسن قال : مَن أنت ؟ قال : أنا الحسن بن أبي الحسن ، قال : ما كان بهذا المصر أحد أحب إليَّ أن ألقاه منك ، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس ، فاتق اللَّه يا حسن ، وافت الناس بما أقول لك ، أفتهم بشيءٍ من القرآن قد علمته أو سنة ماضية قد بيَّنها الصالحون والخلفاء ، وانظر رأيك الذي هو رأيك فألقه .

● قال : قلت لعائشة : إنما فاقنا عروة بدخوله عليك كلما أراد ، قالت : وأنت إذا أردت فاجلس من وراء الحجاب فتسألني عما أحببت ، فإنا لم نجد أحدًا بعد النبي ﷺ أوصل لنا من أبيك . [وفي سنده الواقدي] .

● قال محمد بن إسحاق : رأيت أبا سلمة بن عبد الرحمن يأتي الكُتَّاب فيأخذ بيد الغلام فينطلق به إلى بيته ، فيملي عليه الحديث فيكتبه لأبي سلمة .

● قال خليفة بن خياط : عزل مروان عن المدينة في سنة ثمان وأربعين ، ووليها سعيد بن العاص فاستقضى أبا سلمة بن عبد الرحمن ، فلم يزل قاضيًا حتى عُزل سعيد سنة أربع وخمسين .

● قال إسماعيل بن أبي خالد : قدم علينا أبو سلمة زمن بشر بن مروان وكان زوّج بنته بمُدّ تمر .

○ **ثناء العلماء عليه** : قال ابن خراش : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف إمام .

● قال أبو إسحاق السبيعي : أبو سلمة في زمانه خير من ابن عمر في زمانه .

● قال الزهري : أدركت أربعة بحور من قريش : سعيد بن المسيب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة ، وعروة بن الزبير .

● وقال الزهري أيضًا : قدمت مصر على عبد العزيز بن مروان وأنا أحدث عن سعيد بن المسيب ، قال : فقال لي إبراهيم بن عبد اللَّه بن قارظ : ما أسمعك تحدث إلا عن ابن المسيب ؟ فقلت : أجل ، فقال : لقد تركت رجلين من قومك لا أعلم أحدًا أكثر حديثًا منهما : عروة بن الزبير ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : فلما رجعت إلى المدينة وجدت عروة بحرًا لا تكدره الدلاء ، قال الذهبي : لم يكثر عن أبي سلمة وهو من عشيرته ، ربما كان بينهما شيء ، وإلا فما أبو سلمة بدون عروة في سعة العلم .

● قال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، وذكر منهم أبا سلمة بن عبد الرحمن .

● وسُئِل ابن المديني عن أعلى أصحاب أبي هريرة ، فبدأ بسعيد بن المسيب ، ثم قال : وبعده أبو سلمة بن عبد الرحمن .

● قال مالك : كان عندنا من رجال أهل العلم اسم أحدهم كنيته منهم أبو سلمة .

● قال ابن سعد : كان ثقة فقيهًا كثير الحديث .

● قال أبو زرعة : ثقة إمام .

● وقال العجلي : مدني تابعي ثقة .

● وقال الذهبي : وكان من كبار أئمة التابعين ، غزير العلم ، ثقة ، عالِمًا . وقال : كان طَلاّبة للعلم فقيهًا مجتهدًا كبير القدر حجة .

○ **وفاته** : تُوفي رحمه اللَّه سنة أربع وتسعين بالمدينة في خلافة الوليد ، وهو ابن ثنتين وسبعين سنة .

❋ ❋ ❋

عقوق الوالدين من أعظم الذنوب !!

تسأل السيدة : ب . م . ع - المنصورة :

عقـقت أمي كـثـيـرًا ، وكنت أود برها ، ولكن توفـيت وهي غضبانة عليّ ، فهل لي من توبة ؟ وهل يجوز لي أن أؤدي الصلاة عنها ؟ وما هي الأعمال الصالحة التي أعملها حتى يتقبل الله توبتي ؟ أرجو الإفادة .

الجواب : عقوق الوالدين من أعظم الذنوب ، فقد قرن الله الأمر بالإحسان للوالدين بعبادته سبحانه وحده . قال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [النساء : ١] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد سأل ابن مسعود رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » . قال : قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . متفق عليه.

وقد قال ﷺ : « لا يجزي ولدٌ والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه » . رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

وقال ﷺ : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه » . صحيح ، رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء .

إلى غير ذلك من الأدلة الآمرة ببر الوالدين والإحسان إليهما أو الحض على ذلك ومدح فاعليه وذم مخالفيه .

وهذه الأخت السائلة قد عصت الله بعصيانها لأمها وعقوقها إياها حتى ماتت أمها ، فعليها التوبة النصوح والندم على ما سلف منها ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر : ٥٣، ٥٤] فباب التوبة مفتوح ، ومن شروط صحة التوبة ردّ الحقوق إلى أهلها ، وهذه الوالدة قد ماتت ، فعلى ابنتها العاقة كثرة الاستغفار لها والدعاء لها بالرحمة والمغفرة وسداد ديونها والصدقة عنها وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها ، وأما الصلاة ، فالراجح أن ثوابها لا يصل للميت ؛ لأنها لم تأت نصوص بشرعية ذلك . والله تعالى أعلم .

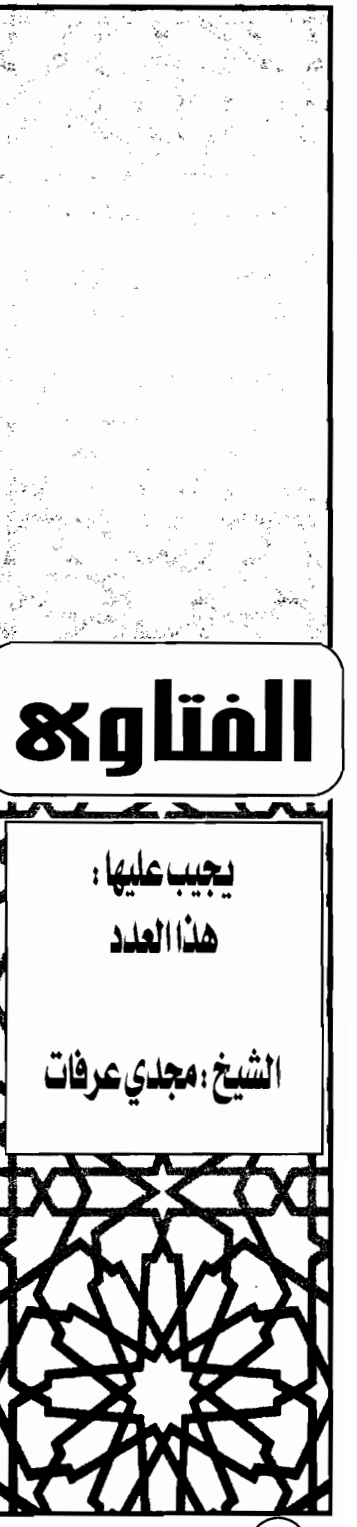

لا يجوز مصافحة المرأة الأجنبية !!

ويسأل : أ . ف . ك - غربية :

١- أمي مُدرسة وجاءها عقد عمل في إحدى الدول العربية ، ووالدي كفيف البصر ، ونحن في الدراسة ولا نقدر على ظروف الحياة ، حيث إن والدي لا يستطيع عمل شيء إضافي لزيادة الدخل . فهل تسافر والدتي للخارج ؟

٢- هل يجوز مصافحة زوجة عمي أو زوجة خالي ؟

الجواب :

١- نعم يجوز لوالدتك أن تسافر للخارج ، بشرط أن يكون معها محرم لها ، وأن يكون العمل الذي ستؤديه غير محرم لذاته أو لغيره . والله أعلم .

٢- لا يجوز لك أن تصافح زوجة خالك أو زوجة عمك أو أي امرأة أخرى ليست من محارمك ، للحديث : « لأن يطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحلّ له » . رواه الروياني ، وقال الألباني في « الصحيحة » (٢٢٦) : وهذا سند جيد ، ثم قال : وفي الحديث وعيد شديد لمن مسّ امرأة لا تحلّ له ، ففيه دليل على تحريم مصافحة النساء ؛ لأن ذلك مما يشمله المسّ دون شك ، وقد بلي بها كثير من المسلمين في هذا العصر . اهـ .

ويؤيد ذلك حديث النبي ﷺ عندما بايع النساء ، فقالت له امرأة : هلمّ نبايعك يا رسول الله ، فقال رسول ﷺ : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة » . وهو حديث صحيح رواه مالك وأحمد والنسائي وابن حبان وغيرهم ، وروى البخاري (رقم ٤٨٩١) من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الممتحنة : ١٢ قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ : « قد بايعتك » كلاماً ، ولا والله ، ما مسّت يده يد امرأة قط في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك » : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) الأحزاب : ٢١ . والله أعلم.

الزكاة في عروض التجارة واجبة !!

ويسأل الأخ : أحمد جودة أحمد - قويسنا - منوفية :

١- هل يجوز إخراج زكاة عروض التجارة عينية أي من البضاعة التي يتاجر فيها ، أم يجب إخراج هذه الزكاة نقدية ؟

٢- مدرس يعطي دروسًا خصوصية وزكاة المال واجبة عليه ، فهل يجوز إن أعفى بعض الطلاب من دفع مقابل هذه الدروس لظروفهم ، هل يجوز له أن يخصم هذه المبالغ من زكاة المال الواجبة عليه ؟

٣- هل يجب أن يكون كفن الميت من ماله الخاص إن كان له

مال ، وإذا تبرع له أحد الأقارب بإحضار الكفن ، فما حكم الشرع في ذلك ؟

❑❑ الجواب :

١- الزكاة في عروض التجارة واجبة عند جمهور الفقهاء ، واستدلوا لذلك بقوله تعالى : (أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) البقرة : ٢٦٧ ، وبحديث سمرة : «كان النبي ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع » . وبحديث أبي ذر مرفوعاً : « وفي الإبل صدقتها ، وفي الغنم صدقتها ، وفي البز صدقتها » . وقال عمر لحماس : أد زكاة مالك ، فقال : ما لي إلا جعاب أدم ، فقال : قومها ثم أد زكاتها . ولأنها معدة للنماء بإعداد صاحبها ، فأشبهت المعد لذلك خلقة كالسوائم والنقدين .

قلت : وهذه الأدلة لا يثبت منها دليل إلا عموم الآية ، وكذلك مما ذكروا قوله تعالى : (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الذاريات : ١٩ ، وقول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » . فقال : « في أموالهم » ، ولا شك أن عروض التجارة مال ، والذي يتجر إنما يريد الذهب والفضة وربحهما ، ولذلك فإن الصواب أن تقوّم عروض التجارة بالذهب أو الجنيهات ويخرج ربع العشر من القيمة ؛ أو ما يعادلها من العروض إذا تعذر عليه إخراج الذهب أو الجنيهات . والله أعلم .

لا يجوز إسقاط الدين عن المدين المستحق للزكاة !!

٢- إسقاط الدين عن المدين المستحق للزكاة بنية الزكاة ، الجمهور على أنه لا يجوز ذلك ؛ لأنه في هذه الحالة يصرفها إلى نفع نفسه أو إحياء ماله واستيفاء دينه ، ولأن الزكاة أخذ وإعطاء . قال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) التوبة : ١٠٣ ، وهذا ليس فيه أخذ ، ولأن هذا بمنزلة إخراج الخبيث ، قال تعالى : (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ) البقرة : ٢٦٧ ، وعند الشافعية في قول ، وهو منقول عن الحسن البصري وعطاء ، أنه يجوز ذلك ؛ لأنه لو دفع إليه زكاته ثم أخذها منه عن دينه جاز ، فكذا هذا . والراجح الأول . والله أعلم .

كفن الميت يكون من رأس ماله.

٣- كفن الميت يكون من رأس ماله . قال البخاري في صحيحه : باب : الكفن من جميع المال ، وبه قال عطاء والزهري وعمرو بن دينار وقتادة ، وقال عمرو بن دينار : الحنوط من جميع المال ، وقال إبراهيم : يُبدأ بالكفن ، ثم بالدين ، ثم بالوصية . وقال سفيان : أجر القبر والغسل هو من الكفن . ثم روى حديث عبد الرحمن بن عوف في ذكر مقتل مصعب بن عمير وقوله : فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة . أي أنه لم يكن له مال إلا تلك البردة ، وهي رأس ماله ، فكفن فيها . والله أعلم .

ونقل ابن حجر عن ابن المنذر قوله : قال بذلك جميع أهل العلم إلا رواية شاذة عن خلاس بن عمرو قال : الكفن من الثلث . وعن طاوس قال : من الثلث إن كان قليلاً . قال النووي في شرح مسلم : ويجب في ماله ، فإن لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته ، فإن لم يكن ، ففي بيت المال ، فإن لم يكن وجب على المسلمين ، يوزعه الإمام على أهل اليسار وعلى من يراه ، فإن قام أحد الناس بتكفين الميت من ماله الخاص أي مال هذا الشخص فلا أرى بأساً بذلك . والله أعلم.

التوبة واجبة من جميع الذنوب !!

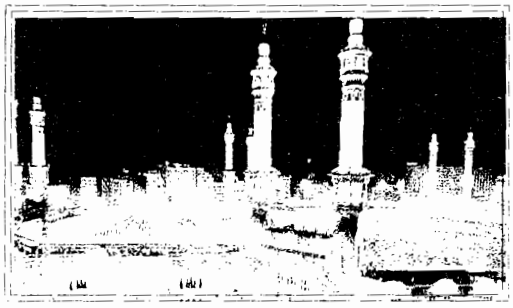

ويسأل القارئ : ج . ع . أ ـ كفر الدوار ـ بحيرة ـ يقول :

عمري ثمانية وعشرون عاماً، متزوج منذ ثلاث سنوات، ورزقني الله بالذرية، والحمد لله.

ولكني فعلت كثيراً من الآثام، وأريد أن أتوب إلى الله، لكن الشيطان يتمكن مني ويصرفني عن الصلاة . فماذا أفعل . وهل لي من توبة ؟ أفيدوني أفادكم الله .

الجواب : إن التوبة واجبة من جميع الذنوب . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) التحريم : ٨ . وقال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور : ٣١ . وقال تعالى : (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) الحجرات : ١١ . وقال ﷺ : ((يا أيها الناس . توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة)) . رواه مسلم . وغير ذلك من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر وتحض على التوبة إلى الله تعالى . وذلك من جميع الذنوب والتوبة النصوح مقبولة من سائر الذنوب . حتى من الشرك . قال تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) الزمر : ٥٣، ٥٤ . وقال تعالى : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (طه : ٨٢) .

وقال تعالى : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) الفرقان : ٦٨- ٧٠ .

وفي هذه الآية نص على أن الذنب الذي وقعت فيه يغفر بالتوبة . بل يبدله الله حسنات . إن أتبعت التوبة بالعمل الصالح . وإياك أن تقنط - أي تيأس - من رحمة الله التي وسعت كل شيء : (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف : ٨٧ . وفي هذه الآية دليل على أن القنوط من الكبائر ، وهو اليأس . كما قال القرطبي في التفسير (٢٥٧/٩) . وعليك بمقومات التوبة من مصاحبة الأخيار ومغادرة مكان المعصية وعدم القرب من أهلها . كما قال العالم للذي قتل مائة نفس : ((انطلق إلى أرض كذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء)) . واستكثر من ذكر الله تعالى : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد : ٢٨ . ولا يجد الشيطان إليك سبيلا . واقرأ سورة ((الناس)) ليعيذك الله من (شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس (من الجنة و الناس) الناس : ٤- ٦ . وجاهد نفسك بالمحافظة على الصلاة . فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . (واستعينوا بالصبر والصلاة) البقرة : ٤٥ . وفقك الله لما يحب ويرضى . واحذر من تزيين الشيطان لك أن تترك الصلاة : لأنك ارتكبت هذه الكبيرة . فإن ترك الصلاة أعظم جرماً من الزنا . فالعهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر . كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم . والله أعلم .

لا يجوز للمرأة لبس الثياب المزينة !!

❑ وتسأل الأخت : سماح السيد إبراهيم :

١- هل يجوز للمرأة أن تلبس الثياب المزينة ببعض الألوان خارج المنزل ، وإن كانت فضفاضة؟

٢- هل يجوز للمرأة الحائض قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي قبل النوم وعند الصباح والمساء ؟

٣- ما حكم الشرع في حرق الشعر المتساقط من الرأس ، أو رميه في المهملات ؟

٤- هل يجوز الدعاء على الظالمين ؟ وهل يجوز الدعاء على الراقصات والممثلين ؟ أفيدونا هداكم الله وإيانا .

❑❑ الجواب :

١- لا يجوز للمرأة أن تلبس الثياب المزينة ، وإن كانت فضفاضة ؛ لقول الله تعالى : ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ النور : ٣١ ، ولأنه من التبرج أن تبدي المرأة زينتها ومحاسنها من بدنها وثيابها ، وقد نهى الله تعالى النساء عن التبرج ، فقال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ الأحزاب : ٣٣ ، وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا ، وأمة أو عبد أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا ، فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم » . صحيح رواه أحمد والحاكم وغيرهما ، وقوله : « فلا تسأل عنهم » يعني : لهلاكهم ، أما إن كان الثوب لونًا واحدًا غير مثير فلا حرج في ذلك ، فقد كانت عائشة رضي الله عنها تلبس الثياب المعصفرة وهي محرمة ، وكذا أم سلمة رضي الله عنها كانت تلبس درعًا وملحفة مصبغتين بالعصفر وغيرهما من نساء النبي ﷺ كما روى ذلك ابن أبي شيبة في « المصنف » . والله أعلم .

٢- وأما قراءة القرآن للحائض فمنع منها جمهور الفقهاء أيضًا ، مستدلين بحديث : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن » ، وهو حديث ضعيف ، والراجح جواز ذلك منها ، وهذا رأي الإمام البخاري والطبري وابن المنذر وداود ، وقد استدل البخاري على ذلك بحديث عائشة في حيضتها مع النبي ﷺ في الحج ، وقوله لها : « افعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري » . واستدل أيضًا بما ذكره من آثار عن إبراهيم النخعي قال : لا بأس أن تقرأ الآية ، ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسًا ، وكان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه ، وقالت أم عطية : كنا نؤمر أن نخرج الحُيّض فيكبرن بتكبيرهم ويدعون . والله أعلم .

٣- حرق الشعر المتساقط أو رميه في المهملات لا أرى في أيهما مانعًا ، وقد ذكر بعض العلماء أنه يستحب أن تدفن الأظفار والشعر وغير ذلك ، ولا أعلم دليلاً على ذلك . والله أعلم .

٤- يجوز الدعاء على الظالمين ؛ لأن النبي ﷺ دعا على بعض المشركين المعتدين ، فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف » . ويقول : « اللهم العن فلانًا وفلانًا » ، فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ آل عمران : ١٢٨ ، والحديث رواه البخاري .

والأولى ترك ذلك ؛ لأن الله نبه نبيه ﷺ على أن الأمر ليس إليه ، وكذلك الأولى الدعاء للراقصات والممثلين بالهداية من الدعاء عليهم ففي هدايتهم هداية لغيرهم . والله أعلم .

الإعلام بسير الأعلام

الليث بن سعد

فقيه أهل مصر

بقلم الشيخ : مجدي عرفات

- اسمه : الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي ، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن ، وأهل بيته يقولون : نحن من الفرس من أهل أصبهان .

- مولده : ولد بقرقشنده - قرية أسفل أعمال مصر - في سنة أربع وتسعين . قال يحيى بن بكير : سمعت الليث يقول : ولدت في شعبان سنة أربع وتسعين ، وقال أيضا : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة .

- سعة علمه : قيل له : أمتع الله بك ، إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك ، فقال : أوكل ما في صدري في كتبي ؟ لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب . وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحدا أكمل من الليث . وقال له أبو جعفر المنصور : أعجبني ما رأيت من شدة عقلك ، والحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك .

- ثناء العلماء عليه : قال يحيى بن بكير : كان الليث فقيه البدن ، عربي اللسان ، يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة ، فما زال يذكر خصالاً جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشرة : لم أر مثله .

قال ابن وهب : لولا مالك والليث هلكت ، كنت أظن كل ما جاء عن النبي ﷺ يفعل به . (يعني : أنه لم يكن يعرف الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص وغير ذلك . حتى جالس مالكا والليث رحمهما الله) .

قال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث ، فحدثهم بفضائله فكفوا . وقال الإمام أحمد : ليث كثير العلم ، صحيح الكتاب . وقال : ليس في المصريين أصح حديثا من الليث بن سعد .

وقال ابن سعد : استقل الليث بالفتوى وكان ثقة كثير الحديث ثريًا من الرجال ، سخيًا له ضيافة . وقال العجلي والنسائي : الليث ثقة .

وقال ابن معين : هذه رسالة مالك إلى الليث فيها : وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك .

قال الشافعي : الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به .

وقال يحيى بن بكير : الليث أفقه من مالك ، ولكن الحظوة لمالك رحمه الله .

وقال الشافعي : الليث أتبع للأثر من مالك .

وقال ابن المديني : الليث ثبت .

قال العلاء بن كثير : الليث بن سعد سيدنا وإمامنا وعالمنا .

قال الذهبي : كان الليث رحمه الله فقيه مصر ومحدثها ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الإقليم . بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره ويرجعون إلى رأيه ومشورته ، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم فاستعفى من ذلك .

- من أحواله وأقواله : قال سعيد بن أبي مريم : سمعت الليث بن سعد يقول : بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط .

قال الذهبي : كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي ، والسنن ظاهرة عزيزة ، فأما في زمن أحمد بن حنبل وإسحاق وأبي عبيد فظهرت البدع وامتحن أئمة الأثر ورفع أهل الأهواء رءوسهم بدخول الدولة معهم ، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ، ثم كثر ذلك فاحتج عليهم العلماء أيضًا بالمعقول ، فطال الجدال واشتد النزاع وتولدت الشبه ، نسأل الله العافية .

قال الليث : قال لي أبو جعفر : تلي لي مصر ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، إني أضعف عن ذلك ، إني رجل من الموالي ، فقال : ما بك ضعف معي ، ولكن ضعفت بنيتك في العمل لي .

قال عبد العزيز بن محمد : رأيت الليث عند ربيعة يناظرهم في المسائل وقد فرفر أهل الحلقة .

قال حرملة : كان الليث بن سعد يصل مالكًا بمائة دينار في السنة ، فكتب مالك إلى الليث : إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث بشيء من عصفر ، فبعث إليه بثلاثين حملاً عُصفرًا ، فباع منه بخمسمائة دينار وبقي عنده فضلة .

قال أبو داود : قال قتيبة : كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة ، وقال : ما وجبت عليّ زكاة قط ، وأعطى الليث ابن لهيعة ألف دينار وأعطى مالكًا ألف دينار وأعطى منصور بن عمار الواعظ ألف دينار وجارية تسوى ثلاثمائة دينار ، قال : وجاءت امرأة إلى الليث فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابنًا لي عليل واشتهى عسلاً ، فقال : يا غلام أعطها مرطًا من عسل ، والمرط : عشرون ومائة رطل .

قال شعيب بن الليث : خرجت حاجًّا مع أبي ، فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب ، قال : فجعل على الطبق ألف دينار وردّه إليه .

قال عبد الله بن صالح كاتبه : صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس ، وكان لا يأكل إلا بلحم إلا أن يمرض .

قال أشهب : كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان ، فإذا أنكر من القاضي أمرًا أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل ، ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : نجحوا أصحاب الحوانيت ، فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ، ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه ، ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيردّه ، كبرت حاجته أو صغرت ، وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر ، وفي الصيف سويق اللوز في السكر . وقال شعيب بن الليث : يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألف دينار ، تأتي عليه السنة وعليه دين .

قال محمد بن معاوية - وسليمان بن حرب إلى جنبه - : خرج الليث بن سعد يومًا ، فقوّموا ثيابه ودابته وخاتمه وما عليه ثمانية عشر ألف درهم إلى عشرين ألفًا ، فقال سليمان : لكن خرج علينا شعبة يومًا فقوموا حماره وسرجه ولجامه ثمانية عشر درهمًا إلى عشرين درهمًا .

قال الليث : قال لي الرشيد : ما صلاح بلدكم ؟ قلت : بإجراء النيل وبصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتي الكدر ، فإن صفت العين صفت السواقي ، قال : صدقت ، قال : قدمت مكة فجئت أبا الزبير فدفع إليّ كتابين ، فانقلبت بهما ، ثم قلت : لو عاودته فسألته : أسمعت هذا كله من جابر بن عبد الله ؟ فقال : منه ما سمعت ، ومنه ما حُدثت به ، فقلت له : علم لي على ما سمعت ، فعلم لي على هذا الذي عندي . قال الوليد بن مسلم : سألت مالكًا والثوري والليث والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات ، فقال : أمرّوها كما جاءت ، وقال أبو عبيد : ما أدركنا أحدًا يُفسر هذه الأحاديث ، ونحن لا نفسرها .

قال الذهبي : قد صنف أبو عبيد كتاب غريب الحديث وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبدًا ولا فسر منها شيئًا ، وقد أخبر بأنه ما لحق أحدًا يفسرها ، فلو كان والله تفسيرها سائغًا أو حتمًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب ، فلما لم يتعرضوا لها بتأويل وأمَروها على ما وردت عليه عُلم أن ذلك هو الحق لا حيدة عنه .

- وفاته : توفي يوم النصف من شعبان يوم الجمعة سنة خمس وسبعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

إمام دار الهجرة مالك الإمام

بقلم الشيخ: مجدي عرفات

نسبه: هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي.

مولده: ولد على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل، وطلب العلم وهو حدث بُعَيد موت القاسم وسالم، فأخذ عن نافع وسعيد المقبري... وخلق.

قال الذهبي: وكنت قد أفردت أسماء الرواة عنه في جزء كبير يقارب عددهم ألفًا وأربعمائة.

صفته: كان طوالاً جسيمًا عظيم الهامة أشقر أبيض الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يُحفي شاربه ويراه مُثْلَةً، وقيل: كان أزرق العينين، وكان نقي الثوب رقيقه، يكثر اختلاف اللبوس، وكان يلبس البياض، وكان إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه.

قال أبو عاصم: ما رأيت محدثًا أحسن وجهًا من مالك.

طلبُه للعلم: طلب مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حيٌّ شاب طريٌّ، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات. وقد ورد في فضله حديث من طريق ابن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالمًا أفضل من عالم المدينة»(١). ويروى عن ابن عيينة أنه كان يقول: إنه مالك بن أنس.

قال الذهبي: كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه، زيد بن ثابت وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهري، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك، وقال ابن عيينة: مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه، وقال الشافعي: (صدوق وبَر). إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

قال أبو عبد الله الحاكم- وذكر سادة من أئمة التابعين بالمدينة كابن المسيب ومن بعده- قال: ما ضُربت أكباد الإبل من النواحي إلى أحد منهم دون غيره حتى انقرضوا وخلا عصرهم، ثم حدّث مثل الزهري وربيعة ويحيى بن سعيد وعبد الله بن يزيد بن هرمز وأبي الزناد وصفوان بن سليم، وكلهم يفتي بالمدينة، ولم ينفرد واحد منهم بأن ضربت إليه أكباد الإبل حتى خلا هذا العصر، فلم يقع بهم التأويل في عالم أهل المدينة، ثم حدّث بعدهم مالك، فكان مفتيها، فضربت إليه أكباد الإبل من الآفاق واعترفوا له وروت الأئمة عنه ممن كان أقدم منه سنًا كالليث عالم أهل مصر والمغرب، وكالأوزاعي عالم أهل الشام ومفتيهم والثوري

وهو المقدم بالكوفة، وشعبة عالم أهل البصرة... إلى أن قال: وحمل عنه قبلهم يحيى بن سعيد الأنصاري حين ولاه أبو جعفر قضاء القضاة فسأل مالكًا أن يكتب له مائة حديث حين خرج إلى العراق ومن قبل كان ابن جريج حمل عنه. اهـ. رحم الله الجميع.

أهليته للفتيا: قال خلف بن عمر: سمعت مالكًا قال: ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني، هل تراني موضعًا لذلك؟

سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك، فقلت: فلو نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه.

وقد صار الإمام إمامًا يقتدى به فصار له أتباع ومقلدون يتبعون مذهبه مع غلوٍ مرفوض، فقد قال بعض المالكية: قد ندر الاجتهاد اليوم وتعذر، فمالك أفضل من يُقلد، فرجح تقليده. وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم تقليده كالنبي مع أمته لا تحل مخالفته. قال الإمام الذهبي رحمه الله: قوله: لا تحل مخالفته مجرد دعوى واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفة إمامه إلى إمام آخر حجته في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباع الدليل فيما تبرهن له، لا كمن تمذهب لإمام، فإذا لاح له ما يوافق هواه عمل به من أي مذهب كان. ومن تتبع رخص المذاهب وزلات المجتهدين فقد رق دينه كما قال الأوزاعي وغيره: من أخذ بقول المكيين في المتعة والكوفيين في النبيذ والمدنيين في الغناء والشاميين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشر كله، وكذا من أخذ في البيوع بمن يتحيل عليها، وفي الطلاق ونكاح التحليل بمن توسع فيه وشبه ذلك، فقد تعرض للانحلال، فنسأل الله العافية والتوفيق، ولكن شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفًا في الفقه، فإذا حفظه بحثه وطالع الشروح، فإن كان ذكيًا فقيه النفس ورأى حجج الأئمة فليراقب الله وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله، فالمقلَّدون صحابة رسول الله ﷺ بشرط ثبوت الإسناد إليهم ثم أئمة التابعين... ثم ذكر مَن بعدهم، ثم ذكر كلامًا للقاضي عياض في جواز تقليد الأئمة الخمسة مرجحًا مالكًا عليهم، فقال: فحق على طالب العلم أن يعرف أولاهم بالتقليد ليحصل على مذهبه، وها نحن نبين أن مالكًا رحمه اللَّه هو ذلك لجمعه أدوات الإمامة، وكونه أعلم القوم.

قال الذهبي: ولكن ما يعجز كل واحد من حنفي وشافعي وحنبلي وداودي عن ادعاء مثل ذلك لمتبوعه، بل ذلك لسان حاله وإن لم يفُهْ به. ثم قال القاضي عياض: وعندنا ولله الحمد لكل إمام من المذكورين مناقب تقضي له بالإمامة.

قلت- أي الذهبي-: ولكن هذا الإمام وهو النجم الهادي قد أنصف وقال قولاً فصلاً، حيث يقول: (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ). ولا ريب أن كل من أنس من نفسه فقهًا وسعة علم وحسن قصد، فلا يسعه الالتزام بمذهب واحد في كل أقواله؛ لأنه قد تبرهن له مذهب الغير في مسائل ولاح له الدليل وقامت عليه الحجة، فلا يقلد فيها إمامه، بل يعمل بما تبرهن، ويقلد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتشهي والغرض، ولكنه لا يفتي العامة إلا بمذهب إمامه أو ليصمت فيما خفي عليه دليله.

زهده: قدم المهدي فبعث إلى مالك بألفي دينار، أو قال بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال: إن أمير المؤمنين يحب أن تُعادِلَه إلى مدينة السلام (بغداد)، فقال: قال: النبي ﷺ: «المدينة خير لهم، لو كانوا يعلمون». متفق عليه، والمال عندي على حاله.

نقده للرجال: وقد كان مالك إمامًا في نقد الرجال، حافظًا مجودًا متقنًا، قال بشر بن عمر الزهراني: سألت مالكًا عن رجلٍ، فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا. قال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي. قال الذهبي: فهذا القول يعطيك بأنه لا يروي إلا عمن هو عنده ثقة ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات، ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو عنده ثقة أن يكون ثقة عند باقي الحفاظ، فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره، إلا أنه بكل حال كثير التحري في نقد الرجال، رحمه الله.

عن ابن عيينة قال: كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحًا، ولا يحدث إلا عن ثقة، ما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته- يعني من العلم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: لا أقدم على مالك في صحة الحديث أحدًا. قال يحيى القطان: ما في القوم أصح حديثًا من مالك، كان إمامًا في الحديث. قال الشافعي: كان مالك إذا شك في حديثه طرحه كله.

ثناء العلماء عليه:

قال القطان: هو إمام يقتدى به.

قال ابن معين: مالك من حجج الله على خلقه.

قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك كالنجم، وهو وسفيان القرينان.

قال أسد بن الفرات: إذا أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل ما ارتفع مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة. قال الذهبي: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله.

قال ابن وهب: لولا مالك والليث لضللنا. وقال الشافعي أيضًا: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابًا من موطأ مالك.

قال الذهبي: هذا قاله قبل أن يُؤلَّف الصحيحان.

قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: قال لي محمد (يعني ابن الحسن صاحب أبي حنيفة): أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم؟ يعني أبا حنيفة ومالكًا، قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدك بالله من أعلم بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلت: فمن أعلم بأقاويل الصحابة والمتقدمين؟ قال: صاحبكم. قلت: فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يعرف الأصول على أي شيء يقيس؟ قلت- أي الذهبي-: وعلى الإنصاف لو قال قائل بل هما سواء في علم الكتاب والأول أعلم بالقياس والثاني أعلم بالسنة وعنده علم جم من أقوال كثير من الصحابة كما أن الأول أعلم بأقاويل علي وابن مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ، فرضي الله عن الإمامين، فقد صرنا في وقت لا يقدر الشخص على النطق بالإنصاف. نسأل الله السلامة.

قال ابن وهب: ما نقلت من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. قال مصعب بن عبد الله فيه:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
عز الوقار ونُور سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال البخاري: أصح الأسانيد؛ مالك عن نافع عن ابن عمر.

المحنة: وسببها أن أبا جعفر نهى مالكًا عن الحديث: (ليس على مستكره طلاق) (صحيح موقوف على ابن عباس)، ثم دس من يسأله، فحدثه به على رءوس الناس، فضربه بالسياط.

قال الذهبي: هذا ثمرة المحنة المحمودة أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا ويعفو الله عن كثير، (ومن يرد الله به خيرًا يصب منه). رواه البخاري. وقال النبي ﷺ: «كل قضاء المؤمن خير له». وقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ)، وأنزل تعالى في غزوة أحد: (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ). وقال: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)، فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكَم مقسط، ثم يحمد الله على سلامة دينه ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

درر من أقواله:

قال رحمه اللَّه: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها والنظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وقال: الناس ينظرون إلى اللَّه عز وجل يوم القيامة بأعينهم، وقال: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء.

وقال: القرآن كلام الله، وكلام الله منه وليس من الله شيء مخلوق. وقال: من قال: القرآن مخلوق يُجلد ويُحبس. وفي رواية: يقتل، ولا تقبل له توبة.

دخل عليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق اقتلوه. فقال: أبا عبدالله، إنما أحكي كلامًا سمعته، قال: إنما سمعته منك، وعظمَ هذا القول.

جاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله: (الرَّحْمَنُ عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوَى)، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء (العرق الكثير)، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج.

قال رحمه الله: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض.

قال الشافعي: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بينة من ديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك، فخاصمه. سأله رجل عن القدر فقال: قال الله تعالى: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا). وقال: رأيي فيهم أن يُستتابوا وإلا قتلوا. يعني القدرية. وقال: القدرية لا تناكحوهم ولا تصلوا خلفهم.

وقال: ما تعلمت العلم إلا لنفسي، وما تعلمت ليحتاج الناسُ إليَّ، وكذلك كان الناس.

وقال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يحدث، قال فلان: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ، فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت المال لكان أمينًا؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه. (التمهيد ٦٧/١).

وقال: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع.

قال ابن مسعود: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتى لمجنون.

وقال أيضًا: جُنَّةُ العالِم (لا أدري) فإذا أغفلها أصيبت مقاتله. قلت: قال علي رضي الله عنه: يا بردها على الكبد أن تقول لِما لا تعلم: الله أعلم. وقال ابن عبد البر: صح عن أبي الدرداء أن (لا أدري) نصف العلم، وكذا الشعبي.

وقال: لا يؤخذ العلم عن أربعة:

١- سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس.

٢- صاحب بدعة يدعو إلى هواه.

٣- من يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث.

٤- صالح عابد فاضل، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

وقال: العلم: حيث شاء الله وضعه ليس هو بكثرة الرواية.

وقال: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رزق خيره، وهو قَسْمٌ من الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

وفاته: قال الذهبي: تواترت وفاته سنة تسع وسبعين ومائة.

نقل القاضي عياض أن أسد بن موسى قال: رأيت مالك بعد موته وعليه ثياب طويلة وثياب خضر وهو على ناقة يطير بين السماء والأرض، فقلت: يا أبا عبدالله، أليس قد مت؟ قال: بلى. قلت: فإلى ما صرت؟ قال: قدمت على ربي فكلمني كفاحًا وقال: سلني أعطك، وتمن عليَّ أُرضك.

قال الذهبي: دفن بالبقيع وقبره مشهور يُزار(٢)، رحمه الله. قال ابن القاسم: مات مالك عن مائة عمامة فضلاً عن سواها. قال ابن أبي أويس: بيع ما في منزل خالي مالك من بُسط ومنصات ومخاد وغير ذلك بما ينيف على خمسمائة دينار. قال الذهبي: قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء والسادة العلماء، ذا حشمة وتجمل وعبيد ودار فاخرة ونعمة ظاهرة ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهدية، ويأكل طيبًا ويعمل صالحًا، وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صَمُوتٌ إذا ما الصمت زين لأهله
وفستاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
وسيطت له الآداب باللحم والدمِ

الهوامش

(١) رواه أحمد (٢٩٩/٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان (٢٣٠٨)، والحاكم (٩١/١)، والبيهقي (٣٨٦/١)، وسنده ضعيف فيه تدليس ابن جريج وأبي الزبير، وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري ولا ينفع، ففي سنده انقطاع كما في سير أعلام النبلاء.

(٢) الزيارة الشرعية لا البدعية.

« ناصر الحديث والسنة »
الإمام الشافعي

بقلم الشيخ: مجدي عرفات

□ **نسبه:**

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن عم الرسول ﷺ، عالِم العصر، فقيه الملة، لُقب بناصر الحديث. □

□ **مولده:** ولد سنة مائة وخمسين بغزة يتيمًا، وتحولت به أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطأ وهو ابن عشر، ولما كان في الكُتاب كان يرضى منه المعلم أن يقوم مقامه؛ لأنه لم يكن عنده ما يعطيه.

□ **صفته وأخلاقه:**

○ قال أبو عبيد: ما رأيت أحدًا أعقل من الشافعي، وكذا يونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جُمعتْ أمة لوسعهم عقله.

○ قال الذهبي: هذا على سبيل المبالغة.

○ قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة.

○ قال الذهبي: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون.

□ **سخاء الشافعي:**

○ قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي أسخى الناس بما يجد.

○ قال الربيع: كان مارًا بالحذائين فسقط سوطه، فوثب غلام ومسحه بكُمِّه وناوله إياه، فأعطاه سبعة دنانير.

○ وقال الربيع أيضًا: تزوجت فسألني الشافعي كم أصدقتها؟ قلت: ثلاثين دينارًا، عجلت منها ستة، فأعطاني أربعة وعشرين دينارًا.

□ **عقيدته:**

سلفية صحيحة، وكيف لا وهو ناصر الحديث والسنة.

○ قال الشافعي: لأن

يلقى الله العبدُ بكل ذنب إلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

وسئل عن القرآن فقال: أفٌ أفٌ، القرآن كلام الله، من قال: مخلوق، فقد كفر. (إسناده صحيح).

وقال: من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة؛ لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفا والمروة فليس عليه كفارة؛ لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها لقول رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت». متفق عليه من حديث عمر رضي اللَّه عنه.

○ قال البيهقي: فجعل اليمين باسم من أسماء الله كاليمين بالله، ثم قال: ومن حلف بشيء غير الله فلا كفارة عليه، فتبين بذلك أنه لا يقال في أسماء الله وصفاته أنها أغيار، إنما يقال: أغيار لِمَا يكون مخلوقًا.

○ وقال: إنما خلق الله الخلق بكُن، فإذا كانت «كُن» مخلوقة، فكأن مخلوقًا خلق بمخلوق.

○ قال يونس: قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيت صاحب هوًى يمشي على الماء ما قبلته، قال: قصّر، لو رأيته يمشي في الهواء ما قبلته.

○ قال للربيع: يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ، فإن خصمك رسول الله ﷺ غدًا، ولا تشتغل بالكلام، فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، وزاد المزني، ولا تشتغل بالنجوم.

○ قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

○ قال الذهبي: لعل هذا متواتر عن الإمام.

○ قال البويطي: سألت الشافعي: أُصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجئ، قلت: صفهم لنا؟ قال: من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا إمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري.

○ قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

○ قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت أبا عبد الله الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به، فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

□ **ثناء العلماء عليه:**

○ قال الإمام أحمد رحمه الله: كان كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو عنهما عوض؟ (وفي سنده مقال).

○ وقال: إن الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، قال: فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي، وقال: لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث.

○ وقال أيضًا: ما مس أحد محبرة ولا قلمًا إلا للشافعي في عنقه منة.

○ وقال حين سئل عنه: حديث صحيح ورأي صحيح، وقال: قدم الشام فوضعها على المحجة البيضاء.

○ قال إسحاق بن راهويه: ما تكلم أحد بالرأي- وذكر جماعة من أئمة الاجتهاد- إلا والشافعي أكثر اتباعًا منه، وأقل خطأ منه، الشافعي إمام.

○ وقال قتيبة بن سعيد: الشافعي إمام، وقال: مات الشافعي وماتت السنن.

○ قال أبو زرعة الرازي: ما عند الشافعي حديث فيه غلط.

○ قال أبو داود السجستاني: ما أعلم للشافعي حديثًا خطأً.

○ قال الذهبي: هذا من أدلّ شيء على أنه ثقة حجة حافظ، وناهيك بقول مثل هذين الإمامين، وقد صنف الحافظ أبو بكر الخطيب كتابًا في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشافعي، وما تكلم فيه إلا حاسد أو جاهل بحاله، فكان ذلك الكلام الباطل منهم موجبًا لارتفاع شأنه وعلو قدره، وتلك سنة الله في عباده: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً

سديدًا ﴾.

ومع هذا لم يسلم الإمام الشافعي من كلام الحاسدين وطعنهم ، وهذه سنة الله، وهو من الابتلاء.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالكل أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدًا وبغيًا إنه لدميم

○ قال الخطيب في مسألة الاحتجاج بالشافعي:

وقيل الشافعي من حُسد وإلى ستر معالمه قصد ويأبى الله إلا أن يُتم نوره ويظهر من كل حق مستوره، وكيف لا يغبط من حاز الكمال بما جمع الله له من الخلال اللواتي لا ينكرها إلا ظاهر الجهل أو ذاهب العقل، ثم أخذ يعدد علوم الإمام ومناقبه وتعظيم الأئمة له، وقال:

أبى الله إلا رفعه وعلوه
وليس لما يعليه ذو العرش واضع

○ ثم قال: فتَرْكُ البخاري الاحتجاج بالشافعي إنما هو لا بمعنى يوجب ضعفه، لكن غنى عنه بما هو أعلى منه.

○ قال الذهبي: وقد كنت وقفت على كلام بعض المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرض إلى الإمام، ولله الحمد، ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر وخالف أقرانه من المالكية، وهي بعض فروعهم بدلائل السنة، وخالف شيخه في مسائل تألموا منه ونالوا منه وجرت بينهم وحشة، غفر الله للكل، وقد اعترف الإمام سحنون وقال: لم يكن في الشافعي بدعة، فصدق والله، فرحم الله الشافعي، وأين مثل الشافعي- والله- في صدقه وشرفه ونُبله وسعة علمه وفرط ذكائه ونصره للحق وكثرة مناقبه، رحمه الله تعالى. اهـ.

○ وقال أيضًا: وإمامنا فبحمد الله ثَبْت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف بالإتقان، متين الديانة، فمن نال منه بجهل وهوى ممن عُلم أنه منافس له فقد ظلم نفسه ومَقَتَتْه العلماء ولاح لكل حافظ تحامله وجرّ الناس برجله، ومن أثنى عليه واعترف بإمامته وإتقانه وهم أهل العقد والحل، قديمًا وحديثًا، فقد أصابوا وأجملوا وهُدوا ووفقوا، ثم قال: لا نلام والله على حب هذا الإمام؛ لأنه من رجال الكمال في زمانه، رحمه الله، وإن كنا نحب غيره أكثر. اهـ. رحم الله الذهبي.

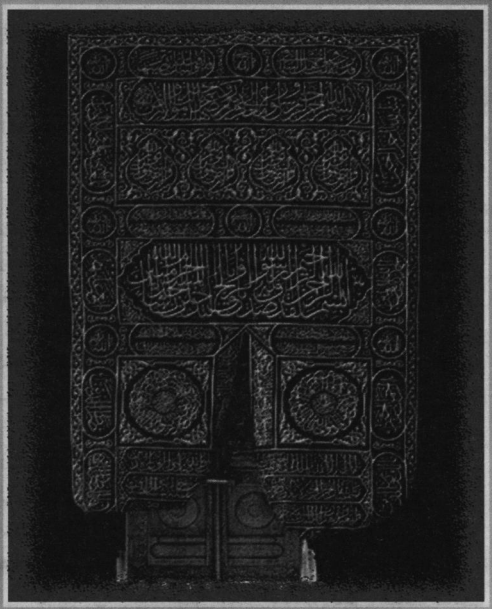

دُرَرٌ من أقواله

○ قال رحمه اللَّه: قراءة الحديث خير من صلاة التطوع.

○ وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

○ وقال: العلم ما نفع، ليس العلم ما حفظ.

○ وقال: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

○ وقال: رضى الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه.

○ وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط. (وقد صنف في شرح هذه المقالة تقي الدين السبكي رسالة).

○ قال أبو ثور: سمعته يقول: كل حديث عن رسول الله ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني.

○ قال الربيع: وسمعته يقول: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقل به.

○ وقال الربيع: سمعته يقول وقد قال له رجل: تأخذ بهذا الحديث أبا عبد الله؟ فقال: متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا ولم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب.

○ وقال الحميدي: روى الشافعي يومًا حديثًا،

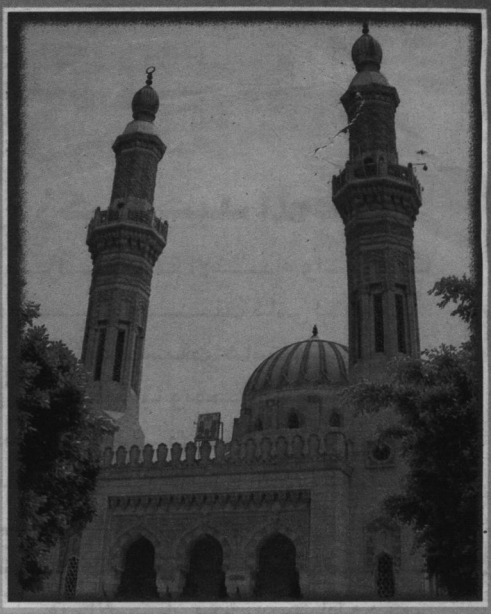

فقلت: أتأخذ به؟ فقال: رأيتَني خرجت من كنيسة أو عليّ زنَّار، حتى إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثًا لا أقول به!!

○ وقال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلته.

○ وقال للإمام أحمد: أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه كوفيًا كان أو بصريًا أو شاميًا. (ولم يقل: حجازيًا أو مصريًا؛ لأنه كان يحتج به ويعلم رواته من قبل).

○ قال إبراهيم بن محمد الكوفي: رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس، ورأيت أحمد بن حنبل وإسحاق حاضرَين، فقال الشافعي: قال رسول الله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من دار». فقال إسحاق: حدثنا يزيد عن الحسن وأخبرنا أبو نعيم وعبدة عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنهما لم يكونا يريانه وعطاء وطاووس لم يكونا يريانه (يعني تلك الدور بمكة)، فقال الشافعي: من هذا؟ قيل: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي بن راهويه، فقال الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم، ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك فكنت آمر بعرك أذنيه أقول: قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: عطاء وطاووس ومنصور وإبراهيم والحسن، وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟

○ وقد كان رحمه الله من رجال الجرح والتعديل، لكنه كان معتدلاً لطيف العبارة.

○ قال المزني: سمعني الشافعي يومًا وأنا أقول: فلان كذاب، فقال لي: يا إبراهيم، إحْسِ ألفاظك أحسنها، لا تقل فلان كذاب، ولكن قل: «حديثه ليس بشيء».

○ ومن أقواله في الجرح: الحديث عن حرام بن عثمان حرام، كان مجالد يجلد (أي يكذب ويرمى بالكذب)، بيض الله عينَي من حدث عن أبي جابر البياضي، أبو الزبير يحتاج إلى دعامة.

□ **مصنفاته:** هو أول من وضع علم أصول الفقه في كتابه «الرسالة»، كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ، فوضع له كتاب الرسالة.

○ وقال أحمد: صاحب حديث، لا يشبع من كتب الشافعي.

○ وقال أحمد بن سلمة النيسابوري: تزوج إسحاق بن راهويه امرأة رجل كان عنده كتب الشافعي مات، لم يتزوجها إلا للكتب.

○ قال الجاحظ: نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم فلم أر أحسن تأليفًا من المُطّلبي (الشافعي)، كأن كلامه درٌّ إلى درٍّ.

□ **وفاته** : قال ابن خزيمة وغيره: حدثنا المزني قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي دون عفوك سلمًا
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منّةً وتكرمًا

رحم الله الإمام الشافعي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

○○○

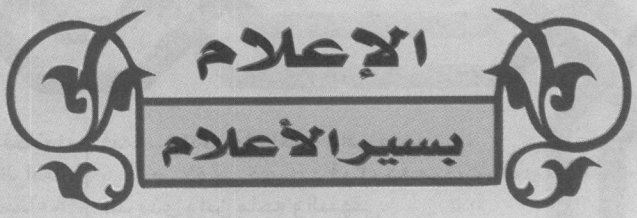

«إمام أهل السنة»
أحمد بن حنبل

بقلم الشيخ: مجدى عرفات

نسبه:

هو الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، وكان عربيًا أصيلاً.

قال عارم: وضع أحمد عندي نفقته، فقلت له يومًا: يا أبا عبدالله، بلغني أنك من العرب، فقال: أيا أبا النعمان، نحن قوم مساكين، فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل لي شيئًا.

□ **صفته:** قال العباس بن الوليد النحوي: رأيت أحمد بن حنبل رجلاً حسن الوجه ربعة من الرجال يخضب بالحناء خضابًا ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظًا إلا أنها بيض، ورأيته معْتَمًا وعليه إزار، كان شيخًا طوالاً مخضوبًا أسمر شديد السمرة.

□ **مولده:** قال: ولدت ببغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

□ **طلبه للعلم:** طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة في العام الذي مات فيه مالك وحماد بن زيد.

قال المروزي: قلت لأحمد: أكان أغمي عليك أو غُشي عليك عند ابن عيينة؟ قال: نعم في دهليزه، زحمني الناس فأغمي عليَّ.

قال أحمد: قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين فمضيت إلى عبدالرزاق في قريته وتخلف يحيى، فلما ذهبت أدق الباب قال لي بقال تجاه داره: مَهْ، لا تدق فإن الشيخ يُهاب، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب خرج فوثبت إليه وفي يدي أحاديث انتقيتها، فسلمت وقلت: حدثني بهذه رحمك الله فإني رجل غريب، قال: ومن أنت؟ وزبرني، قلت: أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر وضمني إليه، وقال: باللَّه أنت أبو عبدالله؟ ثم أخذ الأحاديث وجعل يقرؤها حتى أظلم، فقال للبقال: هلم المصباح حتى خرج وقت المغرب، وكان عبدالرزاق يؤخر صلاة المغرب.

□ **سعة علمه:** قال رحمه الله: تزوجت وأنا ابن أربعين

سنة فرزق الله خيرًا كثيرًا. قال عبدالله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب، قال الذهبي رحمه الله: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبدالله، وكانوا يعُدون في ذلك المكرر والأثر وفتوى التابعي وما فَسَّر ونحو ذلك، وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

قال إبراهيم الحربي: رأيت أبا عبدالله كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين. قال يحيى بن آدم: أحمد بن حنبل إمامنا.

□ **أخلاقه** : قال المروزي: كان أبو عبدالله لا يَجْهل، وإن جُهل عليه حَلُم واحتمل، ويقول: يكفي الله، ولم يكن بالحقود ولا العجول، كثير التواضع حسن الخلق دائم البِشر لين الجانب ليس بفظ، وكان يحب في الله ويُبغض في الله، وإذا كان في أمر الدين اشتد غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران.

قال محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبدالله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد. قال الذهبي: إيثار الخمول والتواضع وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح.

قال الحسن بن إسماعيل عن أبيه قال: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

قال الذهبي: وربما نسخ بأجرة، وربما عمل التكك، وأجّر نفسه لجَمَّال، رحمة الله عليه.

ثناء العلماء عليه

قال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب- يعني أحمد بن حنبل- وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة، ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث لكان هو المقدم عليهم، فقيل لقتيبة: يُضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

قال المزني: قال الشافعي: رأيت ببغداد شابًا إذا قال: حدثنا، قال الناس كلهم: صدق، قلت: من هو؟ قال: أحمد بن حنبل.

وقال الشافعي أيضًا: خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

قال ابن راهويه: أحمد حجة بين الله وبين خلقه.

قال ابن المديني: أحمد أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه؛ لأن سعيدًا كان له نظراء. وقال: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب.

وقال: أعز الله الدين بالصِّديق يوم الردة وبأحمد يوم المحنة.

وقال ابن معين: أرادوا أن أكون مثل أحمد، والله لا أكون مثله أبدًا.

وقال: ما رأيت من يحدث لله إلا ثلاثة: يعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حُنبل.

قال عبدالله بن أحمد: قال أصحاب بشر الحافي له حين ضُرب أبي: لو أنك خرجت، فقلت إني على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه، إذا رأيت من يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة.

قال أبو عمير بن النحاس الرملي، وذكر عنده أحمد بن حنبل: فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

قال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيته ذكر الدنيا قط.

قال محمد بن مصعب العابد: لسوطٌ ضُربه أحمد بن حنبل في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث. قال الذهبي: بشر عظيم القدر كأحمد، ولا ندري وزن الأعمال، إنما الله يعلم ذلك.

قال محمد بن نصر المروزي: صرت إلى دار أحمد بن حنبل مرارًا وسألته عن مسائل، فقيل له: أكان أكثر حديثًا أم إسحاق؟ قال: بل أحمد أكثر حديثًا وأورع، أحمد فاق أهل زمانه.

قال الذهبي: كان أحمد عظيم الشأن رأسًا في الحديث وفي الفقه وفي التأله، أثنى عليه خلق من خصومه، فما الظن بإخوانه وأقرانه؟ وكان مهيبًا في ذات الله، حتى قال أبو عبيد: ما هبت أحدًا في مسألة ما هبت أحمد بن حنبل.

قال محمد بن يحيى الذهلي: جعلت أحمد إمامًا فيما بيني وبين الله.

قال أبو يحيى الناقد: كنا عند إبراهيم بن عرعرة، فذكروا يعلى بن عاصم، فقال رجل: أحمد بن حنبل يضعفه، فقال رجل: وما يضره إذا كان ثقة؟ فقال ابن عرعرة: والله لو تكلم أحمد في علقمة والأسود لضرّهما.

قال عبد الله بن أحمد: رأيت كثيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين وبني هاشم وقريش والأنصار يُقبّلون أبي؛ بعضهم يده وبعضهم رأسه ويعظمونه تعظيمًا لم أرهم يفعلون ذلك بأحد من الفقهاء غيره، ولم أره يشتهي ذلك.

قال ابن عقيل: من عجيب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون أحمد ليس بفقيه لكنه محدث، قال: وهذا غاية الجهل؛ لأنه له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم.

قال الذهبي: أحسِبهم يظنونه كان محدثًا وبَسْ، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا، والله لقد بلغ في الفقه خاصة رتبة الليث ومالك والشافعي وأبي يوسف، وفي الزهد والورع رتبة الفضيل وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة ويحيى القطان وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه فكيف يعرف رتبة غيره؟!

دررمن أقواله

قال الإمام في رسالة أرسلها لعبيد الله بن يحيى ليرسلها لأمير المؤمنين: «قال معاوية بن قرة: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال، وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون، ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومنه، فقاما، فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما عليك أن يقرآ عليك آية؟ قال: خشيت أن يقرآ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فولى هاربًا وهو يقول بيده، لا ولا نصف كلمة، وقال ابن طاووس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: اشدد اشدد، وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل، وقال إبراهيم النخعي: إن القوم لم يدخر عنهم شيء خُبئ لكم لفضل عندكم، وكان الحسن يقول: شرُّ داءٍ خالط قلبًا يعني الأهواء، وقال حذيفة: اتقوا الله وخذوا طريق من كان قبلكم، لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا، أو قال: مبينًا.

وقد قال الله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، وقال:﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فأخبر أن الأمر غير الخلق، وقال:﴿ الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤]، فأخبر أن القرآن من علمه.

وقد روي عن السلف أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، غير مخلوق.

وهو الذي أذهب إليه ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن الصحابة أو التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود». اهـ.

قال الذهبي: فهذه الرسالة إسنادها كالشمس فانظر إلى هذا النفس النوراني لا كرسالة الإصطخري. (رواها عن الإمام وفيها ما يخالف منهج السلف). ولا كالرد على الجهمية الموضوع على أبي عبدالله، فإن الرجل كان تقيًا ورعًا لا يتفوه بمثل ذلك، ولعله قاله، وكذلك رسالة المسيء في الصلاة باطلة وما يثبت عنه أصلاً وفرعًا ففيه كفاية ومما ثبت عنه مسألة الإيمان، وقد صنف فيها.

قال أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، والبر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص الإيمان.

قال إسماعيل بن الحسن السراج: سألت أحمد عمن يقول القرآن مخلوق، قال: كافر، وعمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: جهمي.

قال الذهبي: الذي استقر الحال عليه أن أبا عبدالله كان يقول: من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، وأنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، فكان رحمه الله لا يقول هذا ولا هذا، وربما أوضح ذلك فقال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي.

قال أحمد الدورقي: قلت لأحمد بن حنبل: ما تقول في هؤلاء الذين يقولون: لفظي بالقرآن

مخلوق؟ فرأيته استوى واجتمع وقال: هذا شر من قول الجهمية، من زعم هذا فقد زعم أن جبريل تكلم بمخلوق وجاء إلى النبي ﷺ بمخلوق.

قال الذهبي: فقد كان هذا الإمام لا يرى الخوض في هذا البحث خوفًا من أن يُتذرع به إلى القول بخلق القرآن، والكف عن هذا أولى، آمنا بالله تعالى وبملائكته وبكتبه ورسله وأقداره والبعث والعرض على الله يوم الدين، ولو بسط هذا السطر وحرر وقُرر بأدلته لجاء في خمسة مجلدات، بل ذلك موجود مشروع لمن رامه، والقرآن فيه شفاء ورحمة للمؤمنين، ومعلوم أن التلفظ شيء من كسب القارئ غير الملفوظ، والقراءة غير الشيء المقروء، والتلاوة وحسنها وتجويدها غير المتلو، وصوت القارئ من كسبه، فهو يحدث التلفظ والصوت والحركة والنطق وإخراج الكلمات من أدواته المخلوقة، ولم يحدث كلمات القرآن ولا ترتيبه ولا تأليفه ولا معانيه، فلقد أحسن الإمام أبو عبدالله حيث منع من الخوض في المسألة من الطرفين؛ إذ كل واحد من إطلاق الخلقية وعدمها على اللفظ موهم ولم يأت به كتاب ولا سنة، بل الذي لا نرتاب فيه أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، والله أعلم.

قال فوران صاحب أحمد: سألته عن الذين يفرقون بين اللفظ والمحكي فقال: القرآن كيف تُصرف في أقواله وأفعاله فغير مخلوق، فأما أفعالنا فمخلوقة، قلت: فاللفظية تعدهم يا أبا عبدالله في جملة الجمهية؟ قال: لا، الجهمية الذين قالوا القرآن مخلوق.

قال الميموني: قال لي أحمد: يا أبا الحسن إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

قال المروذي: قلت لأبي عبدالله: من مات على الإسلام والسنة مات على خير؟ فقال: اسكت، بل مات على الخير كله.

قال أحمد رحمه الله: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.

وقال في رسالة للمتوكل: وفي الجملة إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين، مع ما عليه أمير المؤمنين من التمسك بالسنة.

قال له أحمد بن الحسن الترمذي: يا أبا عبدالله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبدالله: ينفض ثوبه، ويقول: زنديق زنديق، ودخل البيت.

قال: طلب علو الإسناد سنة.

قال (لعبدالله وحنبل وصالح) بعدما قرأ عليهم المسند: هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفًا، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ، فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة.

قال الذهبي: في الصحيحين أحاديث قليلة ليست في المسند، لكن قد يقال لا ترد على قوله، فإن المسلمين ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم من هذا القول أن ما وجد فيه أن يكون حجة، ففيه جملة من الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلها ولا يجب الاحتجاج بها، وفيه أحاديث معدودة شبه موضوعة، ولكنها قطرة في بحر، وفي غضون المسند زيادات جمة لعبدالله بن أحمد.

المحنة

قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق عَلِمه». صحيح بطرقه.

قال الذهبي رحمه الله: الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخذل، فمن قام بهما كاملاً فهو صِديق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله.

كان الناس أمة واحدة ودينهم قائمًا في خلافة أبي بكر وعمر، فلما استشهد قُفْلُ باب الفتنة عمر، رضي الله عنه، وانكسر الباب، قام رءوس الشر على الشهيد عثمان، حتى ذُبح صبرًا، وتفرقت الكلمة، وتمت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين، فظهرت الخوارج، وكَفَّرت سادة الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب، وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية، ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين، مع السنة وأهلها إلى بعد المائتين، فظهر المأمون الخليفة وكان ذكيًا متكلمًا، له نظر في المعقول، فاستجلب كتب الأوائل، وعرَّب حكمة اليونان، وقام في ذلك وقعد وخب ووضع، ورفعت الجهمية والمعتزلة رءوسها، بل والشيعة، فإن كان كذلك وآل به الحال إلى أن حمل الأمة على القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء فلم يُمهَل وهلك

لعامه وخلّى بعده شرًا وبلاءً في الدين، فإن الأمة مازالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله، لا يعرفون غير ذلك، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجعول، وأنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف كبيت الله، وناقة الله، فأنكر ذلك العلماء، ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين، فلما وَلِي المأمون كان منهم وأظهر المقالة.

روى أحمد الدورقي عن محمد بن نوح أن الرشيد قال: بلغني أن بشر بن غياث المريسي يقول: القرآن مخلوق، فلله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه، قال الدورقي: وكان متواريًا أيام الرشيد، فلما مات الرشيد ظهر ودعا إلى ضلاله.

قال الذهبي: ثم إن المأمون نظر في الكلام وناظر وبقي متوقفًا في الدعاء إلى بدعته.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ، ثم قوي عزمه وامتحن الناس.

قال أبو جعفر الأنباري: لما حمل أحمد إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر: تعنيت؟ فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس الناس يقتدون بك، فواللّه لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبنّ خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت فاتق الله ولا تُجب، فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر، أعد عليّ، فأعدت عليه وهو يقول: ما شاء الله.

وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أحمد في التقية وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: «إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ولا يصده ذلك عن دينه»، فأيسنا منه، وقال: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبدالله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي فكأنه سُرّي عنه. اهـ.

ثم مات المأمون وبقي أحمد محبوسًا بالرقة حتى بويع للمعتصم سنة ٢١٨هـ، فتولى المحنة وحُبس أحمد وضرب وعلق ثم إن المعتصم أطلق سراحه بعد ذلك، ولما ولي الواثق الخلافة سنة ٢٢٧هـ منعه من الجلوس إلى أحد وأمره أن يخرج من بغداد، فاختفى أبو عبدالله في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق، ثم ولي المتوكل سنة ٢٣٢هـ، فأظهر السنة وتكلم بها في مجلسه ورفع المحنة سنة ٢٣٤هـ، وفرّج الله عن الناس، وكان أبو عبدالله يُحَدث أصحابه أيام المتوكل.

قال حنبل: سمعته يقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا.

قال الإمام رحمه الله: كل من ذَكَرني ففي حل إلا مبتدعًا، وقد جعلت أبا إسحاق- يعني المعتصم- في حل ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مِسْطَح، قال أبو عبدالله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك.

وفاتــه

مات رحمه الله لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الجمعة سنة ٢٤١هـ، وعمره ٧٧ سنة، وكانت وصيته: هذا ما أوصى به أحمد بن محمد، أوصى أنه: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال عبدالله: صلى عليه محمد بن عبدالله بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون في الدار.

قال عبدالوهاب الوراق: ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية ولا الإسلام مثله- يعني من شهد الجنازة- حتى بلغنا أن الموضع مُسح وحُزر على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف، وحزرنا على القبور نحوًا من ستين ألف امرأة وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدرب ينادون من أراد الوضوء.

وقد كان رحمه الله يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز، قال ابن كثير رحمه الله: وقد صدق والله قول أحمد في هذا، فإنه كان إمام أهل السنة في زمانه، وعيون مخالفيه بأحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان، وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته لم يصلّ عليه إلا طائفة يسيرة جدًا. فلله الأمر من قبل ومن بعد. اهـ.

رحم الله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر هذه الترجمة:

١- تهذيب التهذيب.
٢- تاريخ بغداد.
٣- سير أعلام النبلاء.

الإمام العابد الزاهد «سفيان الثوري»

بقلم الشيخ: مجدي عرفات

□

نسبه:
هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن ثور بن عبد مناة أبو عبد الله الثوري الكوفي شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه المجتهد.

□ مولده: ولد سنة سبع وتسعين اتفاقًا بالكوفة في خلافة سليمان بن عبد الملك.

والده: سعيد بن مسروق الثوري المحدث من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن ومن ثقات الكوفيين وعداده في صغار التابعين.

شيوخه وطلابه:

يُقال: إن عدد شيوخه ستمائة شيخ وكبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة وجرير بن عبد الله وابن عباس وأمثالهم، وقد قرأ الختمة عرضًا على حمزة الزيات أربع مرات.

وأما الرواة عنه فخلق، فذكر ابن الجوزي أنهم أكثر من عشرين ألفًا.

قال الذهبي: وهذا مدفوع ممنوع، فإن بلغوا ألفًا فبالجهد، وما علمت أحدًا من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفًا وأربعمائة.

طلبه للعلم:

بكَّر في طلب العلم حتى رآه أبو إسحاق السبيعي مقبلاً، فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

قال أبو المثنى: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري، قد جاء الثوري، فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بقل وجهه (خرج شعره).

قال الذهبي: كان ينوه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه وحدث وهو شاب.

قال عبد الرزاق وغيره عن سفيان: قال: ما استودعت قلبي شيئًا قط فخانني.

زهده وورعه:

قال رحمه الله: ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت.

قال شعيب بن حرب: قال لي الثوري: يا أبا صالح، احفظ عني ثلاثًا: إذا احتجت إلى شيء فلا تسأل وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

قال شعبة: ساد سفيان الناس بالورع والعلم.

قيل للفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: من إمامك في هذا؟ قال: سفيان الثوري.

وعن قتيبة بن سعيد قال: لولا سفيان لمات الورع.

قال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلسًا إلا ذكر الموت؛ ما رأيت أحدًا كان أكثر ذكرًا للموت منه.

عبادته وخشيته لله:

قال: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعن يوسف بن أسباط قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده فبقي متفكرًا ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة.

قال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيًا، فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيًا.

قال ابن وهب: رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى، ثم سجد سجدة، فلم يرفع رأسه حتى نودي بصلاة العشاء.

قال علي بن فضيل: رأيت سفيان الثوري ساجدًا حول البيت، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه.

قال مزاحم بن زفر: صلى بنا سفيان الثوري المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: نزل عندنا سفيان وقد كنا ننام أكثر الليل، فلما نزل عندنا ما كنا ننام إلا أقله.

قال يحيى القطان: ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء.

ثناء العلماء عليه:

قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم ويحيى بن معين وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان.

قال يونس بن عبيد: ما رأيت أفضل من سفيان، فقيل له: فقد رأيت سعيد بن جبير وإبراهيم وعطاءً ومجاهدًا وتقول هذا؟ قال: هو ما أقول، ما أريت أفضل من سفيان.

وقال يحيى القطان: ليس أحد أحب إليَّ من شعبة ولا يَعْدِلُه أحد عندي وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان.

قال عباس الدوري: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان أحدًا في زمانه في الفقه والحديث والزهد وكل شيء.

قال ابن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

قال العجلي: أحسن إسناد الكوفة: (سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله).

قال بشر الحافي: كان الثوري عندنا إمام الناس. وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما.

وقال الخريبي: ما رأيت أفقه من سفيان.

درر من أقواله

قال شعيب بن حرب: قلت لسفيان الثوري حدث بحديث في السنة ينفعني الله به، فإذا وقفت بين يديه وسألني عنه قلت: يا رب، حدثني بهذا سفيان فأنجو أنا وتوحّد، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص، وتقدمة

الشيخين، إلى أن قال: يا شعيب، لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين، وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر بها، وحتى تؤمن بالقدر، وحتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أو عدل، فقلت: يا أبا عبد الله، الصلاة كلها، قال: لا، ولكن صلاة الجمعة والعيدين، صلِّ خلف من أدركت، وأما سائر ذلك فانت مخير لا تصلِّ إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة، فإذا وقفت بين يدي الله فقل: يا رب، حدثني بهذا سفيان بن سعيد، ثم خل بيني وبين ربي عز وجل.

قال الذهبي: هذا ثابت عن سفيان. «تذكرة الحفاظ».

قيل له: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: وأي خير أنا فيه خير من الحديث فاصير إليه؟ إن الحديث خير علوم الدنيا.

ومن أقواله:

○ المال داء هذه الأمة، والعالِم طبيب هذه الأمة، فإذا جر العالِم الداء إلى نفسه فمتى يُبرئ الناس؟

○ ما أعلم شيئًا أفضل من طلب العلم بنية.

○ لو همّ رجل أن يكذب في الحديث وهو في جوف بيته لأظهر الله عليه.

○ البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها.

○ إياك والأهواء والخصومة، وإياك والسلطان. قاله لرجل قال: أوصني.

○ لا أعلم شيئًا أفضل منه- يعني الحديث- لمن أراد الله به، وقال: إن الناس يحتاجون إليه في طعامهم وشرابهم.

قال المعافى بن عمران: سمعته يقول: وددت أن كل حديث في صدري وكل حديث حفظه الرجال عني نسخ من صدري وصدورهم، فقلت: يا أبا عبد الله، ذا العلمُ الصحيح والسنة الواضحة التي قد بينتها تتمنى أن تنسخ من صدرك؟ قال: اسكت، وما يدريك؟ ألست أريد أن أقف يوم القيامة وأُسأل عن كل مجلس جلسته وكل حديث حدثته: أيش أردت به؟

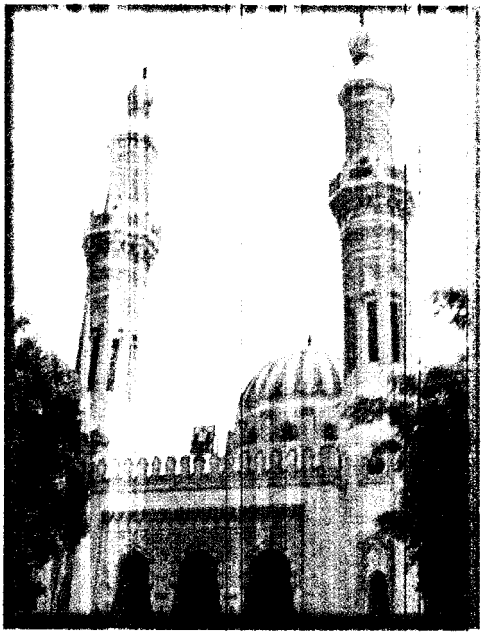

قال الذهبي: حب ذات الحديث والعمل به لله مطلوب من زاد المعاد وحب روايته وعواليه والتكثر بمعرفته وفهمه مذموم مخوف فهو الذي خاف منه سفيان والقطان وأهل المراقبة، فإن كثيرًا من ذلك وبال على المحدث.

○ طلبت العلم ولم يكن لي نية، ثم رزقني الله النية.

○ من زعم أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مخلوق فقد كفر بالله.

○ لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال.

○ استوصوا بأهل السنة خيرًا، فإنهم غرباء.

○ الإسناد سلاح المؤمن، فمن لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل.

○ الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض.

قيل له: ليست لهم نية- يعني أصحاب الحديث- قال: طلبهم له نية، لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم.

سُئل عن أحاديث الصفات، فقال: أمروها كما جاءت.

قال محمد بن عبد الله بن نمير في قول سفيان: ما أخاف على نفسي غير الحديث؟ قال:

لأنه كان يحدث عن الضعفاء، قال الذهبي: ولأنه كان يدلس عنهم، وكان يخاف من الشهوة وعدم النية في بعض الأحايين.

المحنة

عن عطاء بن مسلم قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ وقال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إليَّ حتى آتيك، ولا تعطني شيئًا حتى أسالك، قال: فغضب من ذلك وهم به، فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، فلما خرج حف به أصحابه، فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله، وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟ قال: فاستصغر عقولهم، ثم خرج هاربًا إلى البصرة.

قال ابن سعد: وطلب سفيان، فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم وهو على مكة يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه ذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار، قال: فتوارى سفيان، وطلبه محمد بن إبراهيم وأمر مناديًا فنادى بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متواريًا بمكة لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه، قالوا: فلما خاف سفيان بمكة من الطلب خرج إلى البصرة فقدمها فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان، فقال لبعض أهل الدار: أما قربك أحد من أصحاب الحديث؟ قالوا: بلى، يحيى بن سعيد، قال: جئني به، فاتاه به، فقال: أنا هنا منذ ستة أيام أو سبعة، فحوله يحيى إلى جواره وفتح بينه وبينه بابًا، وكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه، وكان فيمن أتاه جرير بن حازم والمبارك بن فضالة وحماد بن سلمة ومرحوم العطار وحماد بن زيد وغيرهم، وأتاه عبدالرحمن بن مهدي ولازمه، فكان يحيى وعبدالرحمن يكتبان عنه تلك الأيام، وكلَّمَا أبا عوانة أن يأتيه فأبى، وقال: رجل لا يعرفني كيف آتيه؟ وذاك أن أبا عوانة سلَّم عليه بمكة فلم يرد عليه سفيان السلام، وكُلم في ذلك فقال: لا أعرفه.

ولما تخوف سفيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قرب يحيى بن سعيد، قال له: حولني من هذا الموضع، فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعيد بن زيد مناة بني تميم فلم يزل فيه، فكلمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال: هذا فعل أهل البدع، وما تخاف منهم، فاجمع سفيان وحماد على أن يقدما بغداد.

وفاته:

قال ابن المديني: أقام سفيان في اختفائه نحو سنة، وقال ابن مهدي: مرض سفيان بالبطن فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر نزل عن فراشه فوضع خده بالأرض، وقال: يا عبد الرحمن، ما أشد الموت، ولما غمضته وجاء الناس في جوف الليل وعلموا، وقيل: اخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشهده الخلق وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي بوصية من سفيان لصلاحه، وكان موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة.

قال أبو أسامة: لقيت يزيد بن إبراهيم صبيحة الليلة التي مات فيها سفيان، فقال لي: قيل لي الليلة في منامي: مات أمير المؤمنين، فقلت للذي يقول في المنام: مات سفيان الثوري؟ قال: نعم.

قال يوسف بن أسباط: رأيت الثوري في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: القرآن، فقلت: الحديث، فحول وجهه.

قال مصعب بن المقدام: رأيت النبي ﷺ في النوم أخذًا بيد سفيان الثوري وهو يجزيه خيرًا.

قال أبو سعيد الأشج: حدثنا إبراهيم بن أعين قال: رأيت سفيان بن سعيد فقلت: ما صنعت؟ قال: أنا مع السفرة الكرام البررة.

رحمه الله وجمعنا به في جنات النعيم.

مصادر هذه الترجمة:

١- تهذيب التهذيب.
٢- تاريخ بغداد.
٣- سير أعلام النبلاء.

الإعلام بسير الأعلام

إمام أهل الشام «الأوزاعي»

بقلم: مجدي عرفات

■ نسبه:

هو أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي شيخ الإسلام وعالِم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع قريبًا من دمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات.

■ مولده: قيل: كان مولده ببعلبك سنة

روي عنه أنه قال: مات أبي وأنا صغير فذهبت ألعب مع الغلمان، فمر بنا فلان- وذكر شيخًا جليلاً من العرب- ففر الصبيان حين رأوه وثبتّ أنا، فقال: ابن من أنت؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي، يرحم الله أباك، فذهب بي إلى بيته، فكنت معه حتى بلغت، فألحقني في الديوان وضرب علينا بعثًا إلى اليمامة، فلما قدمناها ودخلنا مسجد الجامع وخرجنا قال لي رجل من أصحابنا: رأيت يحيى بن أبي كثير «من شيوخه» معجبًا بك يقول: ما رأيت في هذا البعث أهدى من هذا الشاب، قال: فجالسته فكتبت عنه أربعة عشر كتابًا أو ثلاثة عشر فاحترق كله.

■ صفته: قال محمد بن عبدالرحمن السلمي: رأيت الأوزاعي فوق الربعة، خفيف اللحم، به سمرة، يخضب بالحناء.

■ عبادته: قال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض فأفاضوا في ذكر الله والتفقه في دينه.

قال أمية بن زيد: كان قد جمع العبادة والعلم والقول بالحق.

قال الوليد بن مزيد: كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوي عليه، ما أتى عليه زوال قط إلا وهو قائم يصلي.

قال الوليد بن مسلم: ما رأيت أكثر اجتهادًا في العبادة من الأوزاعي.

وعن سلمة بن سلام قال: نزل الأوزاعي على أبي ففرشنا له فراشًا فأصبح على حاله.

ثناء العلماء عليه

□ قال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس يقولون في سنة أربعين ومائة: الأوزاعي اليوم عالِم الأمة.

□ قال أبو مسهر: حدثنا سعيد قال: الأوزاعي هو عالِم أهل الشام، وسمعت محمد بن شعيب يقول: قلت لأمية بن زيد: أين الأوزاعي من مكحول؟ قال: هو عندنا أرفع من مكحول.

□ قال الذهبي: بلا ريب هو أوسع دائرة في العلم من مكحول.

□ قال مالك: الأوزاعي إمام يُقتدى به.

□ قال أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت مثل

الأوزاعي والثوري. فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، وأما الثوري فكان رجل خاصة نفسه، لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي- يريد الخلافة.

□ قال الخريبي: كان الأوزعي أفضل أهل زمانه.

□ قال الشافعي: ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي.

□ قال العباس بن الوليد بن مزيد: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء، كان الأوزاعي يتيمًا فقيرًا في حجر أمه تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته، يا بني عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول في نفسي: ترى في المجلس قلب لم يبك؟

□ قال أبو إسحاق الفزاري: ذاك رجل كان شأنه عجبًا، كان يسأل عن الشيء عندنا فيه الأثر فيرد- والله- الجواب كما هو في الأثر لا يقدم منه ولا يؤخر.

□ قال صدقة بن عبدالله: ما رأيت أحدًا أحلم ولا أكمل ولا أحمل فيما حمل من الأوزاعي.

□ قال إسحاق بن راهويه: إذا اجتمع الثوري والأوزاعي ومالك على أمر فهو سنة.

□ قال الذهبي: بل السنة ما سنه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده، والإجماع هو ما أجمعت عليه علماء الأمة قديمًا وحديثًا، فمن شذ عن الإجماع من التابعين أو تابعيهم لقول باجتهاده احتُمل له، فأما من خالف الثلاثة المذكورين من كبار الأئمة فلا يسمى مخالفًا للإجماع ولا للسنة، وإنما مراد إسحاق أنهم إذا اجتمعوا على مسألة فهو حق غالبًا كما نقول اليوم: لا يكاد يوجد الحق فيما اتفق أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع الأمة، ونهاب أن نجزم في مسألة اتفقوا عليها بأن الحق في خلافها. قال الوليد بن مسلم: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام إلى جنبه، فقلت: يا رسول الله، عمن أحمل العلم؟ قال: عن هذا، وأشار إلى الأوزاعي.

□ قال الفريابي: اجتمع سفيان والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة، فقال سفيان: يا أبا عمرو، حدثنا حديثك مع عبدالله بن علي- يعني عم السفاح- فقال: لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس يومًا على سريره وعبّى أصحابه أربعة أصناف: صنف بالسيوف المسلولة، وصنف معهم الجَرَزَةُ (من السلاح عمود من الحديد)، وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم الكَافِرْكُوب، ثم بعث إليَّ، فلما صرت إلى الباب أنزلوني عن دابتي وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي، فقال لي: أنت عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ قلت: قد كان بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفوا بها، قال: ويحك، أجعلتني وإياهم لا عهد بيننا؟ فأجهشت نفسي وكرهت القتل، فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها، فقلت: دماؤهم عليكم حرام، فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، فقال لي: ويحك، ولِمَ؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه». قال: ويحك، أَوَ ليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: كيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟ قلت: لو أوصى إليه لما حكّم الحكمين، فسكت وقد اجتمع غضبًا، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا أومأ أن أخرجوه، فخرجت، فما أبعدت حتى لحقني فارس، فنزلت وقلت: قد بعث ليأخذ رأسي أصلي ركعتين، فكبرت، فجاء وأنا أصلي فسلّم وقال: إن الأمير بعث إليك هذه الدنانير، قال: ففرقتها قبل أن أدخل بيتي.

□ قال الذهبي: كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر، ثم فني العارفون به وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف.

درر من أقواله

- عن الهقل بن زياد أن الأوزاعي وعظ فقال في موعظته: (أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم مرتحلون وخلائف القرون الذين استقالوا من الدنيا زهرتها، كانوا أطول منكم أعمارًا وأجدّ أجسامًا وأعظم آثارًا فجددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد، وأجسامهم كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن

طوت مدتهم وعفت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزًا، كانوا بلهو الأمل آمنين ولميقات يوم غافلين ولصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتًا من عقوبة الله فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة وزوال نعمة، ومساكن خاوية، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم في أجل منقوص ودنيا مقبوضة في زمان قد ولّى عفوه، وذهب رخاؤه فلم يبق منه إلا حُمة شرٍّ وصُبابة كدر، وأهاويل غِيَر وأرسال فتن ورُذالة خلف).

- عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.

- قال لبقية بن الوليد: لا تذكر أحدًا من أصحاب نبيك إلا بخير، يا بقية، العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عنهم فليس بعلم.

- لا يجتمع حب علي وعثمان رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.

- كنا نقول- والتابعون متوافرون-: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

- إذا أراد الله بقوم شرًا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل.

- من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قل كلامه.

- كتب المنصور للأوزاعي: أما بعد.. فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قِبَلك في عنقه فاكتب إليَّ بما رأيت فيه المصلحة مما أحببت، فكتب إليه: أما بعد.. فعليك بتقوى الله، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله ﷺ لن تزيد حق الله عليك إلا عِظمًا ولا طاعته إلا وجوبًا، إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلاً.

■ وفاته: توفي رحمه الله سنة سبع وخمسين ومائة.

مصادر هذه الترجمة

١- تهذيب التهذيب.

٢- سير أعلام النبلاء.

تنبيهات للصائمات

إن مما ينبغي على الأخت المسلمة أن تحذره :

- انشغال المرأة أغلب وقتها في المطبخ وعدم استغلال هذه المناسبات العظيمة في التزود من طاعة الله جل وعلا، والواجب عليها استغلال هذه المناسبة وعدم الانشغال في غيرها.

- تحرُّج بعض النساء في وضع الحناء في نهار رمضان ظنًا منهن أن ذلك يفسد الصيام، مع أن الحناء ليست من المفطرات.

- بعض النساء إذا صلت مع الإمام وكانت مسبوقة بركعة أو ركعتين فإنها تسلم مع الإمام ولا تقضي ما فاتها، فالواجب عليها أن تكمل ما فاتها من الركعات.

- عدم التراص في الصلاة وعدم تسوية الصفوف ووجود الفرجات والخلل في الصفوف إذا قدم النساء للصلاة في المسجد.

- بعض النساء في وقت النفاس قد تطهر قبل الأربعين، ومع ذلك لا تصوم حتى تكمل الأربعين، والواجب على المرأة إذا انقطع عنها الدم في أيام النفاس أن تصوم وتصلي ولو قبل الأربعين.

- تظن بعض النساء أنها إذا طهرت من عادتها قبيل الفجر ولم تتمكن من الغسل حتى أذن الفجر أنه لا يصح صومها وهي لم تغتسل من عادتها، والصواب أن صومها صحيح ويجوز لها الاغتسال بعد أذان الفجر.

- اجتهاد بعض النساء في الطاعة في شهر رمضان، فإذا جاءت إحداهن العادةُ الشهرية تركت جميع الطاعات، مع أن هناك الكثير من الأعمال الصالحة كالدعاء والذكر والاستغفار والتسبيح والصدقات والصلاة على رسول الله ﷺ وصلة الأقارب والإحسان إلى الناس وحفظ اللسان... إلى آخره.

- تطيب بعض النساء عند حضورهن إلى المساجد لأداء صلاة التراويح، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

- بعض النساء يتبخرن إذا حضرن إلى الصلاة في المسجد، وهذا من التطيب الممنوع.

- خروج الكثير من النساء إلى الأسواق في شهر رمضان بكثرة، وخصوصًا في العشر الأواخر بحجة شراء الملابس للعيد، وهذا فيه فتنة للخلق ومضيعة للوقت، وارتكاب للمحظور، وتفويت للأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

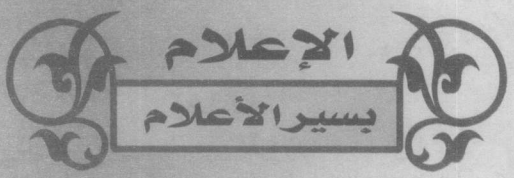

الإمام المبارك عبدالله بن المبارك

بقلم: مجدي عرفات

□ اسمه: ابن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي الحافظ الغازي الإمام شيخ الإسلام عالِم زمانه وأمير الأتقياء في وقته.

مولده: ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومائة، وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي التجارة والإنفاق على الإخوان وتجهيزهم معه إلى الحج. □

يقول الذهبي رحمه الله: واللَّه إني لأحبه في اللَّه وأرجو الخير بحبه؛ لما منحه اللَّه من التقوى والعبادة والإخلاص والجهاد وسعة العلم والإتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة. «تذكرة الحفاظ».

طلبه للعلم وحفظه

قال أبوه: لئن وجدت كتبك لأحرقنها. قال: فقلت له: وما عليّ من ذلك وهي في صدري.

قال أحمد: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه.

قال أبو أسامة: ما رأيت أطلب للعلم في الآفاق من ابن المبارك.

قال ابن المبارك: حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم.

قال الطيالسي: قلت لابن المبارك: مَن تجالس بخراسان؟ قال: أجالس شعبة وسفيان. قال أبو داود: يعني أنظر في كتبهما.

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لِمَ لم تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين. قلت له: وأين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في عملي فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم؟

جوده وسخاؤه

قال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبداللَّه بن المبارك، ولا أعلم أن اللَّه خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبداللَّه بن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مرو إلى مكة، فكان يطعمهم الخبيص وهو الدَّهْرَ صائم. قال علي بن الحسن ابن شقيق: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك يا أبا عبدالرحمن. فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق فيقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأجمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا

صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا. فيشتري لهم ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه!!

ويقول علي بن الحسن: إنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة، وقدم إلى الناس خمسة وعشرين فالوذج.

وقال الفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتجرت.

وقال علي بن الحسن: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم.

قال سلمة بن سليمان: جاء رجل إلى ابن المبارك فسأله أن يقضي دينًا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل: كم الدين الذي سألت فيه عبدالله أن يقضيه عنك؟ قال: سبعمائة درهم، فكتب إلى عبدالله إن هذا الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم، فكتب له سبعة آلاف درهم، وقد فنيت الغلات فكتب إليه عبدالله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضًا قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي.

قال الحسن بن حماد: دخل أبو أسامة على ابن المبارك فوجد في وجه عبدالله أثر الضُّر، فلما خرج بعث إليه أربعة آلاف درهم، وكتب إليه:

وفتى خلا من ماله
ومن المروءة غير خال
أعطاك قبل سؤاله
وكفاك مكروه السؤال

قال المسيب بن واضح: أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عياش أربعة آلاف درهم، فقال: سد بها فتنة القوم عنك.

شجاعته

قال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطرده ساعة فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت، فإذا هو عبدالله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كُمّه فمددته، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟

ثناء العلماء عليه

- قال العباس بن مصعب: جمع عبدالله بن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفرق.

قال أبو أسامة: ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس.

- قال أشعث بن شعبة المصيصي: قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرقة، فانجفل الناس خلف عبدالله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالِم من أهل خراسان قدم الرقة يُقال له: عبدالله بن المبارك. فقالت: هذا والله المُلك لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان.

- قال عبد الرحمن بن مهدي: الأئمة أربعة: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، وابن المبارك. وقال: ما رأيت رجلاً أعلم بالحديث من سفيان الثوري، ولا أحسن عقلاً من مالك، ولا أقشف من شعبة، ولا أنصح لهذه الأمة من عبدالله بن المبارك. وقال: حدثني ابن المبارك، وكان نسيج وحده.

قال سفيان: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة واحدة مثل عبدالله بن المبارك، فلم أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

قال أحمد بن عبدة: كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوسًا في المسجد الحرام، فطلع ابن

المبارك من الثنية، فقال سفيان: هذا رجل أهل المشرق، فقال فضيل: هذا رجل أهل المشرق والمغرب وما بينهما.

- قال هارون أمير المؤمنين لما مات ابن المبارك: مات سيد العلماء.

- قال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين.

- قال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه.

- قال عمار بن الحسن يمدح ابن المبارك:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة
فقد سار منها نورها وجمالها
وإذا ذكر الأحبار في كل بلدة
فهم أنجم فيها وأنت هلالها

قال الحافظ ابن حجر: ثقة ثبت فقيه عالِم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير.

درر من أقواله

- قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشيره. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

- قال: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة.

- ليكن عمدتكم الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث.

- من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موت يذهب علمه، وإما ينسى، وإما يلزم السلطان فيذهب علمه.

- أول منفعة العلم أن يفيد بعضهم بعضًا.

- سُئل: من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه- يعني من أمراء الظلمة- قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

- ليكن مجلسك مع المساكين وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة.

- ربّ عملٍ صغير تكثره النية، وربّ عمل كثير تصغره النية.

- في صحيح الحديث شغل عن سقيمه.

- قال علي بن الحسن بن شقيق لابن المبارك: كيف يعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على العرش، لا نقول كما تقول الجهمية هو هاهنا في الأرض.

- قال: إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية.

- قرأ شيئًا من القرآن ثم قال: من زعم أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم.

- إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع فيه الرب عز وجل، وعمر قد بقي لا يدري ما فيه من الهلكة، وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زينت يراها هدًى وزيغ قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر.

- قيل له: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد.

- ذكر التدليس فقال فيه قولاً شديدًا ثم أنشد:

دلس للناس أحاديثه
والله لا يقبل تدليسًا

- من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

- المداد في الثوب خلوق العلماء.

من أشعاره

وقد كان ابن المبارك شاعرًا محسنًا قوالاً بالحق. قيل له: إن ابن علية قد ولي القضاء، فكتب إليه:

يا جاعل العلم له بازيًا
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعدما
كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها

عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى
في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فماذا كذا
زل حمار العلم في الطين

كتب ابن المبارك إلى بعض العباد بالحرم:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
زهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نارٍ تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال رحمه الله:

إني امرؤ ليس في ديني لغامزه
لين ولست على الإسلام طعانا
فلا أسب أبا بكر ولا عمر
ولن أسب معاذ الله عثمانا
ولا ابن عم رسول الله أشتمه
حتى أُلبَّس تحت التُّرب أكفانا
ولا الزبير حواريّ الرسول ولا
أهدي لطلحة شتمًا عز أو هانا
ولا أقول عليٌّ في السحاب إذن
قد قلت والله ظلمًا ثم عدوانا
ولا أقول بقول الجهم إن له
قولاً يضارع أهل الشرك أحيانا
ولا أقول تخلى من خليقته
ربّ العباد وولّى الأمر شيطانا
ما قال فرعون هذا في تمرده
فرعون موسى ولا هامان طغيانا
الله يدفع بالسلطان معضلة
عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

يقال: إن الرشيد أعجبه هذا، فلما أن بلغه موت ابن المبارك بـ «هيت» - مدينة على الفرات - قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يا فضل، إيذن للناس يعزونا في ابن المبارك.

وقال: أما هو القائل: «والله يدفع بالسلطان معضلة»، فمن الذي سمع هذا من ابن المبارك ولا يعرف حقنا؟

قال رحمه الله: أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم. ثم أنشأ يقول:

الصمت أزين بالفتى
من منطق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى
في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره
سمة تلوح على جبينه
فمن الذي يخفى عليك
إذا نظرت إلى قرينه
ربّ امرئ متيقن
غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه
فابتاع دنياهُ بدينه

□ وفاته: قال العجلي: لما احتضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه: لا إله إلا الله، فأكثر عليه فقال له: لست تحسن وأخاف أن تؤذي مسلمًا بعدي إذا لقنتني فقلت: لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلامًا بعدها، فدعني، فإذا أحدثت كلامًا فلقني حتى تكون آخر كلامي.

ولقد توفي رحمه الله في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة، عن ثلاث وستين سنة.

المراجع

١- حلية الأولياء.
٢- سير أعلام النبلاء.
٣- تهذيب الكمال.
٤- تقريب التهذيب.
٥- الشريعة للآجري.
٦- شرح السنة للبربهاري
٧- مسند ابن الجعد.

شيخ المشرق إسحاق بن راهويه

بقلم: مجدي عرفات

نسبه: هو الإمام الكبير سيد الحفاظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبدالله بن مطر بن حنظلة التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور ابن راهويه.

مولده: ولد سنة إحدى وستين ومائة، روى عنه: أحمد، وابن معين، وإسحاق بن منصور، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

لماذا قيل له ابن راهويه؟

قال له الأمير عبد الله بن طاهر: لِمَ قيل لك ابن راهَوَيْه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يُقال لك ذلك؟ قال: اعلم أيها الأمير أن أبي ولد في طريق مكة، فقالت المراوزة: راهويه؛ لأنه ولد في الطريق، وكان أبي يكره هذا، وأما أنا فلا أكرهه.

سعة حفظه وضبطه

روى علي بن خشرم عن الشعبي قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته. قال علي: فحدثت بهذا إسحاق بن راهويه، فقال: تعجب من هذا؟ قلت: نعم، قال: ما كنت أسمع شيئًا إلا حفظته، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث- أو قال فاكثر- في كتبي.

وقال أبو داود الخفاف: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لكأني انظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفًا أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق أحد عشر ألف حديث من حفظه، ثم قرأها علينا فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا.

قال الذهبي: هذه الحكاية رواها الحافظ ابن عدي عن يحيى بن زكريا بن حيويه سمع أبا داود فذكرها، فهذا والله الحفظ.

قال أبو حاتم: ذكرت لأبي زرعة حفظ إسحاق بن راهويه، فقال أبو زرعة: ما رُئي أحفظ من إسحاق، ثم قال أبو حاتم: والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ.

قال أحمد بن سلمة: فقلت لأبي حاتم: إنه أملى التفسير عن ظهر قلب. قال: وهذا أعجب فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظها.

ثناء العلماء عليه

قال أحمد بن حنبل: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا.

قال أحمد بن سعيد الرباطي: لو كان الثوري والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق في أشياء كثيرة.

قال نعيم بن حماد: إذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه.

قال وهب بن جرير: جزى الله إسحاق بن راهويه وصدقة بن الفضل ويعمر عن الإسلام خيرًا، أحيوا السنة بالمشرق.

قال يحيى بن يحيى: ليوم من إسحاق أحبّ إليَّ من عمري.

قال أبو نعيم: كان إسحاق قرين أحمد، وكان للآثار مثيرًا، ولأهل الزيغ مُبيرًا.

وسُئل أحمد بن حنبل عن إسحاق فقال: مثل إسحاق يُسأل عنه؟ إسحاق عندنا إمام. وقال أيضًا: لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيرًا.

قال النسائي: ابن راهويه أحد الأئمة، ثقة مأمون.

وقال ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

سأل يحيى بن معين إسحاق عن حديث فحدثه به، فقال له رجل: يا أبا زكريا: رواه وكيع بخلاف هذا، فقال: اسكت إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتشك فيه؟

من أحواله وأقواله

قال حرب الكرماني: قلت لإسحاق: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] كيف تقول فيه؟ قال: حيثما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، وأبين شيء في ذلك قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال: إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة.

قال أبو داود السجستاني: سمعت ابن راهويه يقول: من قال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق- يعني القرآن- فهو جهمي.

وقال له بعض المتكلمين من منكري صفات الرب: كفرتُ بربٍّ ينزل من سماء إلى سماء، فقال: آمنتُ برب يفعل ما يشاء. قال الذهبي: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول قد صحت بها النصوص ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم- أي إجماعهم- على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن ذلك في محاولة للرد على الله ورسوله أو خوفًا على التكييف أو التعطيل.

قال إسحاق: دخلت على ابن طاهر، فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ تتلكم في هذا؟

وفاته: توفي رحمه الله سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

رحم الله شيخ المشرق إسحاق بن راهويه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء.

٢- تهذيب الكمال.

٣- سير أعلام النبلاء.

سفيان ابن عيينة

بقلم: مجدي عرفات

نسبه: هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الهلالي شيخ الإسلام حافظ العصر أبو محمد الكوفي ثم المكي.

مولده: ولد بالكوفة سنة سبع ومائة.

شيوخه: روى عن: الزهري، وابن عجلان، وهشام بن عروة، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي الزبير المكي، وابن جريج، وعمرو بن دينار، وابن طاوس، والأعمش، والثوري، وجعفر الصادق، وحميد الطويل، وأمم غيرهم.

تلاميذه: روى عنه: أحمد بن حنبل، والشافعي، وابن راهويه، وحماد بن زيد، ويحيى القطان، وسعيد بن منصور، والحميدي، وابن المبارك، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الرزاق الصنعاني، ووكيع بن الجراح، وابن معين، وخلق كثير.

حفظه للعلم

○ قال عنه البخاري: ابن عيينة أحفظ من حماد بن زيد.

○ قال العجلي: كان ابن عيينة ثبتًا في الحديث، وكان حديثه نحوًا من سبعة آلاف، ولم تكن له كتب.

○ قال ابن عيينة: ما كتبت شيئًا إلا حفظته قبل أن أكتبه.

ثناء العلماء عليه

قال الإمام الشافعي: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة، سوى ستة أحاديث.

قال الذهبي: فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم، وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين.

وقال الشافعي أيضًا: ما رأيت أحدًا فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه. قال: وما رأيت أحدًا أحسن تفسيرًا للحديث منه.

قال ابن وهب: لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة.

وقال يحيى القطان: ما بقي من معلمي أحد غير سفيان بن عيينة، وهو إمام منذ أربعين سنة.

وسُئل الثوري عنه، فقال: ذاك أحد الأحدين، ما أغربه، أي ليس له نظير.

قال الذهبي: ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج وما المحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة لإمامته وعلو إسناده وجاور عنده غير واحد من الحفاظ.

وقال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

من أحواله وأقواله

○ قال حرملة بن يحيى: إنَّ ابن عيينة قال له- وأراه خبز شعير-: هذا طعامي منذ ستين سنة!!

○ قال رحمه الله: لا تدخل هذه المحابر بيت رجل إلا أشقى أهله وولده- يعني لزهده في الدنيا بإقباله على العلم وكتابته.

○ وقال مرة لرجل: ما حرفتك؟ قال: طلب الحديث. قال: بشر أهلك بالإفلاس.

○ وقال: من زيد في عقله، نقص من رزقه.

○ وقال: من كانت معصيته في الشهوة فارجُ

له، ومن كانت معصيته في الكبر فاخش عليه، فإن آدم عصى مشتهيًا فغُفر له، وإبليس عصى مستكبرًا فلُعن.

○ قال سليمان بن مطر: كنا على باب سفيان بن عيينة فاستأذنا عليه، فلم يأذن لنا، فقلنا: ادخلوا حتى نهجم عليه، فكسرنا بابه ودخلنا وهو جالس، فنظر إلينا، فقال: سبحان الله! دخلتم داري بغير إذني، وقد حدثنا الزهري عن سهل بن سعد أن رجلاً اطلع في جحر من باب النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدرًى يحك به رأسه، فقال: «لو علمت أنك تنظرني لطعنت بها في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل النظر». [متفق عليه].

قال: فقلنا: ندمنا يا أبا محمد، فقال: ندمتم؟ حدثنا عبد الكريم الجزري عن زياد عن عبدالله بن معقل، عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «الندم توبة». اخرجوا فقد أخذتم رأس مال ابن عيينة. [والحديث صحيح. رواه أحمد وغيره].

○ قال محمد بن يوسف الفريابي: كنت أمشي مع ابن عيينة، فقال لي: يا محمد، ما يزهدني فيك إلا طلب الحديث، قلت: فأنت يا أبا محمد أي شيء كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال: كنت إذ ذاك صبيًا لا أعقل.

علق الذهبي على ذلك فقال: إذا كان مثل هذا الإمام يقول هذه المقالة في زمن التابعين أو بعدهم بيسير وطلبُ الحديث مضبوط بالاتفاق والأخذ عن الأثبات والأئمة، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طلبة الحديث في وقتنا وما هم عليه من الهنات والتخبيط والأخذ عن جهلة بني آدم وتسميع ابن شهر.

أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها

قُلْتُ: فماذا لو رأى الذهبي ما صار إليه شباب زماننا وجراتهم على الأئمة وجبال الحفظ مع قلة بضاعتهم وحشفها. والله المستعان على ما يصفون.

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجرب

○ قال ابن عيينة: الورع طلب العلم الذي به يعرف الورع.

○ وقال: شهدت ثمانين موقفًا- يعني عرفات- ويروى أنه كان يقول في كل موقف: اللهم لا تجعله آخر العهد منك، فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شيئًا، وقال: قد استحييت من الله تعالى.

سأله رجل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، منه خرج، وإليه يعود.

○ قيل له: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية؟ قال: حق على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه.

قُلْتُ: يعني الإيمان بها كما جاءت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وحجب أهل النار عن رؤيته سبحانه.

○ سُئل رحمه الله عن الزهد في الدنيا، فقال: الزهد فيما حرّم الله، فأما ما أحل الله فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا وركبوا ولبسوا وأكلوا، لكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه وكانوا به زهادًا.

- قال رحمه الله: من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر، ثم ذكر إبليس.

○ قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن عفان: سمعت ابن عيينة في السنة التي أخذوا فيها بشرًا المريسي بمنًى، فقام سفيان في المجلس مغضبًا، فقال: لقد تكلموا في القدر والاعتزال وأمرنا باجتناب القوم، رأينا علماءنا هذا عمرو بن دينار وهذا محمد بن المنكدر، حتى ذكر أيوب بن موسى والأعمش ومسعرًا ما يعرفونه إلا كلام الله ولا نعرفه إلا كلام الله، فمن قال غير ذا فعليه لعنة الله مرتين، فما أشبه هذا بكلام النصارى، فلا تجالسوهم.

○ قال رحمه الله: غضبُ الله الداءُ الذي لا دواء له، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الناس.

قال الأصمعي يرثيه:

لِتَبْكِ سفيان باغي سنةٍ درست
ومستبين آثاراتٍ وآثار
ومبتغي قرب إسناد وموعظةٍ
وواقفين من طار ومن ساري
أمست منازله وحشًا معطلة
من قاطنين وحُجّاج وعُمار
مَنْ للحديث عن الزهري يسنده
وللأحاديث عن عمرو بن دينار
ما قام من بعده من قال حدثنا
الزهري في أهل بدوٍ أو بإحضار
وقد أراه قريبًا من ثلاث منًى
قد خف مجلسه من كل أقطار
بنو المحابر والأقلام مُرهفةً
وسَمَا سِمَاتٍ فراها كلُّ نجار

وفاته: توفي رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائة، عن إحدى وتسعين سنة.

مصادر الترجمة

- حلية الأولياء.
- تهذيب الكمال.
- ميزان الاعتدال.
- مسند ابن الجعد.
- سير الأعلام.

شُعبَةُ ابنُ الحجاج

بقلم: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو بِسْطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري.

مولده: ولد سنة ثمانين، وقيل: اثنتين وثمانين في دولة عبدالملك بن مروان.

شيوخه: حدث عن: أنس بن سيرين، وقتادة ابن دعامة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن أبي كثير، وأيوب السختياني، وخلق كثير.

تلاميذه: حدث عنه: أيوب، وابن المبارك، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو داود الطيالسي، وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه

قال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق.

قال أيوب السختياني: هو فارس في الحديث.

وقال الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال لما مات: اليوم مات الحديث.

قال أحمد بن حنبل: كان شعبة أمة في هذا الشأن (يعني الحديث).

قال يحيى بن معين: شعبة إمام المتقين.

قال أبو زيد الأنصاري: هل العلماء إلا شعبةُ من شعبة؟

قال وكيع: إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة درجاته في الجنة بذبه عن رسول الله ﷺ.

كان حماد بن زيد إذا حدث عن شعبة قال:

حدثنا الضخم عن الضخام

شعبة الخير أبو بسطام

قال سليمان بن المغيرة: شعبة سيد المحدثين.

قال أبو نعيم: الإمام المشهور والعلم المنشور، في المناقب مذكور، له التقشف والتعبد والتكشف عن الأخبار والتشدد، أمير المؤمنين في الرواية والتحديث، وزين المحدثين في القديم والحديث، أكثر عنايته بتصحيح الآثار والتبري من تحمل الأوزار، المتثبت المحجاج أبو بسطام شعبة بن الحجاج، كان للفقر عانقًا، وبضمان الله تعالى واثقًا.

قال الذهبي: كان أبو بسطام إمامًا ثبتًا حجة ناقدًا، جهبذًا، صالحًا، زاهدًا قانعًا بالقوت، رأسًا في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرّح وعدّل. قال ابن حجر: ثقة حافظ متقن.

عبادته: قال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي.

قال أبو بحر البكراوي: ما رأيت أحدًا أعبد لله من شعبة، لقد عبدالله حتى خف جلده على عظمه واسود.

قال أبو قطن: كانت ثياب شعبة كالتراب، وكان كثير الصلاة سخيًا.

قال حمزة بن زياد: كان قد يبس جلده على عظمه من العبادة.

زهده: قال قراد أبو نوح: رأى عليّ شعبة

قميصًا فقال لي: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم. فقال لي: ويحك، أما تتقي الله، تلبس قميصًا بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصًا بأربعة دراهم وتصدقت بأربعة فكان خيرًا لك. قلت: يا أبا بسطام، إنا مع قوم نتجمل عليهم. فقال شعبة: أيش نتجمل؟ قال: إذا كان عندي دقيق ومُصْب ما أبالي ما فاتني من الدنيا.

قال عبدالرحمن بن مهدي: ما رأيت أحدًا أكثر تقشفًا من شعبة.

قال عبدان بن عثمان عن أبيه: قوّمنا بحمار شعبة وسرجه ولجامه بضعة عشر درهمًا.

من أحواله وأقواله

- قال: كل شيء ليس في الحديث سمعت، فهو نقل.

- قال: وأي شيء ألذ من أن تلقى شيخًا قد لقي الناس وأنت تستثيره وتستخرج منه العلم قد خلوت به؟

قلت: اشترط أن يكون قد لقي الناس ؛ أي العلماء ليكون علمه موثقا منضبطًا.

- قال: كل من كتبت عنه حديثًا فأنا له عبدٌ.

قلت: هكذا كان تعظيم الشيوخ.

- قال: ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث. وقال: وددت أني وقاد حمام (يشعل النار لتسخين ماء الحمام)، وأني لم أعرف الحديث.

قال الذهبي: كل من حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا ويود أن ينجو كفافًا. اهـ.

نسأل الله الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يعصمنا من الفتن.

- سُئل عن ابن عوف فقال: سمنٌ وعسلٌ، قيل: فما تقول في هشام بن حسان؟ فقال: خل وزيت، قيل: فما تقول في أبي بكر الهذلي؟ قال: دعني لا أقيء به.

- وقال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أحدث عن أبي هارون العبدي.

- قال له ابن مهدي: من الذي تترك الرواية عنهم؟ قال: إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يعرف أو أكثر الغلط، أو تمادى في غلط مجتمع عليه ولم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو رجل متهم بكذب، وسائر الناس فارْو عنهم.

قال مكي بن إبراهيم: كان شعبة يأتي عمران بن حدير فيقول: تعال يا عمران نغتاب في الله ساعة، نذكر مساوئ أصحاب الحديث.

قُلْتُ: يعني من كان منهم من أهل السوء؛ سوء الحفظ، أو سوء المذهب ؛ وهو الجرح.

قال النضر بن شميل: سمعت شعبة يقول: تعالوا نغتاب في الله- يريد الكلام في الشيوخ.

قلت: جعل الكلام في الشيوخ، يعني تجريح المجروح والطعن فيهم قربة لله، كيف لا وهو حماية للدين وحفظ لسنة سيد المرسلين من كذب الكاذبين وخلط المغفلين.

- قال شعبة: من طلب الحديث أفلس، بعتُ طست أمي بسبعة دنانير.

- لأن أخر من السماء أو من فوق هذا القصر أحب إليّ من أن أقول قال الحكم لشيء لم أسمعه منه.

قال الذهبي: هذا والله الورع.

قال الشافعي: كان شعبة يجيء إلى الرجل (يعني الذي ليس أهلاً للحديث) فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك بالسلطان.

قال حماد بن زيد: رأيت شعبة قد لبَّب أبان بن أبي عياش يقول: أستعدي عليك إلى السلطان فإنك تكذب على رسول الله ﷺ. قال: فبصر بي، فقال: يا أبا إسماعيل. قال: فأتيته، فما زلت أطلب إليه حتى خلعته.

- وقال حماد أيضًا: لقيني شعبة بن الحجاج ومعه مدرة (طين)، فقلت: يا أبا بسطام، أين تريد؟ قال: إلى أبان بن أبي عياش أدعوه إلى القاضي فإنه يكذب. فقلت له: فإني أخاف عليك عبدالقيس. قال: فكلمته فانصرف. قال حماد: ثم لقيني شعبة بعد ذلك فقال لي: يا أبا إسماعيل، إني نظرت في ذلك فلم يسعني السكوت.

- قال: داري وحماري في المساكين صدقة، إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث.

قلت: انظر وتأمل هذا التجريح الشديد والتهديد والوعيد من أمير المؤمنين في الحديث لهذا الرجل الذي قال عنه ابن حبان: كان من العباد الذي يسهر الليل بالقيام ويطوي النهار بالصيام. وقال عنه أيوب السختياني: ما زال نعرفه بالخير

منذ كان، لا يذكره شعبة إلا بالجرح الشديد، ولم يقرن معه ذكر حسناته ؛ لأن المقام مقام تحذير وتنفير، وبذكرها يضعف التحذير.

قال أبو داود الطيالسي: كنت يومًا بباب شعبة، وكان المسجد مَلأً، فخرج شعبة فاتكأ عليّ. وقال: يا سليمان، ترى هؤلاء كلهم يخرجون محدثين؟ قلت: لا. قال: صدقت، ولا خمسة، يكتب أحدهم في صغره، ثم إذا كبر تركه أو يشتغل بالفساد. قال: ثم نظرت بعد ذلك، فما خرج منهم خمسة، قلت: نعم ؛ لأنه لا يصبر على الحديث إلا أهله بحق، كما أنه لا يصبر على الخل إلا دوده، ومن ثبت نبت.

- قال يحيى بن سعيد: كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث، فامتنع، فقلت: لِمَ لا تحدثه؟ قال: هؤلاء قُصّاص يزيدون في الحديث.

قُلْتُ: يعني بالقصاص الوعاظ الذين لا يتقنون الحديث ولا يحفظونه، فيزيدون فيه ما ليس منه خطأً وغفلةً.

- قال له أمية بن خالد: لِمَ لا تحدث عن محمد العرزمي وعبد الملك بن أبي سليمان فإنه حسن الحديث؟ قال: من حسنها فررت. يعني أنها ليست بحسنة في الحقيقة.

- قال بقية: سمعت شعبة يقول: إني لأُذاكر بالحديث قد فاتني فأمرض.

- ركب شعبة حمارًا له، فلقيه سليمان بن المغيرة، فشكى إليه، فقال له شعبة: واللّه ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نزل عنه ودفعه إليه.

- قال نصر بن حماد البجلي: سمعني شعبة أحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبداللّه بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل، فتوضأت ثم جئت إلى رسول الله ﷺ وإذا أصحابه حوله، فدنوت فسمعته يقول: «من توضأ ثم دخل المسجد فصلى ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه». فقلت: بخ بخ.. فذكر الحديث(١). قال: فلطمني شعبة فتنحيت في ناحية أبكي، فقال: ما له يبكي؟ قال له ابن إدريس: إنك أسأت إليه. فقال شعبة: انظر ما يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق، أنا قلت لأبي إسحاق: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: حدثني عبدالله بن عطاء عن عقبة، فقلت: سمع عبداللّه بن عطاء من عقبة؟ ومسعر حاضر، فقال مسعر: عبداللّه بن عطاء بمكة، فرحلت إليه بمكة ما أردت الحج أردت الحديث، فسألت عبدالله بن عطاء عن الحديث، فقال: فقال سعد بن إبراهيم: حدثني، فقال مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، فرحلت إلى المدينة فسألت عنه سعدًا فقال: الحديث من عندكم، زياد بن مخراق حدثني، فقلت: أي شيء هذا الحديث؟ بينا هو كوفي إذ صار مكيًا، إذ صار مدنيًا، إذ صار بصريًا، فأتيت البصرة فسألت زياد بن مخراق، فقال: ليس الحديث من بابتك (أي من أحاديثك المنتقاة)، فقلت: لا بد من أن تخبرني به، فقال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر، فلما ذكر شهرًا قلت: دمّر عليّ هذا الحديث، قال نصر بن حماد: قال شعبة: واللّه لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ كان أحب إليّ من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين.

قُلْتُ: سبحان اللّه، لو صحت هذه القصة فعجبًا من هذه الهمة العالية في طلب حديث واحد يجوب البلاد، اللهم غفرًا من تقصيرنا.

قال يحيى بن سعيد: كان شعبة من أرق الناس، كان ربما مرّ به السائل فيدخل بيته فيعطيه ما أمكنه.

وقال الخضر بن شميل: ما رأيت أرحم بالمسكين من شعبة، إذا رأى مسكينًا لا يزال ينظر إليه حتى يتغيب عن وجهه.

قلت: هكذا كان الأوائل.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفاته: توفي رحمه اللّه سنة ستين ومائة بالبصرة.

رحم اللّه شعبة، وهذا غيض من فيض من أخبار هذا الإمام عليه الرحمة والرضوان، وجمعنا به مع أصحاب الحديث تحت لواء صاحب الحديث الأول سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ. والحمد للّه رب العالمين.

هامش

(١) أصل الحديث المرفوع عند مسلم في الصحيح.

الإمام حماد ابن زيد

بقلم: مجدي عرفات

اسمه: حماد بن زيد بن درهم الجهضمي أبو إسماعيل البصري الأزرق مولى آل جرير بن حازم، كان جده درهم من سبي سجستان.

مولده: ولد سنة ثمان وتسعين من الهجرة.

شيوخه: سمع من أنس بن سيرين، وعمرو بن دينار، وأيوب السختياني، ومنصور بن المعتمر، وخلق كثير.

طلابه: روى عنه سفيان وشعبة، وهما من شيوخه، وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك وأبو النعمان ومسدد، وسليمان بن حرب، وعلي بن المديني، وقتيبة بن سعيد، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه

○ قال ابن معين: ليس أحد أثبت من حماد بن زيد.

○ قال يحيى بن يحيى النيسابوري: ما رأيت شيخًا أحفظ من حماد بن زيد.

○ وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين، هو أحب إليَّ من حماد بن سلمة.

○ قال عبد الرحمن بن مهدي: لم أر أحدًا قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد.

○ قال أبو نعيم: الإمام الرشيد، الآخذ بالأصل الوكيد، المتمسك بالمنهج الحميد، نزل من العلوم بالمحل الرفيع، وتوصل إلى الأصول بالوسيط المنيع، اقتبس الآثار عن الأخيار، وأخذ الأعمال عن الأبرار، أكبر فوائده في الأقضية والأحكام، وأبلغ مواعظه في مراعاة الأبنية والأعلام.

قال الذهبي: لا أعلم بين العلماء نزاعًا في أن حماد بن زيد من أئمة السلف، ومن أتقن الحفاظ وأعدلهم وأعدمهم غلطًا على سعة ما روى رحمه الله.

قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه.

قال عبد الرحمن بن خراش الحافظ: لم يخطئ حماد بن زيد في حديث قط.

قال ابن المبارك:

أيها الطالب علمًا
إيت حماد بن زيد
تقتبس حلمًا وعلمًا
ثم قيده بقيد
لا كثور وكجهم
وكعمرو بن عبيد

○ قال أبو عاصم النبيل: مات حماد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له نظيرًا في هيئته ودلّه، أظنه قال: وسمته.

○ قال يزيد بن زريع لما سمع بموته: مات اليوم سيد المسلمين.

○ قال خالد بن خداش: حماد بن زيد من عقلاء الناس وذوي الألباب.

من أحواله وأقواله

○ قال يحيى بن المغيرة: قرأت كتاب حماد بن زيد إلى جرير: بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة، وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك، اثبت على ذلك ثبتك الله. اهـ.

قلت: هذا هو معتقد أهل السنة، أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. قال القحطاني في «نونيته»:

إيماننا بالله بين ثلاثة
عمل وقول واعتقاد جنان
ويزيد بالتقوى وينقص بالردى
وكلاهما في القلب يعتلجان

وقد قال الإمام البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه، وهو قول وفعل ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا

إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله جل ذكره: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]... إلخ ما ذكره، مما يدل على هذا المعتقد الصحيح الذي عليه أهل السنة، وروى اللالكائي بسنده الصحيح إلى البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من علماء الأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. اهـ.

قلت: وقول حماد الإمام: تقول في الإيمان بالزيادة.. ولم يذكر النقصان؛ لأن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة، وأهل الكوفة وهم المرجئة يقولون: الإيمان اعتقاد فقط، أو قول واعتقاد فقط، وأن العمل ليس من الإيمان، ولا يقولون بالزيادة والنقصان، فيقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأن إيمان آحاد الناس كإيمان جبريل والملائكة، وهذا ضلال.

قال سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يحدث بالحديث فيقول: سمعته منذ خمسين سنة ولم أحدث به قبل اليوم، ولم يكن له كتاب إلا كتاب يحيى بن سعيد (يعني الأنصاري).

قال حماد: القرآن كلام الله، نزل به جبريل من عند رب العالمين.

قال مطر بن حماد بن واقد: سألت حماد بن زيد فقلت: يا أبا إسماعيل، إمام لنا يقول: القرآن مخلوق، أصلي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة.

قلت: لأن عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، وكلام الله صفة من صفاته، وتعالى ربنا أن يكون شيء من صفاته مخلوقًا.

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في سلّم الوصول:

والقول في كتابه المفصّلْ
بأنّه كُلامهُ المنزّلْ
على الرسول المصطفى خير الورى
ليس بمخلوقٍ ولا بمفترى
يُحفظ بالقلب وباللسان
يُتلى كما يُسمعُ بالآذان
كذا بالأبصار إليه يُنظرُ
وبالأيادي خطه يُسَطَّرُ
وكلّ ذي مخلوقةٌ حقيقةْ
دون كلام بارئ الخليقةْ
جلّت صفاتُ ربنا الرحمن
عن وصْفها بالخَلْق والحدثان
فالصوتُ والألحان صوت القاري
لكنّما المتلوُّ قولُ البَاري

قال خالد بن خداش: سمعت حماد بن زيد يقول: لئن قلت: إن عليًا أفضل من عثمان لقد قلت: إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا.

قلت: لأنهم أجمعوا على أن عثمان مقدم على عليّ في الخلافة وبايعوه على ذلك. وقد قال ابن عمر كما في «الصحيحين» (خ: ٣٦٩٧): كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. اهـ.

وقال الشافعي: أجمع الصحابة واتباعهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. [«فتح الباري» (٢١/٧)].

قال سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول في قوله تعالى: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قرئ حديثه وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن.

قال يزيد بن هارون: قلت لحماد بن زيد: هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ قال: بلى، الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ...﴾ الآية، فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه ورجع به إلى من وراءه فعلّمه إياه.

قال حماد: إنما يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله- يعني الجهمية.

قلت: وهم الذين ينسبون لجهم بن صفوان، ومن مقالاتهم الضالة نفي الصفات عن الله عز وجل، ومنها صفة العلو الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة والفطرة والعقل علو الذات وعلو القدر وعلو القهر.

علو قهر وعلو الشان
جل عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية
على عباده بلا كيفية

وفاته: توفي رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة في رمضان، وفي نفس السنة التي مات فيها مالك. قال الذهبي: رحمهما الله، فلقد كانا ركني الدين، ما خلفهما مثلهما. اهـ.

نسأل الله أن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

مصادر الترجمة

١- الجرح والتعديل
٢- حلية الأولياء
٣- تهذيب الكمال
٤- سير أعلام النبلاء
٥- تقريب التهذيب
٦- معارج القبول
٧- فتح الباري
٨- نونية القحطاني.

نعيم بن حماد وكتابه «الفتن»

عمدة أخبار صاحب «هرمجدون»

إعداد: مجدي عرفات

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى... وبعد:

فإن الإخبار عن الله ورسوله من أعظم الأخبار؛ لأنه دين يجب التثبت فيه، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقول على الله بلا علم من أعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. هذا في الحلال والحرام، فكيف الأمر إذا كان في ادعاء علم الغيب أو تأويل لأخبار مستقبلية أو إيقاع لأشراط الساعة على أشخاص أو بقاع أو أجناس إذا لم يثبت كل ذلك بالدليل الصحيح أو لم يفسر القرآن أو الحديث الثابت بالتفسير الصحيح عن السلف المتقدمين.

هذا، وقد انتشر في الفترة الأخيرة كتاب أثار الجدل بين العامة لتسميته لبعض الأشخاص وتحديد كونهم المعنيين بأحاديث وأخبار نسبت للنبي ﷺ ولا يثبت منها شيء، وكان عمدة هذا الكتاب كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد الخزاعي، فأردت النصيحة للأمة؛ لأن «الدين النصيحة»، كما قال رسول الله ﷺ، قالوا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». [رواه مسلم من حديث تميم الداري].

وهذه النصيحة ببيان مكانة نعيم بن حماد وكتابه عند الأئمة، فأقول وبالله أستعين:

هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، روى عن أبي حمزة السكري وهشيم وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، ونوح بن أبي مريم، وعبد العزيز الدراوردي، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، وابن وهب، والوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح، وعبد الرزاق، وأبي داود الطيالسي، وخلق كثير من العراق ومصر والشام واليمن.

روى عنه: البخاري مقرونًا بغيره- وقال الحافظ ابن حجر: لم يخرج عنه في الصحيح سوى موضع أو موضعين. قُلْتُ: فالبخاري لم يحتج بالرجل وليس لمن يكرر عند ذكر نعيم (شيخ البخاري) حجة في تقوية أحاديث الرجل كما سيأتي في أقوال أئمة فيه، وروى عنه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه بواسطة، ويحيى بن معين، ومحمد بن يحيى الذهلي، والدارمي، ويعقوب الفسوي، وخلق كثير.

أقوال الأئمة فيه

- قال أحمد: كان نعيم كاتبًا لأبي عصمة- يعني نوحًا الجامع- وكان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، ومنه تعلم نعيم.
- وقال أحمد أيضًا: كان من الثقات.
- قال علي بن الحسين بن حبان: وجدت في

كتاب أبي بخط يده، قال أبو زكريا- يعني ابن معين-: نعيم ثقة صدوق رجل صدق أنا أعرف الناس به، كان رفيقي بالبصرة وكتب عن روح خمسين ألف حديث، فقلت له قبل خروجي من مصر: هذه الأحاديث التي أخذتها من العسقلاني أي شيءٍ هي؟ فقال: يا أبا زكريا، مثلك يستقبلني بهذا؟ فقلت: إنما قلت شفقة عليك، قال: إنما كانت معي نسخ أصابها الماء، فدرس بعض الكتاب، فكنت أنظر في كتابي هذا في الكلمة التي تشكل عليّ فإذا كان مثل كتابي عرفته، فأما أن أكون كتبت منه شيئًا قط فلا والله الذي لا إله إلا هو. قال أبو زكريا: ثم قدم علينا ابن أخيه وجاءه بأصول كتبه من خراسان، إلا أنه كان يتوهم الشيء كذا يخطئ فيه، فأما هو فكان من أهل الصدق. اهـ.

قُلْتُ: من هذه الحكاية يظهر أن ابن معين يوثقه من حيث الدين، فأما الرواية- وخاصة في هذا الكتاب- فكان يتوهم.

- وقد سأل أبو زرعة ابنَ معينٍ عن حديث حدث به نعيم فأنكره، فقال أبو زرعة: من أين أُتي؟ قال: شُبِّه له. وقال يحيى أيضًا: ليس في الحديث بشيء، ولكنه كان صاحب سنة.

- وقال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديث يوقفها الناس.

- وقال أبو حاتم: محله الصدق.

- قال الذهبي: وتفرد نعيم بذاك الخبر المنكر: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا: «إنكم في زمان من ترك فيه عُشر ما أُمر به فقد هلك، وسيأتي على أمتي زمان من عمل بعُشر ما أُمر به فقد نجا». فهذا ما أدري من أين أتى به نعيم؟ وقد قال نعيم: هذا حديث ينكرونه وإنما كنت مع سفيان فمر شئ فأنكره ثم حدثني بهذا الحديث.

قلت- القائل الذهبي-: هو صادق في سماع لفظ الخبر من سفيان، والظاهر- والله أعلم- أن سفيان قاله من عنده بلا إسناد، وإنما الإسناد قاله لحديث كان يريد أن يرويه، فلما رأى المنكر تعجب وقال ما قال عقيب ذلك الإسناد، فاعتقد نعيم أن ذاك الإسناد لهذا القول. والله أعلم. اهـ.

قلت: لو صح هذا التأويل من الذهبي لكان دالاً على غفلة نعيم، حيث لم يفرق بين الحديث والكلام من سفيان، والله أعلم.

وروى ابن عدي حديثه عن الدراوردي، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا: «لا تقل: أُهريق الماء، ولكن قل: أبول». رواه عنه أبو الأحوص العُكبري. ثم قال أبو الأحوص: وضع نعيم هذا الحديث فقلت له: لا ترفعه، فإنما هو من قول أبي هريرة فأوقفه. قال ابن عدي: وهذا رفعه منكر. قال الذهبي: فقد رجع المسكين إلى وقفه. اهـ.

قُلْتُ: فهذه غفلة شديدة، غير أن العكبري وصفه بوضع هذا الحديث.

- وقال النسائي: ليس بثقة. وقال مرة: ضعيف.

- وقال أبو عروبة: كان نعيم بن حماد مظلم الأمر.

- وقال أبو علي النيسابوري: سمعت أبا عبد الله النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدُّمه في العلم والمعرفة والسنن ثم قيل له في قبول حديثه، فقال: قد كَثُر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار في حدّ من لا يحتج به.

- وقال أبو داود: عن نعيم بن حماد نحو عشرين حديثًا عن النبي ﷺ ليس لها أصل.

- وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: ربما أخطأ ووهم.

- وقال الذهبي: نعيم من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته. وقال أيضًا: لا يجوز لأحد أن يحتج به.

- وقد كان شديدًا في السنة، ولذلك قال الدولابي: نعيم ضعيف. قاله أحمد بن شعيب. وقال غيره- يعني الأزدي-: كان يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات عن العلماء في ثلب أبي حنيفة، وقد رد ذلك ابن عدي.

- وقال مسلمة بن قاسم: كان صدوقًا وهو كثير الخطأ وله أحاديث منكرة في الملاحم انفرد بها وله مذهب سوءٍ في القرآن كان يجعل القرآن قرآنين، فالذي في اللوح المحفوظ كلام الله تعالى، والذي بأيدي الناس مخلوق. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: كأنه يريد الذي في أيدي الناس ما يتلونه بألسنتهم ويكتبونه بأيديهم، ولا شك أن المداد والورق والكاتب

والتالي وصوته كلُ مخلوق، وأما كلام الله سبحانه وتعالى فإنه غير مخلوق قطعًا. اهـ.

- وقال الخطيب: روى أحاديث مناكير عن الثقات.

- قال الدارقطني: إمام في السنة كثير الوهم.

- وقال أبو أحمد الحاكم: ربما يخالف في بعض حديثه.

- وقال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرًا فقيه عارف بالفرائض. وهذا في مراتب الرد إلا في المتابعات.

قلت: والعجيب أن المعلق على كتاب الفتن ترجم لنعيم بن حماد ونقل بعض أقوال الأئمة في نعيم، ثم قال: وعليه فحديث الرجل لا يرقى إلى الصحيح ولا ينزل إلى الضعيف، بل هو وسط بين هذا وذاك، فهو حسن الحديث، وتأتي أحاديثه في مرتبة الحديث الحسن تصلح في المتابعات والشواهد وتُحسّن بنفسها، وأظنه هو القول الوسط العدل في الرجل، والله أعلى وأعلم. اهـ.

قلت: تأمل هذا التناقض، فكيف تكون أحاديثه في مرتبة الحسن، وفي نفس الوقت تصلح في المتابعات والشواهد وتحسن بنفسها؟ أليس الحديث الحسن حجة بنفسه حتى يقول: (تصلح في المتابعات والشواهد)؟ أين الأحاديث التي تصلح في المتابعات والشواهد!! هي الضعيفة ضعفًا خفيفًا بمجموعها تتقوى ويشهد بعضها لبعض ويتابع بعضها بعضًا حتى تكون حجة في درجة الحسن لغيره أو الصحيح لغيره، والله أعلم.

كتاب الفتن

وأما كتابه الفتن فقد جمع فيه أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها كما قال مسلمة بن قاسم.

وقال الذهبي: وقد صنف كتاب «الفتن»، فأتى فيه بعجائب ومناكير.

قلت: والناظر في هذا الكتاب يجد الأحاديث التي تفرد بها نعيم بين منكر وضعيف جدًا وموضوع ويجد معاني عجيبة كما قال الذهبي، وخاصة في أخبار آخر الزمان.

أذكر لك عدة أمثلة من هذه الأحاديث:

١- حديث: «بعثني الله تعالى حين أسرى بي إلى يأجوج ومأجوج فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار ومن عصا من ولد آدم وولد إبليس». وهذا حديث موضوع، كما قال ابن الجوزي، ففي سنده نوح الجامع، وهو متروك.

٢- حديث أنس بن مالك قال: أتيت رسول الله ﷺ ومعي وصيف بربري، فقال رسول الله ﷺ: «إن قوم هذا أتاهم نبي قبلي فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وشربوا مرقه». وهذا حديث موضوع، في سنده عنبسة بن عبد الرحمن.

٣- حديث: «أول الناس هلاكًا فارس ثم العرب على إثرهم». ضعيف جدًا، في سنده مينا بن أبي مينا مولى عبد الرحمن بن عوف متروك.

٤- حديث: «يتمتع أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام الذين قاتلوا معه الدجال بعد خروج دابة الأرض أربعين سنة في نعمة وأمن». وسنده ضعيف جدًا مسلسل بالضعفاء.

٥- حديث: «يخرج من خراسان الرايات السود لا يردها شيء حتى تنصب بإيلياء». ضعيف، ورواه الترمذي، وقال: غريب (٢٢٦٩)، وفي سنده رشدين بن سعد، وله سند آخر فيه سويد بن سعيد الحدثاني متهم رواه ابن عدي، وفي سنده داود بن عبد الجبار منكر الحديث.

٦- حديث: «يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة على أن يبعث المسلمون إليهم جيشًا يكون بالقسطنطينية عونًا لهم ويهزمونهم ويقتلونهم، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، فيقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيتراجع القوم ذلك بينهم، فيقوم المسلم إلى الرومي فيضرب عنقه فتنتكث الروم حتى إذا رجعوا إلى القسطيطينية وأمنوا قتلوهم وهم آمنون، فإذا قتلوهم عرفوا أن المسلمين سيطلبونهم بدمائهم، فيخرج الروم على ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا». ضعيف، وفي سنده ضعفاء؛ رشدين بن سعد، وابن لهيعة، وهو مرسل أيضًا.

٧- حديث: «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته». ضعيف جدًا.

٨- حديث: «سيكون من بني أمية رجل أخنس بمصر يلي سلطانًا، يُغلب على سلطانه أو ينتزع منه، فيفر إلى الروم، فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام، فذلك أول الملاحم». ضعيف، في إسناده ابن لهيعة، وأبو تيم مجهول.

وفي هذا كفاية لمن أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل وكتابه، وليس مقصودنا الرد على كتاب معين، فالرد له مقام آخر. والله أعلم.

الإمام: عبدالرحمن ابن مهدي

إعداد: مجدي عرفات

اسمه: هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي مولاهم البصري اللؤلؤي.

مولده: ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وطلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة.

شيوخه: سمع من هشام الدستوائي وشعبة بن الحجاج وحماد بن سلمة، ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وهشيم وأبي عوانة، وأمم.

طلابه: حدث عنه ابن المبارك وابن وهب- وهما من شيوخه- وابن المديني وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة أبو بكر عمرو بن علي الفلاس، وابن معين، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه

قال الشافعي: لا أعرف له نظيرًا في هذا الشأن (الحديث).

قال أحمد بن حنبل: عبد الرحمن أفقه من يحيى القطان، وقال: إذا اختلف عبد الرحمن ووكيع فعبد الرحمن أثبت؛ لأنه أقرب عهدًا بالكتاب، واختلفا في نحوٍ من خمسين حديثًا للثوري، فنظرنا فإذا عامة الصواب في يد عبدالرحمن.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال عبيد الله بن عمر القواريري: أملى عليَّ عبد الرحمن عشرين ألف حديث حفظًا.

قال علي بن المديني: كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسّحر.

وقال أيضًا: لو أخذت فَحُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر أحدًا قطّ أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي، وأبو حاتم يسمع منه ذلك.

وقال أيضًا: إذا اجتمع يحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي على ترك رجل لم أحدث عنه، فإذا اختلفا أخذت بقول عبد الرحمن لأنه أقصدهما، وكان في يحيى تشددًا.

وقال أيضًا: كان عبد الرحمن بن مهدي أعلم الناس. قالها مرارًا.

قال ابن أبي حاتم: ومن العلماء الجهابذة النقاد من أهل البصرة عبد الرحمن بن مهدي.

قال أبو نعيم في «الحلية»: ومنهم الإمام الرضي، والزمام القوي، ناقد الآثار وحافظ الأخبار، عبد الرحمن بن مهدي، كان للسنن والآثار تابعًا، وللآراء والأهواء دافعًا.

قال الخطيب البغدادي: كان من الربانيين في العلم وأحد المذكورين بالحفظ، وممن برع في معرفة الأثر والطرق والروايات وأحوال الشيوخ.

قال الذهبي: كان إمامًا حجة، قدوة في العلم

والعمل.

وقال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدّث وأبى الرواية إلا عن الثقات.

من أحواله وأقواله

قال أحمد بن سنان: كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ولا يُبرى قلم، ولا يُتبسم ولا يقوم أحد قائمًا، كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في صلاة، فإن رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث أو يضحك أو يبري قلمًا لبس نعله وخرج.

قلت: هكذا كانوا يصونون العلم والحديث ويعظمونه.

قال نعيم بن حماد: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: كيف تعرف الكذاب؟ قال: كما يعرف الطبيب المجنون.

ما يجب على أئمة العلم !!

قال عبيد الله بن سعيد: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: احفظ لا يجوز أن يكون الرجل إمامًا حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى لا يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم.

قلت: انظر لعلماء زماننا أو لمن ينسب للعلم من أهل زماننا لا تكاد تجد من يميز بين الصحيح وغيره، بل ولا يعرف أن في الأحاديث ما هو موضوع مكذوب ويحتج بكل ما سمع أو قرأ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: كان يقال: إذا لقي الرجلُ الرجلَ فوقه في العلم كان يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إمامًا في العلم من حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث عن كل أحد، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذ من العلم، والحفظ للإتقان.

قلت: هكذا كان حال من يتعلم العلم لله، تواضع وعدم ازدراء للآخرين كما هو حادث في زماننا، ينظر من لا يحسن شيئًا من العلم إلا قليلاً نفسه بعين الإعجاب وإلى الآخرين بعين الاحتقار، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: الرجل أحوج إلى العلم منه إلى الأكل والشرب. قلت: فالأكل والشرب يصلح البدن، والعلم يصلح القلب والدين الذي هو صلاح الدنيا والآخرة.

قال ابن نمير: قال عبد الرحمن بن مهدي: معرفة الحديث إلهام. قال ابن نمير: صدق، لو قلت له من أين لم يكن له جواب، قلت: لا تحسبن أنهم يقولون ذلك بالتخمين والحدس، إنما لطول تعاطيهم الحديث صارت لهم ملكة بها يميزون كما يقول الصيرفي الناقد: هذا جيد وهذا بهرج زيف. قال ابن المديني: جاء رجل إلى ابن مهدي فقال: يا أبا سعيد، إنك تقول: هذا ضعيف وهذا قوي وهذا لا يصح، فعمّ تقول ذاك؟ فقال عبد الرحمن: لو أتيت الناقد فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد وهذا ستّوق(١)، وهذا نبهرج(٢) أكنت تسأله عمّ ذاك أو كنت تسلّم الأمر إليه؟ فقال: بل كنت أسلم الأمر إليه، فقال عبدالرحمن: هذا كذاك، هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة والعلم به، قال: فذكرته لبعض أصحابنا، فقال: أجاب جواب رجلٍ عالم.

قال: ويحيى بن سعيد جالس وذكر الجهمية: ما كنت لأناكحهم ولا أصلي خلفهم، ولو أن رجلاً منهم خطب ليَ أمةً لي ما زوجته. قلت: لأنه يرى كفرهم، فمن اشنع مقالاتهم أنهم يقولون: إن القرآن مخلوق، ويسلبون الله عز وجل صفاته.

القائلين بخلق القرآن !!

قال: من قال القرآن مخلوق فلا تصل خلفه، ولا تمش معه في طريق، ولا تناكحه.

قال له إبراهيم بن زياد- سَبَلان- ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: لو كان لي سلطان لقمت على الجسر، فكان لا يمر بي أحد إلا سألته، فإن قال لي مخلوق ضربت عنقه وألقيته في الماء.

قال: من زعم أن القرآن مخلوق استتبته، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، لأنه كافر بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

سئل عن الصلاة خلف أصحاب الأهواء فقال: يصلي خلفهم ما لم يكن داعية إلى بدعته مجادلاً بها، إلا هذين الصنفين: الجهمية والرافضة، فإن الجهمية كفار بكتاب الله عز وجل والرافضة ينتقصون أصحاب رسول الله ﷺ.

-ذُكر عنده قومٌ من أهل البدع واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة، ثم قرأ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسنة.

-ذُكر عنده أصحاب الرأي فقال: ﴿لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قلت: يعني أصحاب الرأي الذين يعارضون بآرائهم السنة الثابتة الصحيحة.

قال: ما خصلة تكون في المؤمن بعد الكفر بالله أشد من الكذب وهو أشد النفاق.

قال أبو الحسن الميموني: سمعت أبا عبدالله- يعني أحمد بن حنبل- وسئل عن أصحاب الرأي يكتب عنهم الحديث؟ فقال أبو عبد الله: قال عبد الرحمن بن مهدي: إذا وضع الرجل كتابًا من هذه الكتب كتب الرأي أرى أنه لا يكتب عنه الحديث ولا غيره، قال أبو عبد الله: وما تصنع بالرأي وفي الحديث ما يغنيه عنه، أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم، عليك بحديث رسول الله ﷺ وما رُوي عن أصحابه أبي بكر وعمر فإنه سنة. قلت: لا مزيد على هذا الكلام في الحسن كيف وهو كلام إمام أهل السنة رحمه الله؟

قال: لولا أني أكره أن يُعصى اللهُ لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني، أيُّ شيءٍ أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها.

قال العجلي: قيل لعبد الرحمن: أيما أحبّ إليك، يغفر لك ذنبٌ أو تحفظ حديثًا؟ قال: أحفظ حديثًا. قلت: لعله أراد أن يحفظه الحديث ونشره للعمل به يكون ذلك أكثر حسناتٍ من مغفرة ذنب واحدٍ. والله أعلم.

رُوي عنه أنه قال: من طلب العربية فاخره مؤدب، ومن طلب الشعر فاخره شاعر يهجو أو يمدح بالباطل، ومن طلب الكلام فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث فإن قام به كان إمامًا، وإن فرّط ثم أناب يومًا، يُرجع إليه، وقد عُتِقت وجَادَتْ.

قال رسته: قام ابن مهدي من المجلس وتبعه الناس، فقال: يا قوم، لا تطؤنّ عقبي، ولا تَمْشُنّ خلفي، حدثنا أبو الأشهب عن الحسن عن عمران: خفق النعال خلف الأحمق قلّ ما يُبقي من دينه.

التواضع واتهام النفس !!

قلت: هذا هو التواضع واتهام النفس والخوف عليها من الكبر والعياذ بالله.

قال الذهبي: وبلغنا عن ابن مهدي قال: ما هو- يعني الغرام بطلب الحديث- إلا مثل لعب الحمام ونطاح الكباش.

قلت- القائل الذهبي-: صدق والله إلا لمن أراد به الله وقليل ما هم.

قلت: نسأل الله العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في الأقوال والأعمال.

قال رسته: حضرت عبد الرحمن صبيحة بُني على ابنته فخرج فآذن ثم مشى إلى بابهما فقال للجارية: قولي لهما يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: سبحان الله، أي شيء هذا؟ قال: لا أبرح حتى يخرجا فخرجا بعد ما صلى عبد الرحمن.

قلت: سبحان الله، هكذا الحرص على الخير والقيام بأمر الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...﴾ [طه: ١٣٢]. هكذا كانوا، وهكذا ينبغي أن نكون علم للعمل والدعوة إليه لنكون أهلاً لرفعة الله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، رحم الله سلفنا الصالح وجمعنا بهم في جنات النعيم.

وفاته: توفي عبد الرحمن بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة، رحمه الله رحمة واسعة.

الهوامش

(١) درهم سَتّوق وسُتوق: زيفٌ مبهرج لا خير فيه.

(٢) مبهرج وبهرج: كل رديء الدراهم وغيرها.

عابد الحرمين الفضيل بن عياض

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المروزي المجاور بحرم الله.

مولده: ولد بسمرقند ونشأ بأَبِيوردَ وكان مولده في السنة السابعة بعد المائة تقريبًا.

توبته: روى ابن عساكر بسنده عن الفضيل بن موسى قال: كان الفضيل شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسَرَخْس وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليًا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، قال: يا رب، قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ههنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأترع، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

شيوخه: روى عن الأعمش، والثوري، ومنصور بن المعتمر، وهشام بن حسان، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، وغيرهم.

تلاميذه والرواة عنه: روى عنه: الثوري، وابن عيينة، والشافعي، وابن المبارك، والحميدي، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وقتيبة بن سعيد، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه: قال ابن عيينة: فضيل ثقة، وكان يقبل يده.

قال العجلي: كوفي ثقة متعبد رجل صالح سكن مكة.

قال محمد بن عبد الله بن عمار: ليت فضيلاً كان يحدثك بما يعرف. قيل لابن عمار: ترى حديثه حجة؟ قال: سبحان الله- تعجبًا من سؤال السائل.

قال النسائي: ثقة مأمون رجل صالح.

قال محمد بن سعد: كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابدًا ورعًا كثير الحديث.

قال ابن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من فضيل بن عياض.

وقال أيضًا: إن الفضيل بن عياض صدق الله فأجرى الحكمة على لسانه، فالفضيل ممن نفعه علمه.

قال إسحاق بن إبراهيم الطبري: كان صحيح

الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث إذا حدث.

وقال أبو نعيم: ومنهم الراحل من المفاوز والقفار إلى الحصون والحياض، والناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون والرياض، أبو علي الفضيل بن عياض، كان من الخوف نحيفًا وللطواف أليفًا.

وقال الذهبي: الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام.

قال ابن حجر: ثقة عابد إمام.

من أحواله وأقواله

○ قال رحمه الله: من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

○ قال: رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة، من عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خلقه شان دينه وحسبه ومروءته.

○ قال: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما.

○ قال: بقدر ما يصغُر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

○ قال: الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل.

قُلْتُ: مصداقه في حديث النبي ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». رواه مسلم.

قال: إن استطعت فلا تكن محدثًا ولا قارئًا ولا متكلمًا، إن كنت بليغًا قالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه، وأحسن صوته، فيعجبك ذلك، فتنتفخ، وإن لم تكن بليغًا ولا حسن الصوت قالوا: ليس يحسن يحدث وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك وشق عليك فتكون مرائيًا، وإذا جلست فتكلمت فلم تُبالِ مَنْ ذمّك ومن مدحك فتكلم.

قيل له: ما الزهد؟ قال: القُنوع. قيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق.

○ قال: أشد الورع في اللسان. قال الذهبي: هكذا هو، فقد ترى الرجل ورعًا في ماكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه، فإما أن يتحرى الصدق فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق فينمق حديثه ليمدح على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام، لِيُثْنَى عليه، ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة.

○ قال: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل له: يا أبا علي، فسر لنا هذا، قال: إذا جعلتها في نفسي لم تَعْدُني، وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

قُلْتُ: نعم، فإن من منهج السلف الصالح أنهم يقولون: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوًى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا؛ لأنَّ ظلمهم وجورهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين.

○ قال: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعدّ البلاء نعمةً والرخاء مصيبة، وحتى لا يحب أن يُحمد على عبادة الله.

قلت: يعني بالبلاء ما كان في البدن أو المال أو الولد؛ لأنَّ الله يخفف به من الخطايا، والرخاء مصيبة إذا كان يورث الأشر والبطر وعدم الشكر، والله أعلم.

○ رأى قومًا من أصحاب الحديث يمرحون ويضحكون، فناداهم: مهلاً يا ورثة الأنبياء مهلاً، ثلاثًا، إنكم أئمة يُقتدى بكم.

○ قال: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه، لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظر الرجل إلى صاحب بدعة يورث العمى، مَن جلس إلى صاحب بدعة لم يُعط

الحكمة.

قُلْتُ: هكذا كانوا يحذرون من قرب أهل البدع ومجالستهم.

وكان كثيرًا ما يقول: احفظ لسانك، وأقبل على شأنك، واعرف زمانك وأَخْفِ مكانك.

○ قال: من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء، لا حجّ ولا جهاد أشد من حبس اللسان، وليس أحدٌ أشدّ غمًا ممن سجن لسانه.

○ قال: وودت أنه طار في الناس أني مُتّ حتى لا أُذكر، إني لأسمع صوت أصحاب الحديث فيأخذني البولُ فَرَقًا منهم.

○ وكان يقول لأصحاب الحديث: لم تُكْرِهوني على أمرٍ تعلمون أني كاره له- يعني الرواية-؟ لو كنت عبدًا لكم فكرهتكم كان نَوْلي أن تبيعوني، لو أعلم أني إذا دفعت ردائي هذا إليكم ذهبتم عنّي لفعلت.

قُلْتُ: كل هذا خوفًا من الرياء في مجلسه أو الكذب على النبي ﷺ بغير قصد بسبب الخطأ والنسيان ولا يسلم منهما أحد غير أنهما [أي الخطأ والنسيان] مغفوران برحمة اللّه.

○ قال: المؤمن يغبط ولا يحسد، الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق. قال الذهبي: هذا يُفسّر لك قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً ينفقه في الحق ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار». [متفق عليه من حديث ابن عمر] .

فالحسد هنا معناه الغبطة، أن تحسد أخاك على ما آتاه اللّه لا أنك تحسده بمعنى أنك تود زوال ذلك عنه، فهذا بغيٌ وخُبْثٌ.

○ قال: بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا وإذا عملوا شُغلوا وإذا شُغلوا فُقدوا، وإذا فُقدوا طُلبوا فإذا طُلبوا هربوا.

○ قال: كفى باللّه محبًا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا.

○ قال: خصلتان تقسيان القلب، كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

○ قال: يا مسكين أنت مسيء وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، وأجلك قصير وأملك طويل. قال الذهبي: إي واللّه صدق وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورّع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه للّه.

قلت: نسأل اللّه الإخلاص والعفو عن الزلات، فما أكثرها.

وفاته: قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول في مرضه: ارحمني بحبي إياك فليس شيء أحب إلى منك، وكان يقول وهو يشتكي: مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.

قيل له كم سنك: فقال:

بلغتُ الثمانين أو جزتها

فماذا أؤمّل أو أنتظر

علتني السُنون فأبلينني

فدق العظام وكلّ البصر

قال الذهبي: وكان رحمه اللّه يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز السلطان. اهـ.

توفي الفضيل رحمه اللّه سنة سبع وثمانين ومائة، فرحمه اللّه رحمة واسعة وجمعنا به مع نبينا ﷺ في الفردوس.

المصادر

○ «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

○ «حلية الأولياء».

○ «شرح السنة» للبربهاري.

○ «سير أعلام النبلاء».

○ «تقريب التهذيب».

○ «تهذيب الكمال»، وغيرها.

الإعلام بسير الأعلام

الحافظ العابد (سعيد بن جبير)

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو سعيد بن جبير بن هشام أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي أحد الأعلام.

مولده: ولد في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

شيوخه: روى عن ابن عباس فاكثر وجود وعن عائشة وأبي موسى الأشعري وطائفة من التابعين.

تلامذته والرواة عنه: روى عنه أبو صالح السمان وأيوب السختياني وحبيب بن أبي ثابت والأعمش وعبد الكريم الجزري وعطاء بن السائب وعمرو بن دينار ومجاهد بن جبر رفيقه والزهري وأبو الزبير المكي وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه. يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير.

قال أشعث بن إسحاق: كان يقال سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

* قال له ابن عباس: حدّث، قال: أحدث وأنت هاهنا؟ قال: أوليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علّمتك.

* سأل رجل ابن عمر عن فريضة فقال له: ائت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني وهو يفرض فيها ما أفرض.

* قال علي بن المديني: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، قيل ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد.

* عن خصيف قال: كان أعلَمهم بالقرآن مجاهد وأعلَمهم بالحج عطاء وأعلَمهم بالحلال والحرام طاووس وأعلَمهم بالطلاق سعيد بن المسيب وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير.

* قال أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري هو ثقة إمام حجة على المسلمين.

* قال ابن حبان: كان فقيها عابدًا واصلا ورعًا.

قال أبو نعيم: ومنهم الفقيه البكاء والعالم العابد، السعيد الشهيد السديد الحميد أبو عبد الله بن جبير سعيد.

* قال ابن حجر: ثقة ثبت فقيه.

من أحواله وأقواله

عن أصبغ بن زيد قال: كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح فلم يُصلّ سعيد تلك الليلة فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟ فما سُمع له صوت بعد، فقالت له أمه: يا بني لا تدع على شيء بعدها.

* قال عمر بن حبيب: كان سعيد بن جبير

بأصبهان لا يحدث ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث فقلنا له في ذلك فقال: أنشر بَزُّك حيث تعرف.

* قال هلال بن بساف: دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

قال الذهبي: هذا خلاف السنة وقد صح النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث.

* قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله...﴾ الآية

* قال سعيد: التوكل على الله جماع الإيمان، وكان يدعو اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك.

* قال: لأن أنشر علمي أحب إليّ من أن أذهب به إلى قبري.

* قال له هلال بن خباب: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

قلت: فالعلماء هم سبيل النجاة فمن خالفهم أو تكلم فيهم فهو مع الهالكين.

* قال عباد بن العوام أنبأنا هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة فكان يحدث في الطريق ويذكرنا حتى بلغ فلما جلس لم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا وكان كثير الذكر لله.

* قال القاسم الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

* قال سعيد: لدغتني عقرب فأقسمت عليّ أمي أن أسترقي فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكرهت أن أحنثها.

* وقال: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي.

وقال: أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها وكتبت في نعلي حتى أملأها وكتبت في كفّي.

* كان سعيد ممن خرج مع القراء على الأمراء على غير هدي أهل السنة عفا الله عنا وعنه، وقد رويت في ذلك أخبار كثيرة كثيرها لا يثبت.

* قال الربيع بن أبي صالح: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلي الحجاج فبكى رجل فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا ثم تلا ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾.

* عن أبي حصين قال: رأيت سعيدًا بمكة فقلت: إن هذا قادم - يعني خالد بن عبد الله ولست آمنه عليك، قال: والله لقد فررت حتى استحييت، قال الذهبي: طال اختفاؤه فإن قيام القراء على الحجاج كان في سنة اثنتين وثمانين وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين السنة التي قلع الله فيها الحجاج.

وقال داود بن أبي هند: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولا، وسأخبركم: إني كنت وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ثم سألنا الله الشهادة فكلا صاحبيّ رزقها وأنا انتظرها فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

قال الذهبي: ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، رحمه الله تعالى.

* قال يزيد بن أبي زياد: أتينا سعيدًا فإذا هو طيب النفس وبنته في حجره فبكت وشيعناه إلى باب الجسر، فقال الحرس له، أعطنا كفيلا فإنا نخاف أن تُغرق نفسك قال: فكنت فيمن كَفَل به، قال أبو بكر بن عياش: فبلغني أن الحجاج قال: ائتوني بسيف عريض.

* قال سليمان التيمي: كان الشعبي يرى التقية وكان ابن جبير لا يرى التقية، وكان الحجاج إذا أتي بالرجل - يعني ممن قام عليه - قال له: أكفرت بخروجك عليّ؟ فإن قال: نعم؛ خلى سبيله فقال لسعيد: أكفرت؟ قال: لا، قال: اختر لنفسك أي قتلة أقتلك، قال: اختر أنت فإن القصاص أمامك.

وفاته:

كان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين رحمه الله تعالى.

الإمام الحافظ شيخ الإسلام معمر بن راشد

بقلم/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو أبو عروة معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم البصري نزيل اليمن.

مولده:

ولد سنة خمس أو ست وتسعين وشهد جنازة الحسن البصري.

طلبه العلم:

طلب العلم وهو حدث، قال: خرجت وأنا غلام إلى جنازة الحسن وطلبت العلم سنة مات الحسن.

قال: سمعت من قتادة وأنا ابن أربع عشرة سنة ما من شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري.

قال أحمد: ما أضم أحدًا إلى معمر إلا وجدت معمرًا أطلب للحديث منه هو أول من رحل إلى اليمن.

شيوخه:

روى عن قتادة والزهري وعمرو بن دينار وطاوس وعاصم الأحول وثابت البناني وعاصم بن أبي النجود ويحيى بن أبي كثير والأعمش وأيوب السختياني ومحمد بن المنكدر وعن غيرهم.

تلاميذه والرواة عنه:

روى عنه أيوب وأبو إسحاق وعمرو بن دينار وجماعة من شيوخه وروى عنه السفيانان وابن المبارك ويزيد بن زريع وغندر وابن علية وعبد الرزاق الصنعاني وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو حفص الفلاس: معمر بن راشد أصدق الناس، قال هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتابًا، يعني كان يحدثهم من حفظه.

قيل للثوري: ما منعك من الزهري؟ قال: قلة الدراهم وقد كفانا معمر.

قال ابن جريج: إن معمرًا شرب من العلم بأَنْقُع [أي بكأس أنقع] يعني: ركب في طلب الحديث كل حزن وكتب من كل وجه.

وقال أيضًا: عليكم بهذا الرجل فإنه لم يبق في زمانه أعلم منه.

قال ابن المبارك إني لأكتب الحديث عن معمر وقد سمعته من غيره قيل وما يحملك على ذلك؟ قال: أما سمعت قول الراجز.

قد عرفنا خيركم من شركم.

قال النسائي: معمر بن راشد الثقة المأمون.

قال العجلي: لما دخل معمر صنعاء كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجل قيدوه، قال: فزوجوه، وقال: معمر بن راشد بصري سكن اليمن ثقة رجل صالح، وقال: يعقوب بن شيبة: ومعمر ثقة وصالح التثبت عن الزهري.

قال أحمد بن حنبل: لست تضم معمرًا إلى أحد إلا وجدته فوقه.

قال عثمان بن سعيد: قلت لابن معين: ابن عيينة أحب إليك أو معمر؟ قال: معمر، قلت: فمعمر أو صالح بن كيسان؟ قال: معمر إلي أحب وصالح ثقة، قلت: فمعمر أم يونس؟ قال: معمر. قلت: فمعمر أو مالك؟ قال: مالك. قلت له: إن بعض الناس يقولون: ابن عيينة أثبت الناس في الزهري، فقال: إنما يقول ذلك من سمع منه وأي شيء كان سفيان إنما كان غُلَيِّمًا يعني أمام الزهري.

قال ابن حبان. كان فقيها متقنا حافظًا ورعًا.

وقال ابن حزم: ثقة.

وقال ابن حجر: ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئًا.

قال الذهبي: كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف.

وقال: أحد الأعلام الثقات له أوهام معروفة احتملت في سعة ما اتقن.

من أحواله وأقواله:

قال عبد الرزاق: أكل معمر من عند أهله فاكهة ثم سأل فقيل: هدية من فلانة النواحة، فقام فتقيأ.

وقال بعث إليه معنٌ والي اليمن بذهب فرده وقال لأهله: إن علم بهذا غيرنا لم يجتمع رأسي ورأسك أبدًا.

وقال: ما نعلم أحدًا عفّ عن هذا المال إلا الثوري ومعمرًا.

قال معمر: لقد طلبنا هذا الشأن ومالنا فيه نية ثم رزقنا الله النية من بعد.

وقال: كان يقال إن الرجل يطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله.

قال الذهبي: نعم يطلبه أولا والحامل له حب العلم وحب إزالة الجهل عنه وحب الوظائف ونحو ذلك ولم يكن علم وجوب الإخلاص فيه ولا صدق النية فإذا علم حاسب نفسه وخاف من وبال قصده فتجيبُه النية الصالحة أو بعضها وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم، وعلامة ذلك أنه يُقصر من الدعاوي وحب المناظرة ومن قصد التكثر بعلمه ويزري على نفسه فإن تكثر بعلمه أو قال: أنا أعلم من فلان فبعدًا له.

قال عبد الرزاق: قال لي مالك نعم الرجل كان معمر لولا روايته التفسير عن قتادة. قال الذهبي: يظهر على مالك الإمام الإعراض عن التفسير لانقطاع أسانيد ذلك فقلما روى منه، وقد وقع لنا جزء لطيف من التفسير منقول عن مالك.

وفاته:

مات في سنة ثلاث وخمسين ومائة وقيل أربع وخمسين - رحمه الله -.

المراجع:

سير أعلام النبلاء

ميزان الاعتدال

تهذيب الكمال

تقريب التهذيب

الإعلام بسير الأعلام

حماد بن سلمة

بقلم/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري النحوي البزاز الخرقي مولى آل ربيعة بن مالك وابن أخت حميد الطويل.

مولده:

ولد سنة إحدى وتسعين تقريبا في حياة أنسٍ بن مالك رضي الله عنه.

شيوخه:

سمع من خاله حميد الطويل وابن أبي مليكة وأنس بن سيرين وثابت البناني وأبي عمران الجوني، وقتادة بن دعامة ويعلى بن عطاء وسهيل بن أبي صالح وأيوب السختياني وعمرو بن دينار وأبي الزبير المكي وأمم كثيرين.

تلاميذه والرواة عنه:

روى عنه ابن جريج وابن المبارك ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي والقعنبي وموسى بن إسماعيل التبوذكي وغيرهم.

ثناء العلماء عليه: قال وهيب بن خالد: حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا.

قال يحيى بن معين: حماد بن سلمة ثقة وقال: إذا رأيت إنسانا يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام.

وقال علي بن المديني: هو عندي حجة في رجال وهو أعلم الناس بثابت البناني وعمار بن أبي عمار ومن تكلم في حماد فاتهموه في الدين.

قال شعبة: كان حماد بن سلمة يفيدني عن محمد بن زياد.

قال حجاج بن منهال: حدثنا حماد بن سلمة وكان من أئمة الدين.

قال علي بن المديني لم يكن في أصحاب ثابت أثبت عن حماد بن سلمة.

قال أحمد بن حنبل: حماد بن سلمة عندنا من الثقات ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة، وقال: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديدًا على المبتدعة.

قال البيهقي: فأما حماد فإنه أحد أئمة المسلمين.

قال ابن حبان: حماد بن سلمة الخزاز: من العباد المجابي الدعوة في الأوقات، لم ينصف من جانب حديثه واحتج بأبي بكر بن عياش... ثم قال: ولم يكن مثل حماد بالبصرة ولم يكن يثلبه إلا معتزلي أ وجهمي لما كان يظهر من السنن الصحيحة وأني يبلغ أبو بكر بن عياش مبلغ حماد بن سلمة في اتقانه أم في جمعه أم في علمه أم في ضبطه.

قال عبد الرحمن بن مهدي: حماد بن سلمة صحيح السماع حسن اللقى أدرك الناس لم يتهم بلون من

الألوان ولم يلتبس بشيء أحسن ملكة نفسه ولسانه ولم يطلقه على أحد ولا ذكر خلقًا بسوء فسلم حتى مات.

قال أبو نعيم: ومنهم المجتهد في العبادة، المعدود في الإمامة أبو سلمة حماد بن سلمة، كان لخطير الأعمال مصطنعًا وبيسير الأقوات مقتنعًا.

قال الذهبي: كان مع إمامته في الحديث إمامًا كبيرًا في العربية فقيهًا فصيحًا رأسًا في السنة صاحب تصانيف. وقال: كان بحرًا من بحور العلم وله أوهام في سعة ما روى وهو صدوق حجة إن شاء الله وليس هو في الإتقان كحماد بن زيد وتحايد البخاري إخراج حديثه حديثا خرجه في الرقاق فقال: قال لي أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أُبيّ، ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن، ومسلم روى له في الأصول عن ثابت وحميد لكونه خبيرًا بهما.

وقال ابن حجر: ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بأخره.

من أحواله وأقواله:

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا.

قال الذهبي: كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد.

قال عفان: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه.

قال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان مشغولا إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي. قد قسم النهار على ذلك.

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد .

قال العجلي: كان حماد بن سلمة لا يحدث حتى يقرأ مئة آية نظرًا في المصحف.

قال مسلم بن إبراهيم: سمعت حماد بن سلمة يقول: كنت أسأل حماد بن أبي سليمان عن أحاديث مسندة والناس يسألونه عن رأيه فكنت إذا جئته قال: لا جاء الله بك.

قال آدم بن أبي إياس: شهدت حماد بن سلمة ودَعَوْه - يعني الدولة - فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟ والله لا فعلت.

قال الذهبي: وروى أن حماد بن سلمة كان مجاب الدعوة.

قال التبوذكي: سمعت حماد بن سلمة يقول: إن دعاك الأمير لتقرأ عليه (قل هو الله أحد) فلا تأته.

وقال حماد: من طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به.

عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري فقال سفيان: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي.

روى عبد العزيز بن المغيرة عن حماد بن سلمة أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل، فقال: من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه.

قلت يعني حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا كان نصف الليل... الحديث» في الصحيحين وهذا من أحاديث الصفات التي نؤمن بها على حقيقتها من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل ولكن نزول يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

حماد بن زيد يقول: ما كنا نأتي أحدًا نتعلم منه شيئًا بنية إلا حماد بن سلمة، ونحن نقول اليوم ما نأتي أحدًا يعلم شيئًا بنية غيره.

قال حماد: أخذ بيدي إياس بن معاوية وأنا غلام فقال: لا تموت حتى تقص، أما إني قد قلت هذا لخالك - يعني حميدًا الطويل - فما مات حميد حتى قص، والقاص هو الواعظ، وعامة القصاص فيهم ضعف في الحديث، ولكن حمادًا كان ثقة والله أعلم.

وفاته:

توفي رحمه الله سنة سبع وستين ومئة وله ست وسبعون سنة والله أعلم.

المراجع: مسند ابن الجعد - حلية الأولياء.

سير أعلام النبلاء - تهذيب الكمال - تقريب التهذيب.

الشعبي الإمام

بقلم / مجدي عرفات

* اسمه ونسبه: هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي.

* مولده: ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست سنين خلت منها، وقيل ولد سنة إحدى وعشرين.

* صفته: قال ابن سعد: كان الشعبي ضئيلا نحيفا، ولد وأخ له توءمًا.

* شيوخه: حدث عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأبي سعيد وعائشة وميمونة وأم سلمة أمهات المؤمنين وابن عمر وعبد الله بن عمرو والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله في نحو خمسين من الصحابة. يقول: أدركتُ خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ، وحدث عن غيرهم من التابعين مثل علقمة والأسود وعبد الرحمن بن أبي ليلى والقاضي شريح وغيرهم.

* تلاميذه والرواة عنه:

روى عنه الحكم وأبو إسحاق وإسماعيل بن أبي خالد وعاصم الأحول ومكحول الشامي وعطاء بن السائب ويونس بن أبي إسحاق وأمم غيرهم.

* ثناء العلماء عليه:

قال مكحول: ما رأيت أحدًا أعلم من الشعبي وقال أبو حصين: ما رأيت أحدًا قط كان أفقه من الشعبي، وقال الحسن البصري لما بلغه موت الشعبي: «إنا لله وإنا إليه راجعون» إن كان لقديم السن كثير العلم وإنه لمن الإسلام بمكان ومثله قال ابن سيرين.

قال ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذ كثير.

وقال عاصم بن سليمان: ما رأيت أحدًا أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي.

قال عبد الملك بن عمير: مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي فقال كان هذا كان شاهدًا معنا ولهو أحفظ لها مني.

قال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة، ابن

عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه.

قال العجلي: مرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحًا.

قال أبو مجلز: ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي لا سعيد بن المسيب ولا طاوس ولا عطاء ولا الحسن ولا ابن سيرين فقد رأيت كلهم.

قال أبو نعيم: ومنهم الفقيه القوي سالك السمت المرضى بالعلم الواضح المضي والحال الزاكي الوضي أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي، كان بالأوامر مكتفيا وعن الزواجر منتهيا، تاركا لتكلف الأثقال معتنقا لتحمل الواجب من الأفعال.

قال الذهبي: كان إمامًا حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا.

قال ابن حجر: ثقة مشهود فقيه فاضل.

من أحواله وأقواله:

قيل له من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد وصبر كصبر الحمار وبكور كبكور الغراب.

قال: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده علي.

قال: ما سمعت منذ عشرين سنة رجلا يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالما.

قال: ما أروي شيئًا أقل من الشعر ولو شئت لأنشدتكم شهرا لا أعيد.

قال: إنا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفقيه من إذا علم عمل.

قال مالك بن مغول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئًا، قال الذهبي: لأنه حجة على العالم فينبغي أن يعمل به وينبه الجاهل فيامره وينهاه، ولأنه يظنه ألا يخلص فيه، وأن يفتخر به ويماري به لينال رئاسة ودنيا فانية، قلت: نسأل الله العلم النافع والإخلاص في الأقوال والأفعال.

قال ابن عائشة: وجه عبد الملك بن مروان الشعبي إلى ملك الروم: «يعني رسولا» فلما انصرف من عنده قال يا شعبي، أتدري ما كتب به إلى ملك الروم؟ قال وما كتب به يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أتعجب لأهل ديانتك كيف لم يستخلفوا عليهم رسولك.

قلت يا أمير المؤمنين: لأنه رآني ولم يرك قال يا شعبي إنما أراد أن يغريني بقتلك، فبلغ ذلك ملك الروم فقال لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك.

قال ابن سعد: قال أصحابنا: كان الشعبي فيمن خرج مع القراء على الحجاج ثم اختفى زمانًا وكان يكتب إلى يزيد بن أبي مسلم أن يكلم فيه الحجاج، قال الذهبي: خرج القراء وهم أهل القرآن والصلاح بالعراق على الحجاج لظلمه وتأخيره الصلاة والجمع في الحضر، وكان ذلك مذهبًا واهيا لبني أمية كما أخبر النبي ﷺ «يكون عليكم أمراء يميتون الصلاة» [روى مسلم معناه].

فخرج على الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي وكان شريفًا مطاعًا وجدته أخت الصديق فالتف عليه مئة ألف أو يزيدون، وضاقت على الحجاج الدنيا وكاد أن

يزول ملكه وهزموه مرات، وعاين التلف وهو ثابت مقدام إلى أن انتصر وتمزق جمع ابن الأشعث وقتل خلق كثير من الفريقين فكان من ظفر به الحجاج منهم قتله إلا من باء منهم بالكفر على نفسه فيدعه.

قلت: وهذا الخروج خلاف السنة.

قال الشعبي: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنسك.

فإن كان عاقلا ولم يكن ناسكًا قال: هذا أمر لا يناله إلا النساك فلن أطلبه.

وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قال هذاأمر لا يناله إلا العقلاء فلن أطلبه يقول الشعبي فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك.

قال الذهبي: أظنه أراد بالعقل الفهم والذكاء.

قلت: وأظنه أراد بالنسك العبادة والعمل وقول الشعبي فلقد رهبت... إلى آخره ما أكثر تحققه في زماننا هذا.

قال الشعبي: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة.

قال الشعبي: لقد أصبحت الأمة على أربع فرق، محب لعلي مبغض لعثمان، ومحب لعثمان مبغض لعلي، ومحب لهما، ومبغض لهما، قلت: من أيها أنت؟ قال: مبغض لباغضهما قلت: ونحن نبغض من أبغض أصحاب رسول الله ﷺ ولقد أحسن شيخ الإسلام حيث قال:

حب الصحابة كلهم لي مذهب
ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر وفضل ساطع
لكنما الصديق منهم أفضل

قال الشعبي: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها.

قلت: صدق قال جل وعلا ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

قال رحمه الله: ياليتني أَنْفَلِتُ من علمي كفافًا لا علي ولا لي.

قال رحمه الله: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بأصحابه.

قال رحمه الله: لا أدري نصف العلم

قال رحمه الله: ما حدثوك هؤلاء عن النبي ﷺ فخذه وما قالوا برأيهم فالقه في الحش.

قال الشعبي: لعن الله أرأيت.

قال لأصحابه يا هؤلاء أرأيتم لو قتل الأحنف ابن قيس وقتل معه صبي أكانت ديتهما سواء أم يفضل الأحنف لعقله وحلمه؟ قيل له بل سواء قال: فليس القياس بشيء.

قلت: وذلك عند وجود النص ولذلك قال رحمه الله إنما هلكتم أنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس.

قال رحمه الله: لو أصبت تسعة وتسعين وأخطأت واحدة لأخذوا الواحدة وتركوا التسعة والتسعين.

قلت: لأنهم يتبعون الهوى. نسأل الله العافية.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى أول سنة ست ومائة .

المراجع:

حلية الأولياء - تذكرة الحفاظ
سير أعلام النبلاء - تقريب التهذيب.

أبو قلابة الجرمي

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن نايل بن مالك أبو قِلابة الجرمي البصري، وجرم: بطن من الحافي بن قضاعة.

مولده: غير معروف بالتحديد مولده ولعله سنة خمسين أو قبلها بقليل.

شيوخه: روى عن ثابت بن الضحاك وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم من الصحابة، وخلق من التابعين، وكان يدلس.

تلاميذه والرواة عنه

روى عنه ثابت البناني وقتادة وأيوب السختياني وخالد الحذاء وعاصم الأحول وحسان بن عطية وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال مالك: مات ابن المسيب والقاسم ولم يتركوا كتبًا ومات أبو قلابة فبلغني أنه ترك حمل بغل كتبًا.

قال ابن سيرين: أبو قلابة إن شاء الله ثقة، رجل صالح.

قال أيوب: كان والله من الفقهاء ذوي الألباب، إني وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم منه فرارًا وأشدهم منه فرقًا، وما أدركت بهذا المصر أعلم بالقضاء من أبي قلابة لا أدري ما محمد، يعني ابن سيرين.

قال له عمر بن عبد العزيز لما حدثه بحديث العرنيين: لن تزالوا بخير ما دام هذا فيكم أو مثل هذا.

قال العجلي: بصري تابعي ثقة.

قال أبو نعيم: ومنهم اللبيب الناصح، والخطيب الفاصح كَثُرَ إشفاقه فكثر إنفاقه، أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي.

قال الذهبي: الإمام شيخ الإسلام.

قال ابن حجر: ثقة فاضل كثير الإرسال.

من أحواله وأقواله

قال لأيوب: يا أيوب إذا أحدث الله تعالى لك علمًا فأحدِث له عبادة.

قال: ما من أحد يريد خيرًا أو شرًا إلا وجد في قلبه آمرًا وزاجرًا، آمرًا يأمر بالخير، وزاجرًا ينهى عن الشر.

قال: مثل العلماء كمثل النجوم التي يهتدى بها والأعلام التي يقتدى بها، فإذا تغيبت تحيروا وإذا تركوها ضلوا.

قلت: يأمر باتباع العلماء.

قال: العلماء ثلاثة؛ فعالم عاش بعلمه وعاش الناس بعلمه، وعالم عاش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه، وعالم لم يعش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه.

قلت: يحث على العلم ونشره.

قال: مثل الناس والإمام كمثل الفسطاط لا يقوم الفسطاط إلا بعمود ولا يقوم العمود إلا بالأوتاد وكلما نزع وتد ازداد العمود وهنًا.

قلت: يحث على الاجتماع وعدم الاختلاف والخروج على الأمراء.

قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس فذاك قمن أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه فذاك قمن أن يهلك.

قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه.

قال غيلان بن جرير: استأذنت على أبي قلابة، فقال: ادخل إن لم تكن حروريًا، يعني من الخوارج.

قال أيوب: رآني أبو قلابة وأنا أشتري تمرًا رديئًا، فقال: قد كنت أظن أن الله تعالى قد نفعك بمجالسنا، أما علمت أن الله تعالى قد نزع من كل رديء بركته.

قال أبو قلابة رحمه الله: ما أمات العلم إلا القصاص، يجالس الرجلُ الرجلَ القاص سنة فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلى العلم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء.

قلت: القصاص هم الوعاظ، صدق رحمه الله، فإن الناس يلتفون حول الواعظ السنة والسنين ويسمعون منه الكثير ثم إذا سئل عن أي علم تعلم لا يجد جوابًا ولا علمًا مستفادًا إلا كثرة المجالس بلا فائدة، فالوعاظ يصدون الناس عن طلب العلم بمجالسهم فيميتون العلم الصحيح.

قال رحمه الله: ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف.

قلت: نعوذ بالله من البدع وأهلها وشرورهم، ولذلك حذر من مجالستهم.

فقال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

أقول: فرَّ من البدعي فرارك من الأسد لا يفترسك.

قال رحمه الله: مثل أهل الأهواء مثل المنافقين، فإن الله ذكر المنافقين بقول مختلف وعمل مختلف وجماع ذلك الضلال، وإن أهل الأهواء اختلفوا في الأهواء واجتمعوا على السيف.

قال أيوب: لما مات عبد الرحمن بن أذينة- يعني قاضي البصرة زمن شريح- ذكر أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى اليمامة، قال: فلقيته بعد ذلك فقلت له في ذلك، فقال: ما وجدت مثل القاضي العالم إلا مثل رجل وقع في بحر فما عسى أن يسبح حتى يغرق.

قال خالد الحذاء: كان أبو قلابة إذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثر. قلت: أي أنه كان مقلاً من الرواية.

قال رحمه الله: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال.

قال الذهبي معلقًا على هذا: قلت: أنا. وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات «العقل» فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حلَّ فيه، فإن جبنت منه فاهرب وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه.

قلت: وإذا رأيت من سمع منك الحديث الصحيح في الحث على السنن والتحذير من البدع قال دعنا من هذه القشور عليك باللب، فاعلم أنه من المفلسين المفسدين للدين من حيث لا يشعرون، أو يشعرون.

روي أن أبا قلابة عطش وهو صائم فأكرمه الله لمَّا دعا بأن أظلته سحابة وأمطرت على جسده فذهب عطشه.

قال أبو قلابة في صلاته: اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب عليَّ وإذا أردت لعبادك فتنة أن توفاني غير مفتون.

قال أيوب: كنت مع أبي قلابة في جنازة فسمعنا صوت قاص ارتفع صوته وصوت أصحابه، فقال أبو قلابة: إن كانوا ليعظمون الموت بالسكينة. قلت: يعني الصحابة، وهذه هي السنة، فقد كانوا مع رسول الله ﷺ في الجنائز كما يقول قائلهم، وكأن على رؤسنا الطير. من السكون.

قال الذهبي: وقد أخبرني عبد المؤمن شيخنا أن أبا قلابة ممن ابتلي في بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر.

وفاته: توفي رحمه الله سنة أربع أو خمس أو ست أو سبع ومائة.

بسير الأعلام

مفتي الحرم
عطاء بن أبي رباح

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو عطاء بن أبي رباح أسلم شيخ الإسلام أبو محمد القرشي مولاهم المكي مولى لبني جمح، نشأ بمكة، أصله نوبي.

مولده: ولد بالجَنَدَ [بلدة باليمن] أثناء خلافة عثمان، قال: [لما سُئل متى ولدت]: لعامين خَلَوا من خلافة عثمان.

شيوخه: روى عن عائشة وأم سلمة وأم هانئ وأبي هريرة وابن عباس فأكثر، وعبدالله بن عمرو وابن عمر وجابر وابن الزبير ومعاوية وأبي سعيد وعدة من الصحابة ومن التابعين، حدث عن عبيد بن عمير ومجاهد وعروة وابن الحنفية وغيرهم كثير.

تلاميذه والرواة عنه

حدث عنه مجاهد بن جبر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو الزبير، وعمرو بن دينار، والقدماء، والزهري، وقتادة، وعمرو بن شعيب، والأعمش، وأيوب السختياني، ويحيى بن أبي كثير، وخلق من صغار التابعين، وأمم كثير غيرهم.

صفته: كان أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي.

ثناء العلماء عليه

قال ابن سعد: انتهت فتوى أهل مكة إليه وإلى مجاهد وأكثر ذلك إلى عطاء.

قال ابن عباس: يا أهل مكة تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء؟!

قال أبو جعفر الباقر: عليكم بعطاء، هو والله خير لكم مني.

وقال: خذوا من عطاء ما استطعتم، وقال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء.

عن إبراهيم بن عمر بن كيسان قال: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج مناديًا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح.

قال أبو حازم الأعرج: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

قال قتادة: قال لي سليمان بن هشام: هل بالبلد- يعني مكة- أحد؟ قلت: نعم، أقدم رجل في جزيرة العرب علمًا، فقال: مَن؟ قلت: عطاء بن أبي رباح.

قال محمد بن عبد الله الديباج: ما رأيت مفتيًا خيرًا من عطاء، إنما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر وهم يخوضون، فإن تكلم أو سُئل عن شيء أحسن الجواب.

قال الأوزاعي: مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا تسعة أو ثمانية.

قلت: لأن العلم صعب على كثير من النفوس فترضى بالوعظ وتمل مجالس

العلماء.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال.

من أحواله وأقواله

قال ابن أبي ليلى: دخلت على عطاء فجعل يسألني، فكأن أصحابه أنكروا ذلك، وقالوا: تسأله؟ قال: ما تنكرون؟ هو أعلم مني.

قلت: هذا هو التواضع ومعرفة الفضل لأهله.

قال إسماعيل بن أمية: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل لنا أنه يؤيد.

قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد، حاجتك. قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها فما حاجتك، قال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

قُلْتُ: إن كان يقصد قَسَمًا فهو بغير الله ولا يجوز، أو هي كلمة تجري على اللسان من غير قصد اليمين.

قال عبد العزيز بن رفيع: سُئل عطاء عن شيء، فقال: لا أدري، قيل: ألا تقول برأيك، قال: إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي.

قال عطاء: إن من قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد لك منها، أتذكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته.

قال ابن جريج: لزمت عطاءً ثماني عشرة سنة وكان بعدما كبر وضعف يقدم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

قال ابن جريج عنه: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد.

قال عطاء: لو ائتمنت على بيت مال لكنت أمينًا، ولا آمن نفسي على أَمَةٍ شوهاء.

قال الذهبي: صدق- رحمه الله- ففي الحديث: «ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان». [صحيح. رواه أحمد والترمذي من حديث ابن عمر].

قال عمر بن ذر: ما رأيت مثل عطاء بن أبي رباح، ما رأيت عليه قميصًا قط ولا رأيت عليه ثوبًا يساوي خمسة دراهم.

وفاته

توفي رحمه الله سنة أربع أو خمس عشرة ومائة، وعاش ثمانية وثمانين سنة، رحمه الله.

المراجع

*سير أعلام النبلاء

*تهذيب الكمال

*تقريب التهذيب

الإعلام

بسير الأعلام

سيد العلماء أيوب السختياني

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم السختياني البصري.

مولده: ولد سنة ثمان وستين، عام توفي ابن عباس، ورأى أنس بن مالك.

شيوخه: سمع من سعيد بن جبير، وأبي العالية الرياحي، وأبي قلابة الجرمي، ومجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، والأعرج، وخلق سواهم.

الرواة عنه: روى عنه من شيوخه ابن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة، وروى عنه من غيرهم شعبة، وسفيان الثوري، ومالك، ومعمر، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن علية، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، وعبد الوهاب الثقفي، وأمم غيرهم.

ثناء العلماء عليه

قال الحسن: أيوب سيد شباب أهل البصرة.

قال ابن عيينة: ما رأيت مثل أيوب، وكان قد لقي ستة وثمانين من التابعين.

قال هشام بن عروة: ما رأيت بالبصرة مثل أيوب السختياني.

قال شعبة: أيوب سيد الفقهاء.

قال الثوري: ما رأيت بالبصرة مثل أربعة، فبدأ بأيوب.

قال أبو عوانة: رأيت الناس ما رأيت مثل هؤلاء: أيوب، ويونس، وابن عون.

قال سلام بن أبي مطيع: ما فقدنا أهل الأمصار في عصر قط إلا في زمن أيوب ويونس وابن عون، لم يكن في الأرض مثلهم.

قال ابن المديني: لما سُئل عن أصحاب نافع فقال: أيوب وفضلُهُ ومالك وإتقانُهُ، وعبيد الله وحفظُهُ.

قال ابن سعد: كان ثقة ثبتًا في الحديث جامعًا، كثير العلم حجة عدلاً.

وسُئل أبو حاتم عنه فقال: ثقة لا يُسأل عن مثله.

قال حماد بن زيد: أيوب عندي أفضل من جالسته وأشده اتباعًا للسنة. قال النسائي: ثقة ثبت.

قال أبو نعيم: ومنهم فتى الفتيان، سيد العباد والرهبان، المنور باليقين والإيمان، السختياني أيوب بن كيسان، كان فقيهًا محجاجًا، وناسكًا حجاجًا، عن الخلق آيسًا وبالحق آنسًا.

قال الذهبي: إليه المنتهى في الإتقان.

قال ابن حجر: ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد.

من أحواله وأقواله

قال مالك: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.

قلت: ففي الحديث الترهيب والتزهيد في الدنيا، بخلاف العلوم التي يبتغيها أهلها بعيدًا عن حديث رسول الله ﷺ.

قال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب السختياني يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

قال حماد: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسمًا في وجوه الرجال من أيوب.

وقال أيضًا: كان أيوب لا يقف على آية إلا إذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ سكت سكتة.

قال شعبة: ما واعدت أيوب موعدًا قط إلا قال

حين يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئت وجدته قد سبقني.

قال الخليل بن أحمد: لحن أيوب في حرف فقال: أستغفر الله.

وقال حماد بن زيد: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة (الدموع والبكاء)، فجعل يتمخط ويقول: ما أشد الزكام. قلت: يُخفي البكاء عن جلسائه خوفًا من الرياء.

قال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدًا أنصح للعامة من أيوب والحسن.

قال هشام بن حسان: أيوب السختياني حج أربعين حجة.

روى ضمرة عن ابن شوذب قال: كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية ويصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية، وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم ويدعو بدعاء القرآن ويؤمّن من خلفه، وآخر ذلك يصلي على النبي ﷺ ويقول: اللهم استعملنا بسنته وأوزعنا بهديه واجعلنا للمتقين إمامًا ثم يسجد، فإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات.

قلت: يدعو بعد الركوع وليس قبل الركوع ودعاء القرآن ليس هو دعاء ختم القرآن المبتدع.

قال حماد: غلبه البكاء مرة فقال: الشيخ إذا كبر مجّ.

قلت: مجّ (كثر ريقه فأخرجه)، وقوله هذا إخفاء لما به من البكاء.

قال حماد: لو رأيتم أيوب ثم استقاكم شربة على نسكه لما سقيتموه، له شعر وافر، وشارب وافر، وقميص جيد هروي، يشم الأرض، وقلنسوة متركة جيدة، وطيلسان كُردي جيد، ورداء عدني، يعني: ليس عليه شيء من سيما النساك ولا التصنع.

قلت: حتى لا يظهر زهده، غير أنه لا يجوز أن يجر القميص على الأرض، إن كان المقصود بالشم الجر على الأرض.

قال حماد: كان لأيوب بُرد أحمر يلبسه إذا أحرم، وكان يُعده كفنًا، وكنت أمشي معه، فياخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يقال: هذا أيوب.

قال حماد: كان أيوب يبلغه موت الفتى من أصحاب الحديث فيرى ذلك فيه، ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه.

قال شعبة: ربما ذهبت مع أيوب لحاجة فلا يدعني أمشي معه ويخرج من هاهنا وهاهنا لكي لا يفطن له.

قال أيوب رحمه الله: لا خبيث أخبث من قارئ فاجر.

وكان يقول: ليتق اللّهَ رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلن زهده عذابًا على الناس فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.

قال سلام بن أبي مطيع: رأى أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء، فقال: إني لأعرف الذلة في وجهه، ثم تلا: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾، ثم قال: هذه لكل مفتر، وكان يسمي أصحاب الأهواء خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف.

قال له رجل من أصحاب الأهواء: يا أبا بكر: أسألك عن كلمة؟ فولّى وهو يقول: ولا نصف كلمة، مرتين.

قلت: هربًا من أهل البدع، فإن قربهم داء، والنجاة في البعد عنهم.

قال له صالح بن أبي الأخضر: أوصني، قال: أقل الكلام.

قال- وذكر المعتزلة-: إنما مدار القوم على أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

قلت: لأنهم يعطلون الله عن صفاته فيقولون: لا يستوي على العرش، تعالى الله عما يقولون.

قال: ما صدق عبد قط فأحب الشهرة.

قال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قلت: لأن القرآن كلام الله، وهو صفة من صفاته وصفاته تعالى ليست مخلوقة.

قال: إن من سعادة الحدث (الصغير السن) والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.

قلت: لأن للشيخ الأثر القوي على التلميذ، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

قال رحمه الله: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

قال: إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي.

قال لعمارة بن زاذان: إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة فلا تسأل عن أي حال كان فيه.

وفاته: توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائة عن ثلاث وستين سنة.

المراجع

- «شرح السنة» للالكائي
- «حلية الأولياء»
- «سير أعلام النبلاء»
- «تهذيب الكمال»
- «تقريب التهذيب»

ناصر السنة تفقده أنصار السنة

بقلم / مجدي عرفات الأثري

الحمد لله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده رسوله البشير النذير الذي قال له ربه ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ والذي صح عنه أنه قال: ﴿ من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب ﴾. نعم الموت مصيبة كما أخبرنا ربنا جل وعلا ﴿وأصابتكم مصيبة الموت ﴾ فنقول كما أخبر ربنا عن الصابرين ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ وكما قال نبينا ﷺ معلمًا: «اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها» مات شيخنا الحبيب محمد صفوت نور الدين الذي كان صفوة من أنصار السنة ونورًا لأنصار السنة ولدين رب العالمين مات شيخنا الأمين محمد صفوت نور الدين الذي كانت رؤيته تسر الناظرين من المؤمنين وقديمًا قال بعض السلف «إني لأُخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي» ولكن عندما سمعت بموت إمام أنصار السنة فكأني فقدت كل أعضائي فلم أدر ما أقول إلا (إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها) اخلف لنا خيرًا من صفوت نور الدين الذي قاد أنصار السنة طيلة إحدى عشرة سنة إلا أربعين يومًا، [فلقد أجمع أنصار السنة على توليته الرئاسة على غير رغبة منه في يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ١٤١٢هـ وكان قد تولى لجنة الفتوى بالمركز العام في نفس العام في شهر صفر]. قادها إلى الأمام لنصرة السنة وقمع البدعة عرف ذلك من عرف وأنكره من جهل، قادها إلى الاجتماع والائتلاف وبَعُدَ بها عن الفرقة والاختلاف (فالجماعة رحمة والفرقة عذاب) كما قال سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، قادها بالحكمة والموعظة الحسنة يصلح بين المتخاصمين ويؤلف بين المختلفين، يتقبل انتقاد المنتقدين وتوجيه الموجهين ونصح الناصحين، بل وجهل الجاهلين، كل ذلك بصدر رحيب ووجه طليق، حفاظًا على رباط الجماعة من الانفكاك وحرمتها من الانتهاك، جاب البلاد شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبًا بل وخارج البلاد يدعو إلى التوحيد بالمنهج السديد ما ترك فرعًا من فروع أنصار السنة إلا زاره وتحدث فيه، بل وغير أنصار السنة دعا فيه إلى السنة وقمع البدعة، وكتب الكتابات في المجلات وعلى رأسها قائدة التوحيد مجلة التوحيد (حفظها الله) وافتتح كتاباته بعد توليه الرئاسة بمقال تحت عنوان (بيان الرئيس العام) بين فيه أهمية الدعوة إلى الله وأنها تكليف الله سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله وهي أيضًا تشريفه لهم وجماعات الدعوة تتشرف بحمل هذه الأمانة، وأصّل - رحمه الله - أصولا للسالكين خلف النبيين والمرسلين سبيل الدعوة إلى الله تعالى منها:

١ - ضبط السلوك في الدعوة على منهج الرسول ﷺ ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾.

٢ - الإخلاص لله عز وجل وطلب الأجر منه سبحانه وتعالى وحده.

٣ - التوكل على الله وطلب العون منه سبحانه وتعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾.

٤ ـ الدعوة قديمة في مسيرتها قام بها سلفنا الصالح ونود أن نلحق بهم على الحق الذي جاءنا في القرآن والسنة بفهم سلف الأمة لقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» رواه البخاري.

٥ ـ الدعوة الجماعية دعوة مباركة لقوله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعداون﴾ ونهى عن أن يتحول فرع الجماعة العامل إلى فرد واحد فتضيع بركة الدعوة الجماعية.

وتكون هذه الدعوة الجماعية التي نتعاون فيها قائمة على:

أ ـ تصحيح العقيدة في قلوب الناس بكل وسائل الدعوة المتاحة والمشروعة.

ب ـ الاعتناء برسالة الله التي أرسلها لنا بالتشجيع على حفظ القرآن والسنة.

جـ ـ الاعتناء باللغة العربية وتدريسها في مساجدنا لأنها تقوّم اللسان وتصحح الأفهام.

د ـ التعاون في مشروع تعليم المعلوم من الدين بالضرورة في مشروع محو الأمية الدينية المتفشية.

هـ ـ أن نعمل على تكوين جيل من الدعاة المتخصصين لملء الفراغ الواسع في أمر الدعوة إلى الله عز وجل.

قال رحمه الله: على هذه الملامح ينبغي أن يحاسب بعضنا بعضًا وأن نتنافس في تحقيقها وتوسيع نطاقها ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ وذلك في منهج متكامل وأسلوب متعاون واتزان مع كل العاملين في حقل الدعوة إلى الله مستفيدين من كل الجهود المبذولة والإمكانات المتاحة والله من وراء القصد أهـ كل ذلك في حدود ما تقدم بالكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، هكذا بدأ رحمه الله حياته القيادية لأنصار السنة واستمر على ذلك حتى ختم حياته المشحونة بالجهاد في سبيل الله بمقالين في عدد المجلة الماضي أحدهما يحذر فيه من العصبية الجاهلية ويحث فيه على التمسك بالنظام الإسلامي الشامل لسائر مناحي الحياة، والآخر فيه التحذير من سفك الدم الحرام والتحذير من كل ما يؤدي إليه، وآخر ما كتب وسينشر بعد إن شاء الله (رحمة النبي ﷺ بأصحابه) فيه إشارة إلى ما كان عليه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ﷺ حتى نأتسى به في ذلك، ثم يذهب إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة حتى يكفر الله بها عنه الذنوب ويصلي الجمعة التي يكفر الله بها من الجمعة إلى الجمعة ومن علامات حسن الخاتمة الموت يوم الجمعة وينطق بالشهادة التي عاش عليها ولها، يموت عليها حتى يبعثه الله عليها يوم القيامة تحت لواء سيد الموحدين ﷺ، أقول... تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، لا نبكيه شخصًا بل نبكيه حكيمًا قاد أنصار السنة، رحمك الله يا نور الدين ونوّر قبرك إلى يوم الدين وجمعنا بك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم ارفع درجاته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونوّر له فيه، واخلف علينا ـ أنصار السنة ـ بمن يقوم مقامه لرفع راية التوحيد ونصرة السنة وقمع البدعة.

أقول يا أنصار السنة اجتمعوا ولا تتفرقوا وائتلفوا ولا تختلفوا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وليكن همكم استمرار الدعوة إلى الله من كتاب الله إلى كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ إلى سنة رسول الله ﷺ وعلى ما كان عليه سلفنا، اللهم ثبتنا على دينك وخذ بنواصينا إلى الحق وسددنا في دعوتنا إلى الحق، والحمد لله رب العالمين أولا وآخرًا.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا.

«شيخ الحرم» ابن جريج

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه :

هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي مولاهم، قيل : كان جده جريج عبدًا لأم حبيب بنت جبير زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي ، فنسب ولاؤه إليه وهو عبد روميّ .

مولده : ولد سنة ثمانين ، عام الجاف «سيل كان بمكة».

شيوخه ومَن روى عنهم

حدَّث عن عطاء بن أبي رباح فأكثر وجود ، وعن ابن أبي مليكة ونافع مولى ابن عمر ، وأخذ عن مجاهد حرفين من القراءات، وروى عن عمرو بن دينار ، وعمرو بن شعيب ، وابن المنكدر ، والقاسم بن ابي بزة ، وزيد بن أسلم، والزهري ، وصفوان بن سليم ، وعبد الله بن طاووس، وخلق كثير.

الرواة عنه

روى عنه ثور بن يزيد ، والأوزاعي والليث بن سعد المصري والسفيانان والحمادان ، وابن علية، وعبد الله بن إدريس ، ويحيى بن سعيد الأموي، ويحيى بن سعيد القطان ، ووكيع ، وأبو عاصم النبيل ، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وعبيد الله بن موسى ، وغندر محمد بن جعفر وأمم سواهم .

وهو أول من دون العلم بمكة ، قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي : مَن أول من صنف الكتب؟ قال : ابن جريج وابن أبي عروبة .

ثناء العلماء عليه

قال شيخه عطاء بن أبي رباح : سيد شباب أهل الحجاز . وقيل له : من نسأل بعدك يا أبا محمد؟ قال : هذا الفتى إن عاش - يعني ابن جريج.

قال ابن المديني : نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة ، فذكرهم ، ثم قال : صار علمهم إلى أصحاب الأصناف ممن صنف العلم منهم من أهل مكة ابن جريج يكنى أبا الوليد ، لقي ابن شهاب وعمرو بن دينار - يريد من الستة المذكورين .

قال يحيى بن سعيد : ابن جريج أثبت من مالك في نافع . وقال : كان صدوقًا .

وقال : كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة.

قال أحمد بن حنبل : عمرو بن دينار وابن جريج أثبت الناس في عطاء .

وقال : كان من أوعية العلم .

قال يحيى بن معين : ابن جريج ثقة في كل ما رُوي عنه من الكتاب .

قال مخلد بن الحسين : ما رأيت خلقًا من خلق الله أصدق لهجة من ابن جريج .

قال ابن المديني : لم يكن في الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج .

قال أبو عاصم النبيل : كان ابن جريج من العباد، كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر وكان له امرأة عابدة .

قال الذهبي : الإمام العلاّمة الحافظ. وقال: وكان بحرًا من بحور العلم .

وقال : كان شيخ الحرم بعد الصحابة عطاء ومجاهد وخلفهما قيس بن سعد وابن جريج ثم تفرد بالإمامة ابن جريج فدون العلم وحمل عنه الناس وعليه تفقه مسلم بن خالد الزنجي .

وتفقه بالزنجي الإمام أبو عبد الله الشافعي وكان الشافعي بصيرًا بعلم ابن جريج عالمًا بدقائقه.

من أحواله وأقواله

قال : أتيت عطاء وأنا أريد هذا الشأن «الحديث» وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير فقال لي ابن عمير : قرأت القرآن ؟ قلت : لا ، قال : فاذهب فاقرأه ثم اطلب العلم ، فذهبت فغبتُ زمانًا حتى قرأت القرآن ثم جئت عطاء وعنده عبد الله ، فقال : قرأت الفريضة ؟ (يعني الفرائض) قلت : لا ، قال : فتعلمْ الفريضة ، ثم اطلب العلم ، قال : فطلبت الفريضة ثم جئت فقال: فاطلب العلم ، فلزمت عطاء سبع عشرة سنة.

قال ابن عيينة : سمعت ابن جريج يقول : ما دون العلم تدويني أحد ، جالست عمرو بن دينار بعدما فرغت من عطاء تسع سنين .

قال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج لمن طلبتم العلم ؟ كلهم يقول : لنفسي ، غير ابن جريج فإنه قال : طلبته للناس .

قال الذهبي : ما أحسن الصدق ، واليوم تسأل الفقيه الغبي : لمن طلبت العلم ؟ فيبادر ويقول: طلبته لله ، ويكذب إنما طلبه للدينار ويا قلة ما عرف منه .

قلت : هؤلاء طلبوه لأنفسهم ليعملوا به ، وابن جريج طلبه للناس حتى يعلمهم ، وكل مأجور، أما الغبي الذي أشار إليه الذهبي فطلبه للدينار ويخادع نفسه فيقول : طلبته لله ، نسأل الله العافية والعلم النافع .

قال عبد الرزاق : ما رأيت أحسن صلاة من ابن جريج ، أهل مكة يقولون : أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء ، وأخذها عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر ، وأخذها أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : ما أحسن هذا الإسناد في العبادة : «صلوا كما رأيتموني أصلي» كما قال صلى الله عليه وسلم.

قال عبد الرزاق : كنت إذا رأيت ابن جريج علمت أنه يخشى الله .

قال ابن جريج : لم يغلبني على يسار عطاء عشرين سنة أحد ، فقيل له : فما منعك من يمينه؟ قال: كانت قريش تغلبني عليه .

روى ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من جلس في مجلس كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك، ثم أتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه». قال الذهبي : هذا حديث صحيح غريب .

قلت : والحديث رواه الترمذي وصححه وأبو داود وابن حبان والحاكم وهو صحيح .

وفاته : توفي ابن جريج رحمه الله سنة خمسين ومائة وعاش سبعين سنة .

فرحمه الله ورضي عنه .

المراجع

-تاريخ بغداد .
-تذكرة الحفاظ
-سير أعلام النبلاء
-تقريب التهذيب

الإعلام

بسير الأعلام

شيخ المدينة النبوية أبو حازم الأعرج

إعداد: مجدي عرفات

نسبه: هو سلمة بن دينار أبو حازم المديني المخزومي مولاهم الأعرج (الذي في ظهره عجرة عظيمة) التمار القاص الزاهد مولى بني ليث، أصله فارسي وأمه رومية، وكان أشقر أحول، ولد في أيام ابن الزبير.

شيوخه: روى عن سهل بن سعد، وأبي أمامة بن سهل، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن أبي قتادة والنعمان بن أبي عياش، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأم الدرداء، وعمارة بن عمرو بن حزم، ومحمد بن المنكدر، وغيرهم.

الرواة عنه: روى عنه ابن شهاب الزهري، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وعبيد الله بن عمر العمري، والحمادان، والسفيانان، ومالك الإمام، وسليمان بن بلال، وفضيل بن سليمان، وعبد العزيز الدراوردي، وعبد العزيز بن أبي حازم، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه

قال ابن عيينة: قال ابن معين: ثقة، وكذا قال أحمد وأبو حاتم.

قال ابن خزيمة: ثقة، لم يكن في زمانه مثله.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحدًا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال الذهبي: الإمام القدوة الواعظ.

من أحواله وأقواله

كانت الحكمة قريبة من فِيه كما قال عبد الرحمن بن زيد لذلك سننقل كثيرًا من أقواله الحكيمة:

قال: إني لأعظ وما أرى موضعًا وما أريد إلا نفسي.

وقال: اشتدت مؤنة الدين والدنيا، قيل: وكيف؟ قال: أما الدين فلا تجد عليه أعوانًا، وأما الدنيا فلا تمد يدك إلى شيءٍ منها إلا وجدت فاجرًا قد سبقك إليه.

قلت: هذا في زمان التابعين، فماذا لو رأى زماننا وغربة الإسلام بين أهله؟ بل بين من يزعمون أنهم يدعون إليه، والتنافس في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم». نسأل الله العافية.

قال: ليس للملوك صديق ولا للحسود راحة والنظر في العواقب تلقيح العقول.

قال سفيان: فذاكرت الزهري هذه الكلمات فقال: كان أبو حازم جاري، وما ظننت أنه يحسن مثل هذا.

قلت: لأنه كان يخفي نفسه.

قال: لا تكون عالمًا حتى تكون فيك ثلاث خصال: لا تبغ على من فوقك، ولا تحقرن من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

قلت: صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف قدر عالمنا».

وصدق الله إذ يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، نسأل الله الإخلاص.

قال: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة

فاتركه اليوم. وقال: انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

قال: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، وانظر إلى الذي يصلحك فاعمل به وإن كان فسادًا للناس، وانظر الذي يفسدك فدعه وإن كان صلاحًا للناس.

قال: شيئان إذا عملت بهما أصبت خير الدنيا والآخرة، لا أطول عليك، قيل: ما هما؟ قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتترك ما تحب إذا كرهه الله.

قال له عبد الرحمن بن زيد: إني لأجد شيئًا يحزنني، قال: وما هو يا ابن أخي؟ قال: حبي للدنيا، قال: اعلم أن هذا لَشَيْءٌ ما أعاتب نفسي على شيء حببه الله إليَّ؛ لأن الله قد حبب هذه الدنيا إلينا، لتكن مُعًا تبتنا أنفسنا في غير هذا؛ ألاَّ يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئًا من شيء يكرهه الله ولا أن نمنع شيئًا من شيء أحبه الله فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا إياها.

قال: ما إبليس؟ لقد عُصي فما ضرّ، وأطيع فما نفع، وما الدنيا؟ ما مضى منها فحلم، وما بقي منها فأماني.

قال: السيئ الخُلُق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور فيسمعون صوته فينفرون عنه فَرَقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قطه ليفرّ منه.

قال: وجدت الدنيا شيئين: فشيئًا هو لي، وشيئًا لغيري، فأما ما كان لغيري فلو طلبته بحيلة السماوات والأرض لم أصل إليه، فيمنع رزق غيري مني كما يمنع رزقي من غيري.

قال: لا يُحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله بينه وبين العباد، ولا يعوِّر ما بينه وبين الله إلا عوّر فيما بينه وبين العباد، لمصانعةُ وجهٍ واحدٍ أيسر من مصانعة الوجوه كلها، إنك إذا صانعته مالت الوجوه كلها إليك، وإذا استفسدت ما بينك وبينه شنئتك الوجوه كلها.

قال: اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

قال: إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنة قط أنفع منها.

قلت: لأنها قد تورث صاحبها ذلاً طويلاً لله حين يذكرها.

قال: إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

قلت: صدق الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

دخل أبو حازم على أمير المدينة، فقال له: تكلم. قال له: انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير.

قلت: فليختر كل واحد لنفسه أي البطانتين بطانة الخير أو بطانة الشر، عافانا الله من أهل الشر.

قيل: إن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه وعنده الزهري والإفريقي (عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم) وغيرهما، فقال: تكلم يا أبا حازم، فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء.

قال ابن سعد: كان يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة.

قلت: يقص: أي يعظ ويُذكر الناس.

روى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غدوة في سبيل الله أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها». رواه البخاري ومسلم.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين. وقيل: خمس وثلاثين. وقيل: أربعين ومائة. وقيل: أربع وأربعين ومائة، وكان آخر من حدث عنه أنس بن عياض، وحديثه في الكتب الستة.

رحمه الله رحمة واسعة.

شيخ الإسلام سليمان التيمي الإمام

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو سليمان بن طَرخان أبو المعتمر التيمي البصري القيسي مولاهم، لم يكن تيميا بل نزل فيهم أي نزل في بني تيم.

مولده: ولد سليمان التيمي في حدود سنة ست وأربعين.

شيوخه: روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعن ثابت البناني، والحسن البصري والربيع بن أنس، والأعمش، وطاوس بن كيسان، وقتادة، ويحيى بن يعمر، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي عثمان الهندي، وأبي عمران الجوني وأبي نضرة العبدي وخلق كثير.

الرواة عنه: روى عنه إسماعيل بن علية، وجرير بن عبد الحميد، وحماد بن سلمة والسفيانان، وشعبةُ، وأبو عاصم النبيل، وابن المبارك، وعبد الوارث بن سعيد، ومعاذ بن معاذ العنبري ومعتمر ابنه، وهشيم ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، وأبو إسحاق الشيباني وهو من أقرانه، وأبو بكر بن عياش وأبو خالد الأحمر، وخلق.

ثناء العلماء عليه: قال أحمد بن حنبل: هو ثقة وهو أحب إليّ من أبي عثمان النهديْ ومن عاصم الأحول.

قال ابن معين، والنسائي: ثقة. وقال العجلي: ثقة من خيار أهل البصرة.

وقال شعبة: شك ابن عون وسليمان التيمي يقين. يعني لثقته بحفظهما وضبطهما فالشك منهما يقين عند غيرهما.

قال ابن سعد: من العباد المجتهدين كثير الحديث ثقة.

قال الثوري: حفاظ البصريين ثلاثة: سليمان التيمي وعاصم الأحول وداود بن أبي هند، وعاصم أحفظهم.

قال ابن علية: سليمان التيمي من حفاظ البصرة.

قال يحيى بن سعيد: ما جلست إلى أحد أخوف لله من سليمان التيمي، وسمعته يقول ذهبوا بصحيفة جابر إلى الحسن فرواها - أو قال فأخذها - وذهبوا بها إلى قتادة فأخذها، وأتوني بها فلم أُردْها.

قال ابن أبي حَاتم: سئل أبي: سليمان التيمي أحب إليك في أبي عثمان أو عاصم؟ قال: سليمان، قال أحمد بن حنبل: كان يحيى بن سعيد يثني على سليمان التيمي ويقدمه على عاصم الأحول.

قال ابن حجر: ثقة عابد.

من أحواله وأقواله: قال شعبة: ما رأيت أحدًا أصدق من سليمان التيمي رحمه الله، كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغيّر لونه.

قال سعيد بن عامر الضُبَعي: كان سليمان التيمي يسبح الله في كل سجدة سبعين تسبيحة.

قال محمد بن عبد الأعلى: قال لي معتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي، مكث أربعين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة اهـ. قلت: وهذه الصلاة طول الليل كله خلاف هدي النبي ﷺ الذي كان ينام ويقوم.

قال معاذ بن معاذ: كنت إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث قد أخذ في العبادة، كانوا يرون أنه أخذ العبادة عن أبي عثمان النهدي.

قال حماد بن سلمة: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله فيها إلا وجدناه

مطيعًا وكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله.

قال علي بن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان التيمي يحدث الشريف والوضيع خمسةً خمسة، قلت: كان يدعكم تكتبون؟ قال: لا. إن ردّ عليه إنسان حسبه عليه، وكنت أردّ عليه ويحسب عليّ، يعني بقوله: أردّ عليه، أني أعيد الحديث لأحفظه فيحسبه عليه بحديث من تلك الخمسة. قلت: لأن حفظهم كان سريعًا بعد السماع مباشرة.

قال إبراهيم بن إسماعيل استعار سليمان التيمي من رجل فروة فلبسها ثم ردّها، قال الرجل: فمازلت أجد فيها ريح المسك.

قال جرير بن عبد الحميد: إن سليمان التيمي لم تمرّ عليه ساعة قط إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء صلى ركعتين.

قال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

قال معتمر بن سليمان: قال لي أبي عند موته: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به.

قال سليمان التيمي: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته.

عن فضيل بن عياض قال: قيل لسليمان التيمي: أنت أنت ومن مثلك؟

قال: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربّي عزّ وجل سمعت الله يقول ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

عن سعيد بن عامر الضبعي قال: مرض سليمان التيمي فبكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: مررت على قدريّ فسلمت عليه فأخاف الحساب عليه. قلت: القدري في زمان التيمي هو من كان يقول: لا قدر والأمر أنف أي أن الله لم يقدر شيئًا ولم يكتبه ولم يعلمه حتى يعمله العبد، وهذا كفر كما قال ابن عمر لسائله عنهم: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني فوالذي يحلف به ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.. الحديث ، ثم تطور مذهب القدرية إلى أن قالوا: إن الله قدر الخير ولم يقدر الشر وهذا ضلال أيضًا.

عن مهدي بن ميمون قال: أتيت سليمان فوجدت عنده حماد بن زيد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين فكان لا يحدث أحدًا حتى يمتحنه فيقول له: الزنى بقدر؟ فإن قال: نعم، استحلفه أن هذا دينك الذي تدين لله به؟ فإن حلف حدثه خمسة أحاديث، قلت: أي اعتقد أن الله قدر الشر والمعصية كما قدر الخير والطاعة ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، سبحانه وتعالى.

قال معتمر بن سليمان: قال أبي: أما والله لو كُشف الغطاء لعلمتْ القدرية أن الله ليس بظلام للعبيد. قلت: يعني في تقديره تعالى على العباد المعصية وحسابهم عليها وتعذيب الكافر على كفره الذي قدره عليه قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]، وقال: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣]، ومع كل هذا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:١٠٨]، وقد استشكل القدرية هذا الأمر فنفوا عن الله أن يكون قدر الشر ظنًا منهم أنهم ينزهون الله عن ذلك، وهذا ظن خاطئ.

وقد كثر كلام التيمي عن القدرية لأنهم قد ظهروا في حياته وانتشر مذهبهم، قطع الله دابرهم، وهدانا إلى الصراط المستقيم برحمته.

وفاته: توفى سليمان التيمي رحمه الله بالبصرة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائة وهو ابن سبع وتسعين سنة.

المراجع:

تذكرة الحفاظ.
سير أعلام النبلاء.
تهذيب الكمال.
تقريب التهذيب.
عقيدة السلف أصحاب الحديث.
شرح العقيدة الطحاوية.

شيخ القراء والعربية
أبو عمرو بن العلاء

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ابن العريان، وقيل: ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين ابن الحارث بن جلْهم بن خزاعة بن مازن ابن مالك بن عمرو التميمي ثم المازني البصري واسمه على المشهور زبّان. وقيل: اسمه كنيته، أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن ربيعة بن بكر من بني حنيفة.

مولده: ولد سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين.

شيوخه: أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة بن خالد، وابن كثير، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم والحسن وغيرهم.

وروى الحديث عن أنس بن مالك، والحسن البصري، وداود بن أبي هند، وأبي صالح ذكوان، وذي الرّمة الشاعر، ورؤبة بن العجاج الراجز، وعطاء بن أبي رباح، وأبيه العلاء، ومجاهد، ومحمد بن سيرين، وابن أبي ليلى والزهري وأبي الزبير، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة وغيرهم.

الرواة عنه: قرأ عليه خلق كثير منهم يحيى ابن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث بن سعيد، وشجاع، والبلخي، وعبد الله بن المبارك، وحسين الجعفي، ومعاذ بن معاذ، ويونس بن حبيب النحوي، وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، وسلام الطويل وعدة.

روى عنه الحديث وأخذ عنه والقرآن والآداب: أبو عبيدة، والأصمعي، وشبابة، ويعلى بن عبيد، والفضل بن عباس، ومعاذ بن هارون بن موسى، وعبيد بن عقل، وأبو عمرو الشيباني، والحسين بن واقد، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وحماد بن زيد، وشعبة بن الحجاج، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وعبد الوارث بن سعيد، وعيسى بن يونس، ومعتمر ابن سليمان، ومعمر بن راشد، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن حفص الأسدي الرازي المقرئ النحوي، ويعلى بن عبيد الطنافسي، ويونس بن حبيب، وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال اليزيدي: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سمع قراءتي سعيدُ بن جبير فقال: الزم قراءتك هذه.

قال أبو بكر بن مجاهد: كان أبو عمرو مقدمًا في عصره عالمًا بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم باللغة العربية، إمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة وفقهه في العربية متمسكًا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعًا في علمه، قرأ على أهل الحجاز، وسلك في القراءة طريقهم، ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه وتقر له بفضله وتاتم في القراءة بمذاهبه، وكان حسن الاختيار سهل القراءة غير متكلف، يُؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل.

قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءة والعربية والشعر وأيام العرب وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فاحرقها، وكان من أشراف العرب ووجوههم.

قال يحيى بن معين: ثقة.

وقال أبو حاتم: ليس به بأس.

وقال أبو عمرو الشيباني: ما رأيت مثل أبي عمرو.

وقال شعبة: انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار فاكتبه فإنه سيصير للناس أستاذا.

قال إبراهيم الحربي وغيره: كان أبو عمرو من أهل السنة.

قال أحمد بن الأسود: كان أبو عمرو متواريًا - يعني أيام الحجاج - فدخل عليه الفرزدق فأنشده:

ما زلت أفتح أبوابًا وأغلقها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
حتى أتيت فتىً ضخمًا دسيعته
مرُّ المريرة حرٌّ وابن أحرار
تنميهم مازن في فرع بنعتها
جَدَ كريم وعُودٌ غير خوار

قال إبراهيم الحربي: كان أهل البصرة - يعني أهل العربية منهم - أصحاب الهوى إلا أربعة فإنهم

كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي.

قال الذهبي: برّز في الحروف وفي النحو وتصدر للإفادة مدة واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم.

قال ابن حجر: ثقة من علماء العربية.

من أحواله وأقواله:

عن الأصمعي قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت حرف كذا وذكر حروفًا.

قال اليزيدي: تكلم عمرو بن عبيد (المعتزلي) في الوعيد سنة، وقال أبو عمرو: إنك لألكن الفهم إذا صيرت الوعيد الذي في أعظم شيء مثله في أصغر شيء. فاعلم أن النهي عن الصغير والكبير ليسا سواء وإنما نهى الله عنهما لتتم حجته على خلقه ولئلا يعدل عن أمره ووعيده، ثم أنشد:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي
ولا أختتي من صولة المتهدّد
وإني وإن أوعدته ووعدته
لمخلف إيعادي ومنجزُ موعدي

فقال عمرو بن عبيد: صدقت. إن العرب تتمدح بالوفاء بالوعد والوعيد وقد يتمدح بهما المرء. تسمع إلى قولهم.

لا يخلف الوعد والوعيد ولا
يبيت من ثأره على فوت

فقد وافق هذا قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾. قال أبو عمرو: قد وافق الأول أخبار رسول الله ﷺ والحديث يفسر القرآن.

قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن الغافل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت لك.

قال الأصمعي: كان لأبي عمرو كل يوم يُشتري كوزًا وريحانًا بفلسين، فإذا أمسى تصدق بالكوز وقال للجارية: جففي الريحان ودنيه في الأشنان.

قال أبو عمرو: كنت رأسًا والحسن البصري حيٌّ.

وقال: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا.

قلت: وهذا يدل على أن القراءات لابد وأن تكون مسموعة كما يدل على التزام أبي عمرو لذلك.

قال أبو عمرو: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

قال الأصمعي: كنتُ إذا رأيت أبا عمرو يتكلم ظننتُه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلاً.

قال أبو عمرو: إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال.

قلت: وهذا هو التواضع ومعرفة الإنسان قدر نفسه، وأما في زماننا فيقول من لا يحسن أن يتكلم: نحن رجال وهم رجال، أو يقال: لا تلزمني بقول فلان من العلماء أنا متعبد بفهمي أنا، وهو لا يفهم معنى ما يقول. نسأل الله العلم النافع والتواضع للحق ولأهل العلم الكبار.

قال أبو عمرو: نظرت في هذا العلم قبل أن أختن، وله يومئذ أربع وثمانون سنة.

قال حماد بن زيد: سألت أبا عمرو بن العلاء عن القدر، فقال: ثلاث آيات في القرآن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩] ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر:٥٥، ٥٦]، يعني أن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله، فلا مشيئة لهم إلا ما شاءه سبحانه وتعالى.

قال الأصمعي: قال أبو عمرو: سمعت أعرابيًا ينشد - وقد كنت خرجت إلى ظاهر البصرة متفرجًا مما نالني من طلب الحجاج لي واستخفائي منه -:

صبرٍ النفس عند كل مُلِمٍّ
إن في الصبر حيلة المحتال
لا تُضيقنّ في الأمور فقد يُكْـ
ـشف لأواؤها بغير احتيال
ربما تجزع النفوس له من الأمـ
ـر فرُجّة كحل العقال
قد يصابُ الجبانُ في آخر الصَّـ
ـف وينجو مُقارع الأبطال

فقلت: ما وراءك يا أعرابي. قال: مات الحجاج فلم أدر بأيهما أفرح، بموت الحجاج أو بقوله (فَرُجّة) لأني كنت أطلب شاهدًا لاختياري القراءة في سورة البقرة: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال أبو عمرو: كنت في ضيعتي فاشتد عليّ الحر، فبينا أنا أدور فيها نصف النهار إذ سمعت قائلاً يقول:

وإنّ امرءًا دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور

قال: فنقشته على خاتمي، فكان نقش خاتمه.

قال أبو عمرو: من عرف فضل من فوقه عُرف له من دونه، ومن جَحَد جُحِد.

قال: ما تشاتم رجلان إلا غلب المُهمل.

وفاته: قال أبو عبيدة: حدثني يونس أن أبا عمرو كان يغشى عليه ويفيق فأفاق من غشية له فإذا ابنه بشر يبكي، فقال: ما يبكيك وقد أتت عليّ أربع وثمانون سنة؟. اهـ.

وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل: سنة سبع وخمسين ومائة. رحمه الله. والله تعالى أعلم.

المراجع:
طبقات القراء.
سير أعلام النبلاء.
تهذيب الكمال.

عالم اليمن
طاووس بن كيسان اليماني

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجَنَدي الحافظ الأبناوي؛ نسبة إلى أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن، الحميري مولى بحير بن ريسان الحميري، وقيل اسمه ذكوان وطاووس لقبه.

مولده: ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه أو قبلها بقليل.

شيوخه: روى عن زيد بن ثابت وعائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وابن عمر وابن عمرو، وغيرهم. فقد أدرك خمسين من الصحابة.

الرواة عنه: روى عنه سليمان التيمي والضحاك وعبد الله بن طاووس؛ ابنه، وابن جريج وعمرو بن دينار ومجاهد والزهري ومكحول الشامي وقيس بن سعد، وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه: روى عطاء عن ابن عباس قال: إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة.

قال قيس بن سعد: هو فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة.

قال الزهري: لو رأيت طاووسًا علمتَ أنه لا يكذب.

قال عمرو بن دينار: حدثنا طاووس ولا تحسبنَّ فينا أحدًا أصدق لهجة من طاووس.

وقال: ما رأيت قط مثل طاووس.

قال ابن معين وأبو زرعة: طاووس ثقة.

قال ابن حبان: كان من عُبَّاد أهل اليمن ومن سادات التابعين مستجاب الدعوة، حج أربعين حجة.

وقال أبو نعيم: ومنهم المتفقه اليقظان، والمتعبد المحسان؛ أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان.

قال الذهبي: الفقيه القدوة عالم اليمن الحافظ.

وقال: كان رأسًا في العلم والعمل.

وقال: كان شيخ أهل اليمن وبركتهم ومفتيهم، له جلالة عظيمة، وكان كثير الحج.

وقال النووي: وهو من كبار التابعين والعلماء والفضلاء الصالحين، ثم قال: واتفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتثبته.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل.

من أحواله وأقواله: قال ابن أبي نجيح: قال مجاهد لطاووس: رأيتك يا أبا عبد الرحمن تصلي في الكعبة والنبي ﷺ على بابها يقول لك: اكشف قناعك، وبيِّن قراءتك. قال طاووس: اسكت لا يسمع هذا منك أحد. قال: ثم خيِّل إليَّ أنه انبسط من الكلام - يعني فرحًا بالمنام -.

قلت: وما له لا يفرح والرؤيا الصالحة من المبشرات؟

روى عبد الرزاق عن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس ليلةً الناسَ في طريق الحجِّ، فدق الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السَّحر ذهب عنهم، فنزلوا وناموا، وقام طاووس يصلي، فقال له رجل: ألا تنام. فقال: وهل ينام أحد في السحر.

عن ابن عيينة قال: قال عمر بن عبد العزيز لطاووس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان بن عبد الملك - قال: مالي إليه حاجة. فكأن عمر عجب من ذلك، قال سفيان: وحلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة: وربِّ هذه البنية ما رأيت أحدًا؛ الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاووسًا.

عن ابن طاووس قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن يُخرج على هذا السلطان وأن يُفعل به، قال: فخرجنا حُجَّاجًا، فنزلنا في بعض القرى وفيها عامل - يعني لأمير اليمن - يقال له ابن نجيح، وكان من أخبث عُمَّالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فجاء ابن نجيح فقعد بين يدي

طاووس، فسلّم عليه فلم يجبه، ثم كلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده وجعلت أسائله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، فقال العامل: بلى، معرفته بي فعلت ما رأيت. قال: فمضى وهو ساكت لا يقول لي شيئًا فلما دخلت المنزل قال: أي لكع بينما أنت - زعمت - تريد أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنه لسانك.

وقال رجل له: ادع الله لنا. قال: ما أجد لقلبي خشية فأدعو لك.

عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن طاووسًا قال له: يا أبا نجيح من قال واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله.

قلت: لأن نفع القائل أعم وأوسع ممن سكت واتقى الله فنفع نفسه، بل قد يكون سكوته إثما إذا رأى المنكر فلم يغيره والجهل فلم يحاربه بنشر العلم.

عن ليث قال: كان طاووس إذا شدّد الناس في شيء رخّص هو فيه وإذا ترخّص الناس في شيء شدد فيه. قال ليث: وذلك العلم.

قال حنظلة بن أبي سفيان: ما رأيت عالمًا قط يقول: لا أدري أكثر من طاووس.

قلت: فإن لا أدري نصف العلم كما تقدم مرارًا.

قال جرير بن حازم: رأيت طاووسًا يخضب بحناء شديد الحمرة.

قال عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي: رأيت طاووسًا وبين عينيه أثر السجود.

عن ابن طاووس عن أبيه قال: عجبت لإخواننا من أهل العراق؛ يُسمّون الحجاج مؤمنًا.

قال الذهبي: يشير إلى المرجئة منهم الذين يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان مع عَسْفِهِ وسفكه الدماء وسبه الصحابة رضي الله عنهم.

قلت: لأن المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقولهم باطل، فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والزلات.

إيماننا يزيد بالطاعات
وتارة ينقص بالزلات

قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، [المدثر:٣١]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، وقال: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، قال البخاري: فإذا ترك شيئًا من الكمال فهو ناقص.

وقال ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وفي قلبه وزن شعيرة من إيمان، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وفي قلبه وزن بُرّة من إيمان، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله. وفي قلبه وزن ذرة من إيمان».

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا» صحيح، رواه أبو داود وغيره.

فكيف يكون إيمان الفاسق كإيمان الصديقين؟!! سبحانك هذا ظلم في الرأي وضلال في القول. نسأل الله أن يحفظنا من الزلل.

قال طاووس: تعلّم لنفسك فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة.

قلت: لعله يعني أنهم يحرفون الكلم من بعد سماعه وينسبونه للمتحدث، وما أكثر هذا في زماننا وقبل زماننا، وما آفة الأخبار إلا رواتها.

عن أبي عبد الله الشامي قال: استأذنت على طاووس لأسأله عن مسألة فخرج عليّ شيخ كبير فظننته هو، فقال: لا، أنا ابنه. قلت: إن كنت ابنه فقد خرف أبوك. قال: تقول ذاك؟! إن العالم لا يخرف. قال: فدخلت فقال لي طاووس: سل وأوجز، وإن شئت علمتك في مجلسك هذا القرآن والتوراة والإنجيل. قلت: إن علمتنيها لا أسألك عن شيء. قال: خَفِ اللهَ مخافة لا يكون شيء عندك أخوف منه، وارجه رجاءً هو أشد من خوفك إياه، وأحبّ للناس ما تحب لنفسك.

قلت: وهذا جماع كل خير في الدنيا والآخرة ومما اتفقت عليه شرائع الله في القرآن والتوراة والإنجيل غير المحرفين.

قال طاووس: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.

وقال: البخل أن يبخل الرجل بما في يديه، والشح أن يحب أن يكون له ما في أيدي الناس.

وقال لابنه: يا بني؛ صاحِبِ العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحِبِ الجهّال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن عقله.

عن ابن طاووس قال: جاء رجل من الخوارج إلى أبي فقال: أنت أخي، فقال أبي: أمِنْ بين عباد الله؟ المسلمون كلهم إخوة.

ورأى طاووس رجلا مسكينًا في عينيه عمش وفي ثوبه وسخ فقال له: عُدّ أن الفقر من الله فأين أنت عن الماء؟

قال ابنه له: ما أفضل ما يقال على الميت؟: قال: الاستغفار.

قلت: نعم. قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» رواه أبو داود وهو صحيح.

وفاته: قال ابن شوذب شهدت جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومئة، فجعلوا يقولون: رحم الله أبا عبد الرحمن حج أربعين حجة، وقيل مات سنة ست.

رحم الله طاووسًا وجمعنا به في جنات النعيم.

المراجع:

حلية الأولياء.
تهذيب الكمال.
تقريب التهذيب.
سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ.
تهذيب الأسماء واللغات.

الإعلام

تقي الدين
امام التابعين
الحسن البصري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال: مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، وكانت أمه مولاة لأم المؤمنين أم سلمة المخزومية رضي الله عنها، واسم أمه خيرة.

مولده: ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

شيوخه: روى عن المغيرة بن شعبة، وعبدالرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير، وجابر بن عبد الله، وجندب البجلي، وابن عباس، ومعقل بن يسار، وأنس بن مالك، وخلق من الصحابة، ولم يسمع من كثير منهم، بل روى عنهم رواية، فإنه مدلِّس.

وقرأ القرآن على حسان بن عبد الله الرقاشي، وروى عن خلق من التابعين.

الرواة عنه: روى عنه: أيوب، ويونس بن عبيد، وحميد الطويل، وثابت البناني، وجرير بن حازم، ومبارك بن فضالة، وأبان العطار، وسلام بن مسكين، وقرة بن خالد، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال العوام بن حوشب: ما أشبّه الحسن إلا بنبيّ.

قال أبو بردة: ما رأيت أحدًا أشبه بأصحاب النبي ﷺ من الحسن.

قال قتادة: الزموا هذا الشيخ؛ فما رأيت أحدًا أشبه رأيًا بعمر منه- يعني الحسن.

وقال: ما جمعت علم الحسن إلى أحد من العلماء إلا وجدت له فضلا عليه، غير أنه إذا أشكل عليه شيء كتب فيه إلى سعيد بن المسيب يسأله، وما جالست فقيهًا قط إلا رأيت فضل الحسن.

عن أنس قال: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا.

قال الأشعث بن أبي الشعثاء: ما لقيت أحدًا بعد الحسن إلا صغر في عيني.

قال أبو هلال عند قتادة: لقد كان غُمس في العلم غمسة- يعني الحسن-. فقال قتادة: بل نبت فيه وتحقبه وتشرَّبه، واللهِ لا يبغضه إلا حروريّ.

قال حميد: ما كان أحد أكمل مروءة من الحسن.

قال علي بن زيد: سمعت من ابن المسيب وعروة والقاسم وغيرهم، ما رأيت مثل الحسن، ولو أدرك الصحابة وله مثل أسنانهم ما تقدموه.

قال عطاء: عليك بذاك- يعني الحسن- ذاك إمام ضخم يُقتدى به.

قال الربيع بن أنس: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك.

قال عوف الأعرابي: ما رأيت رجلا أعلم بطريق الجنة من الحسن.

قال بكر بن عبد الله المزني: من سَرَّه أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج.

قال ابن سعد: كان الحسن رحمه الله جامعًا عالمًا رفيعًا فقيهًا ثقة حجة مأمونًا

عابدًا ناسكًا كثير العلم، فصيحًا، جميلا، وسيمًا، وما أرسله فليس بحجة.

قال الذهبي: والحسن مع جلالته فهو مدلس[1] ومراسيله ليست بذاك، ولم يطلب الحديث في صباه، وكان كثير الجهاد.

قال: وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان عامة من ذكرنا من النساك يأتون الحسن، ويسمعون كلامه، ويذعنون له بالفقه في هذه المعاني خاصة- يعني الزهد والعبادة والمراقبة- وكان عمرو بن عبيد، وعبد الواحد بن زيد من الملازمين له، وكان له مجلس خاص في منزله لا يكاد يتكلم فيه إلا في معاني الزهد والنسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسان غيرها تبرّم منه وقال: إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر، فأما حلقته في المسجد فكان يُمر فيها الحديث والفقه وعلم القرآن واللغة وسائر العلوم.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلس.

من أحواله وأقواله:

قال الأعمش: مازال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان إذا ذُكر الحسن عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامُه كلامَ الأنبياء.

قال في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]. قال: هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه.

روى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة يسند ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبرًا عتبتان». فلما قام على المنبر يخطب حنّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ، قال: وأنا في المسجد فسمعت الخشبة تحنّ حنين الوَالِه، فمازالت تحنُّ حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت، وكان الحسن إذا حدث بهذا بكى، ثم قال: يا عباد الله، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه، فأنتم أحق أن تشتاقوا.

قال الذهبي: هذا حديث حسن غريب.

قال مطر الوراق: لما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما عاين.

وقال الحسن: المؤمن يداري دينه بالثياب، يعني لا يبديه رياءً. والله أعلم.

قال: يا ابن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولنّ في الدنيا حزنك، وليشتدّن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

عن عمران القصير قال: سألت الحسن عن شيء فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا. فقال: وهل رأيت فقيهًا بعينك؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

قال: ما أعزَّ أحدُ الدرهمَ إلا أذله الله.

قال: بئس الرفيقان: الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى يفارقاك.

قال: ابنَ آدم، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة. ما يُؤَمِّنُك أن تكون أصبت كبيرة أُغلق دونها باب التوبة، فأنت في غير معمل.

قال: أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون أنت إذا أهنتها.

قال: خلق الله الشيطان وخلق الخير وخلق الشر، فقال رجل: قاتلهم الله يكذبون على هذا الشيخ.

قلت: أي فيما يتهمونه به من القدر كذبًا عليه إما عمدًا بتأويل كلامه تأويلا غير صحيح، أو جهلا به.

قيل لابن سيرين في الحسن وما كان ينحل أهل القدر؟ قال: كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه لهم لساءهم- أي أهل القدر-.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص حتى نسبته القدرية إلى الجبر (لأنه أثبت الخلق كله لله وفيه أفعال العباد).

وتكلّم في الاكتساب حتى نسبته السنّة إلى القدر (لأنه أضاف الأفعال للعباد)، كل ذلك لافتنانه وتفاوت الناس عنده وتفاوتهم في الأخذ عنه، وهو بريء من القدر ومن كل بدعة.

عن ابن عون عن الحسن قال: من كذّب بالقدر فقد كفر.

قلت: لأنه نفى جملة كبيرة من المخلوقات عن الله وأضافها لغيره سبحانه لأن معظم أهل الأرض في ضلال ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فأكثر أفعال العباد في الضلال والشر، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال أبو الأشهب: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

قال حميد: قرأت القرآن كله على الحسن ففسره لي أجمع على الإثبات، فسألته عن قوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ قال: الشرك سلكه الله في قلوبهم. اهـ.

قلت: هذا إثبات لخلق الله عز وجل لكل شيء، حتى الشرك.

قال خالد الحذاء: سأل رجل الحسن، فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، قال: أهل رحمته لا يختلفون، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره، فقلت: يا أبا سعيد، آدم خلق للسماء أم للأرض؟ قال: للأرض خلق، قلت: أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن بُدٌّ من أن يأكل منها لأنه خلق للأرض، فقلت: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] قال: نعم الشياطين لا يُضلون إلا من أحب الله له أن يصلى الجحيم. اهـ.

قلت: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]، فالله هو الذي يُرسل الشياطين لإضلال من أراد به العذاب، والعياذ بالله من الضلال.

قال الذهبي: وقد مرّ إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب عنه، فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد.

قال الحسن: كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وزهده ولسانه وبصره.

قال: اصحب الناس بما شئت أن تصحبهم فإنهم سيصحبونك بمثله.

قال: ابن آدم، السكين تُحَدّ والكبش يُعلف والتنور يُسجّر.

قال: نضحك ولا ندري لعل الله اطلع على بعض أعمالنا.

قال: فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحًا.

قال: ابن آدم، إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

قال هشام بن حسان: كان الحسن أشجع أهل زمانه.

قال السري بن يحيى: كان الحسن يصوم البيض، وأشهر الحرم، والاثنين والخميس.

عن مطر قال: دخلنا على الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء لا فراش ولا بساط ولا وسادة ولا حصير إلا سريرٌ مرمول هو عليه.

قال إياس بن أبي تميمة: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي على بغلة، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناسُ يقولون: خير الناس وشر الناس، قال: يا أبا فراس كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني، وكم من شيخ مشرك أنت خير منه، ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، قال: إن معها شروطًا، فإياك وقذف المحصنة، قال: هل من توبة؟ قال: نعم.

قال فضيل بن جعفر: خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقرّاء على الباب، فقال: ما يحبسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرّقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمّرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد.

قال الحسن: المؤمن من علم أن ما قال الله كما قال، والمؤمن أحسن الناس عملا وأشد الناس وجلا، فلو أنفق جبلا من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحًا وبرًا إلا ازداد فَرَقًا، والمنافق يقول: سواد الناس كثير وسيُغْفر لي، ولا بأس عليّ فيُسيء العمل ويتمنى على الله.

قلت: رحم الله الحسن، فقد كان- كما تقدم- يشبه كلامُه كلام الأنبياء.

وفاته: توفي الحسن رحمه الله في رجب سنة عشر ومائة. رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

المراجع:

«سير أعلام النبلاء». «الحلية».
«التهذيب». «تقريب التهذيب».

الإعلام

زين العابدين

إعداد / مجدي عرفات

اسمه: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد الإمام الهاشمي العلوي المدني، أبو الحسين، ويقال أبو الحسن، ويقال: أبو محمد، ويقال أبو عبد الله.

أمُّه أم ولد اسمها سلامة بنت ملك الفرس يَزْدَجِرْد، وقيل غزالة.

مولده: ولد سنة ثمان وثلاثين تقريبًا.

شيوخه: روى عن أبيه الحسين الشهيد، وعن صفية أم المؤمنين، وعن أبي هريرة، وعائشة، وأبي رافع وعمه الحسن وابن عباس وأم سلمة والمسور بن مخرمة وزينب بنت أبي سلمة وغيرهم.

الرواة عنه: حدث عنه أولاده أبو جعفر الباقر محمد وعمر وزيد وعبد الله، والزهري وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وأبو الزناد، وحبيب بن أبي ثابت وهشام بن عروة وأبو الزبير المكي والأعرج وأبو حازم وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا كثير الحديث عالما رفيعًا ورعًا.

قال زيد بن أسلم: ما رأيت فيهم مثل علي بن الحسين (يعني أهل البيت).

قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل من علي بن الحسين.

وقال: ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحدًا كان أفقه منه ولكنه كان قليل الحديث.

قال نافع بن جبير: كان علي بن الحسين رجلا له فضل في الدين.

قال سعيد بن المسيب: ما رأيت أورع منه.

قال مالك: لم يكن في أهل البيت مثله.

قال حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته.

قال العجلي: مدني تابعي ثقة.

قال أبو نعيم: زين العابدين ومنار القانتين، كان عابدًا وفيًا وجوادًا حفيًا.

قال ابن حجر: ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور.

من أحواله وأقواله: عن هشام بن عروة قال: كان علي بن الحسين يخرج على راحلته إلى مكة ويرجع ولا يَقْرَعُها، وكان يجالس أسلم مولى عمر فقيل له: تدع قريشًا وتجالس عبد بني عدي، فقال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع.

قال عبد الرحمن بن أدرك: كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير. غفر الله لك أنت سيد الناس تاتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال علي بن الحسين: العلم يُبتغى ويُؤتى ويُطلب من حيث كان.

عن يحيى بن سعيد عن علي بن الحسين قال: يا أهل العراق أحبونا حبَ الإسلام ولا تحبونا حبَ الأصنام، فما زال حبكم حتى صار علينا شينًا.

قلت: ردَ على الشيعة الغلاة الذين يحبون الذوات بغلو إلى أن أوصلوهم لدرجة أعلى من النبيين والملائكة المقربين، فهذا زين العابدين رحمه الله يقول أحبونا حبَ الإسلام. أي: على قدر تحصيلهم من شعائر الإسلام وهذا هو الحب في الله الذي هو أوثق عرى الإسلام.

قال جويرية ابن أسماء: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهما قط.

قال المقبري: بعث المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها، وخاف أن يردها، فاحتبسها عنده حتى قتل المختار، فبعث يُخبر عبد الملك وقال: ابعث من يقبضها، فأرسل إليه عبد الملك: يا ابن العم خذها قد طيبتها لك، فقبلها.

عن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار. فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له في ذلك فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

روى ابن عساكر بسنده إلى مالك قال: أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يلبي قالها فأغمى عليه وسقط من ناقته فهشم، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات وكان يسمى زين العابدين لعبادته.

قلتُ: لا يمكن أن يكون هذا أبدًا، وهو خلاف هدي النبي ﷺ، وما أظنه يثبت عنه رحمه الله.

عن أبي حمزة الثمالي: أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الربّ. وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجُرب بالليل إلى منازل الأرامل.

وقال شيبة بن نعامة: لمامات عليٌّ وجدوه يعول مئة أهل بيت.

قال الذهبي: لهذا كان يُبخّل، فإنه ينفق سرًا ويظن أهله أنه يجمع الدراهم. حدث علي بن الحسين بحديث النبي ﷺ: «من أعتق نسمة مؤمنة أعتق الله كل عضو منه بعضو منه من النار حتى فرجه بفرجه» [متفق عليه] فأعتق علي غلامًا أعطاه فيه عشرة آلاف درهم لعبد الله بن جعفر.

عن عمرو بن دينار قال: دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال: ما شانك؟ قال: علي دين، قال: وكم هو؟ قال: بضعة عشر ألف دينار، قال: فهي عليَّ.

قال علي بن الحسين: إني لأستحيي من الله أن أرى الأخ من إخواني فاسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان غدًا قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل.

قال أبو حازم، ما رأيت هاشميًا أفقه من علي بن الحسين سمعته وقد سئل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة.

قلت: حتى يخسأ الشيعة المتنقصين للشيخين فهذا واحد ممن يتشيعون له يضعهما مكانتهما التي أنزلهما الله إياها.

عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين قال: جاء رجل إلى أبي فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصديق؟ قال: ثكلتك أمك، قد سماه صديقًا من هو خير مني رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، فمن لم يسمه صديقًا فلا صدّق الله قوله، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما فما كان من أمر ففي عنقي.

عن علي بن الحسين قال: إن الجسد إذا لم يمرض أشِرَ (تكبر) ولا خير في جسد ياشر.

وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي، وتقبّح في خفيات العيون سريرتي، اللهم كما أسأتُ أحسنتَ إليّ فإذا عدت فعد علي، وكان من دعائه: اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني.

عن الزهري: سألت علي بن الحسين عن القرآن فقال: كتاب الله وكلامه.

قلت: فكلامه سبحانه صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقه. لا كما قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق، وكذبوا.

وجاءه رجل فقال: جئتك في حاجة وما جئت حاجًا ولا معتمرًا، قال: وما هي؟ قال: جئت أسالك متى يبعث عليّ؟ قال: يبعث والله يوم القيامة ثم تُهمّه نفسه.

قلت: هذا أيضا تكذيب للشيعة الذين يؤمنون بعودة عليّ لأنه في ظنهم في السحاب لم يمت، وهي من العقائد الفاسدة التي أدخلها عليهم ابن سبأ اليهودي المفسد للدين.

عن أبي يعقوب المدني قال: كان بين حسن بن حسن وبين ابن عمه علي بن الحسين شيءٌ فما ترك حسن شيئًا إلا قاله وعليّ ساكت، فذهب حسن فلما كان في الليل أتاه عليٌّ فخرج فقال عليّ: يا ابن عمي إن كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك السلام عليك، قال: فالتزمه حسن وبكى حتى رثى له.

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: إنا لنصلي خلفهم - يعني بني أميّة - من غير تقية وأشهد علي أبي أنه كان يصلي خلفهم من غير تقية.

قلت: هذا أيضا تكذيب للشيعة الكذبة الذين يؤمنون بالتقية، ويكذبون على آل البيت في قول أبي جعفر المكذوب عليه: التقية ديني ودين آبائي؛ والتقية هي إظهار غير الباطن.

قال علي بن الحسين: والله ما قُتل عثمان رحمه الله على وجه الحق.

وكان رحمه الله يلبس في الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر ويتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢].

وفاته: توفى رحمه الله سنة أربع وتسعين.

والله من وراء القصد.

السيد الحليم
«الأحنف بن قيس»

إعداد / مجدي عرفات

اسمه: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، قيل اسمه الضحاك وقيل صخر، وشُهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج والميل، أبو بحر التميمي المخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام ولم ير النبي ﷺ.

شيوخه: روى عن عمر وعلي وأبي ذر والعباس وابن مسعود وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وغيرهم.

الرواة عنه: روى عنه الحسن البصري وعروة بن الزبير وطلق بن حبيب وعبد الله بن عميرة وآخرون، وهو قليل الرواية.

ثناء العلماء عليه: قال الحسن: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف.

قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا قليل الحديث.

قال العجلي: الأحنف بصري ثقة كان سيد قومه وكان أعور أحنف دميمًا قصيرًا كوسجًا (نقي الخدين من الشعر) له بيضة واحدة حبسه عمر سنة يختبره فقال: هذا والله السيد.

قال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه.

قال فيه الشاعر:

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس
ظللن مهابة منه خشوعًا

قال الذهبي: الأمير الكبير العالم النبيل التميمي أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل.

قال ابن حجر: ثقة.

قال سليمان بن أبي شيخ: وأمه باهلية فكانت ترقصه وتقول:

والله لولا حنفٌ برجلِهِ
وقلة أضافها من نسلِهِ
ما كان في فتيانكم من مثلِهِ

من أحواله وأقواله: قال الشعبي: وفد أبو موسى وفدًا من البصرة إلى عمر منهم الأحنف بن قيس فتكلم كل رجل في خاصة نفسه وكان الأحنف في آخر القوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر وأصحابه، وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار والجنان وفي مثل عين البعير وكالحوار في السّلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها طرفها في بحر أجاج وطرف في غلاة لا يأتينا شيء إلا في مثل مرئ النعامة فارفع خسيستنا وانعش وكيستنا وزد في عيالنا عيالا وفي رجالنا رجالا وصغّر درهمنا وكبّر قفيزنا ومر لنا بنهر نستعذب منه، فقال عمر: عجزتم أن تكونوا مثل هذا، هذا والله السيد، قال: فمازلت أسمعها بعد، قلت: هذا هو السيد الذي ما سأل كما سأل أصحابه لأنفسهم ولكن سأل للعامة من قبيلته رحمه الله.

عن ابن سيرين قال: نُبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمّهم فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي، قال: تكلم، قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم وإنما هم من الناس فيهم الصالح والطالح فقال: صدقت، فقام الحتات - وكان يناوئه - فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فلأتكلم، قال: اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف.

قال ابن المبارك: قيل للأحنف: بم سوّدوك؟ قال: لو عاب الناس الماء لم أشربه. قلت: يعني أنه يترك ما يعيبه الناس ولو كان فيه حياته وهذا مشروط بما لم يوجبه الله ورسوله ﷺ.

قيل للأحنف: إنك كبير والصوم يضعفك. قال: إني أعدّ لسفر طويل.

قال مروان الأصفر: إنه سمع الأحنف يقول: اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذاك وإن تعذبني فأنا أهل ذاك.

عن الحسن قال: ذكروا عند معاوية شيئًا فتكلموا والأحنف ساكت فقال: يا أبا بحر مالك لا تتكلم؟ قال: أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت.

قال الأحنف: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر.

قال سليمان التيمي: قال الأحنف: ثلاث فيّ ما أذكرهن إلا لمعتبر: ما أتيت باب السلطان إلا أن أدعى ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحدًا بعد أن يقوم من عندي إلا بخير.

قال: ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور إن كان فوقي عرفت له، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.

قال: لستُ بحليم ولكني أتحالم.

قيل: إن رجلا خاصم الأحنف وقال: لئن قلت واحدة لتسمعن عشرًا فقال: لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة.

قيل إن رجلا قال للأحنف: بم سدت قومك؟ وأراد أن يعيبه ـ قال الأحنف: بتركي ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

عن هشام بن عقبة أخي ذي الرُّمة قال: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم فتكلم فيه وقال: احتكموا. قالوا: نحتكم ديتين قال: ذاك لكم فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم فاسمعوا: إن الله قضى بديةٍ واحدة وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة وإن العرب تقاضى بينها دية واحدة وأنتم اليوم تطالبون وأخشى أن تكونوا غدًا مطلوبين فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم قالوا ردّها إلى دية.

وعنه قال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر وحليم من أحمق.

قال: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.

قال: الكامل من عدت سقطاته قلت: أي أنه ليس بمعصوم.

سئل عن المروءة قال: كتمان السر والبعد عن الشر.

قال: رأس الأدب آلة المنطق، لا خير في قولٍ بلا فعل، ولا في منظرٍ بلا مخبر، ولا في مالٍ بلا جود، ولا في صديقٍ بلا وفاء، ولا في فقهٍ بلا ورع ولا في صدقةٍ بلانية ولا في حياةٍ إلا بصحة وأمن.

قال الحسن: رأى الأحنف في يد رجل درهمًا فقال: لمن هذا؟ قال: لي قال: ليس هو لك حتى تخرجه في أجرٍ أو اكتساب شكر وتمثّل:

أنت للمال إذا أمسكته
وإذا أنفقته فالمال لك

قيل: كان الأحنف إذا أتاه رجل وسّع له، فإن لم يكن له سعة، أراه كأنه يوسع له.

قال: جنّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل أن يكون وصافًا لفرجه وبطنه.

قال: لا ينبغي للأمير الغضب لأن الغضب في القدرة لقاح السيف والندامة.

قال عبد الملك بن عمير: قدم علينا الأحنف الكوفة مع مصعب فما رأيت صفة تُذم إلا رأيتها فيه، كان ضئيلا، صعل الرأس (صغير) متراكب الأسنان، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخق العين (مخسوفة) خفيف العارضين، أحنف الرجلين، فإذا تكلم جلا عن نفسه.

قال: لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفة.

قيل كان زياد معظمًا للأحنف فلما وُلّى بعده ابنُه عبيدُ الله تغير أمر الأحنف وقدّم عليه من هو دونه ثم وفد على معاوية في الأشراف فقال لعبيد الله: أدخلهم عليّ على قدر مراتبهم، فأخر الأحنف، فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته، وقال إليّ يا أبا بحر، وأجلسه معه وأعرض عنهم فأخذوا في شكر عبيد الله بن زياد وسكت الأحنف، فقال له: لم لا تتكلم؟ قال: إن تكلمت خالفتهم، قال: (أي معاوية) اشهدوا أني قد عزلت عبيد الله، فلما خرجوا كان فيهم من يروم الإمارة، ثم أتوا معاوية بعد ثلاث وذكر كلُّ واحد شخصًا وتنازعوا، فقال معاوية: ما تقول يا أبا بحر؟ قال: إن ولّيت أحدًا من أهل بيتك لم تجد مثل عبيد الله، فقال قد أعدته، قال: فخلا معاوية بعبيد الله وقال: كيف ضيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك وهو ساكت؟ فلما رجع عبيد الله جعل الأحنف صاحب سرّه.

قال أبو عمرو بن العلاء: توفى الأحنف في دار عبيد الله بن أبي غضنفر فلما دُلّى في حفرته أقبلت بنتٌ لأوسٍ السعدي وهي على راحلتها عجوزٌ فوقفت عليه وقالت: من المُوَافي به حفرته لوقت حِمامه؟ قيل لها: الأحنف بن قيس. قالت: والله لئن كنتم سبقتمونا إلى الاستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثناء عليه بعد وفاته، ثم قالت: لله دَرُّ من مُجَنٍّ في جَنَن، ومدرج في كفن، وإنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل من ابتلانا بموتك وفجعنا بفقدك أن يوسع لك في قبرك، وأن يغفر لك يوم حشرك، أيها الناس إن أولياء الله في بلاده هم شهوده على عباده وإنا لقائلون حقًا، ومثنون صدقًا، وهو أهل لحُسن الثناء أما والذي كنت من أجله في عدة، ومن الحياة في مدة، ومن المضمار في غاية، ومن الآثار إلى نهاية، الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك، لقد عشت مودودا حميدًا، ومت سعيدًا فقيدًا، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السلم، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، ولقد كنت في المحافل شريفًا، وعلى الأرامل عطوفًا، ومن الناس قريبًا، وفيهم غريبًا، وإن كنت فيهم مسودًا وإلى الخلفاء لموفدًا، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين رحمنا الله وإياك.

وفاته: مات رحمه الله سنة سبع وستين وقيل سنه ثنتين وسبعين.

المراجع: سير أعلام النبلاء.
تهذيب الكمال.
تاريخ دمشق لابن عساكر.
تقريب التهذيب.

فقيه العراق
إبراهيم النَّخَعِي

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الإمام الحافظ أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخَعِي اليماني ثم الكوفي أمه مليكة أخت الأسود بن يزيد.

شيوخه: روى عن خاله الأسود بن يزيد، ومسروق، وعلقمة بن قيس، وعبيدة السلماني، والربيع بن خُثَيْم، وسويد بن غَفَلة، وشريح القاضي، وأبي عبد الرحمن السلمي، وخلق كثير من التابعين، وليس له سماع من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة، ودخل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي.

الرواة عنه: روى عنه الحكم بن عُتَيْبَةَ، وعمرو بن مرة، وسماك بن حرب، وحماد بن أبي سليمان تلميذه، والأعمش، وعبد الله بن عون، ومغيرة بن مقسم الضبي تلميذه وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه: قال العجلي: كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما وكان رجلاً صالحًا، فقيهًا، متوقيًا، قليل التكليف.

قال الأعمش: كان إبراهيم صيرفيّ الحديث.

قلت: يعني أنه من النقاد للحديث ذوي الخبرة به وبعلله.

قال يحيى بن معين: مراسيل إبراهيم أحبّ إليّ من مراسيل الشعبي.

قال طلحة بن مصرف: ما بالكوفة أعجب إليّ من إبراهيم وخيثمة.

قال سعيد بن جبير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟.

قال شعيب بن الحجاب: كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلاً سابع سبعة أو تاسع تسعة، فقال الشعبي: أدفنتم صاحبكم؟ قلت: نعم، قال: أما إنه ما ترك أحدًا أعلم منه، أو أفقه منه، قلت: ولا الحسن ولا ابن سيرين؟ قال: نعم، ولا من أهل البصرة ولا من أهل الكوفة ولا من أهل الحجاز. وفي رواية: ولا من أهل الشام.

قال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكيًا حافظًا صاحب سنة.

قال الذهبي: وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود واسع الرواية فقيه النفس كبير الشأن كثير المحاسن رحمه الله تعالى.

قال أبو نعيم: ومنهم التقي الخفي الفقيه الرضي إبراهيم بن يزيد النخعي، كان للعلوم جامعًا وبه نخوة النفوس واضعًا وعن المتواضعين رافعًا.

قال ابن حجر: الفقيه ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا.

من أحواله وأقواله: قال إسماعيل بن أبي خالد: كان الشعبي وإبراهيم وأبو الضحى يجتمعون في المسجد يتذاكرون الحديث فإذا جاءهم شيء وليس فيه عندهم رواية، رموا إبراهيم بأبصارهم.

قال المغيرة: كره إبراهيم أن يستند إلى سارية. قلت: تواضعًا منه.

قال إبراهيم: ما كتبت شيئًا قط. قلت: لتمام حفظه وضبطه.

قال الأعمش لإبراهيم: إذا حدثتني عن عبد الله فأسند، قال: إذا قلت: قال عبد الله فقد سمعته من غير واحد من الصحابة، وإذا قلت: حدثني

فلان، فحدثني فلان.

قال الحاكم: كان إبراهيم النخعي يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود، وكان يبغض المرجئة ويقول: لأنا على هذه الأمة- من المرجئة- أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة.

قلت: المرجئة الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل، وأن المؤمنين في إيمانهم سواء، فإيمان آحاد المؤمنين كإيمان جبريل والملائكة والأنبياء والصحابة، وهذا قول باطل يبطله القرآن والسنة والإجماع من السلف....، أما الأزارقة فهم طائفة من الخوارج وهم أهل شر وفساد على عكس المرجئة فيحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر.

قال شعيب بن الحجاب: حدثتني هنيدة امرأة إبراهيم أن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

قال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلي ثم يأتينا فيمكث ساعة كأنه مريض.

قال مغيرة: رأيت إبراهيم يرخي عمامته من ورائه.

قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثوب صوف، فقال له: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتني ننتظر إبراهيم فيخرج عليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له، يعني أنه لا يظهر البؤس والحاجة.

عن مغيرة قال: قيل لإبراهيم: قتل الحجاج سعيد بن جبير، قال: يرحمه الله، ما تُرِكَ بعده خَلَفٌ، قال: فسمع بذلك الشعبي، فقال: هو بالأمس يعيبه بخروجه على الحجاج، يقول اليوم هذا؟ فلما مات إبراهيم قال الشعبي: ما تُرك بعده خَلَفٌ. قلت: نعم يعيب عليه الخروج على الأمير وإن كان ظالمًا؛ لأن هذا خلاف الحق والسنة، ويمدحه لما عنده من علم وعمل غير هذا، والله أعلم.

عن عاصم قال: تبعت الشعبي فمررنا بإبراهيم فقام له إبراهيم عن مجلسه، فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حيًا، وأنت أفقه مني ميتًا، وذاك أن لك أصحابًا يلزمونك فيحيون علمك.

قال أبو حمزة الثمالي: كنت عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، إن الحسن البصري يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، فقال رجل: هذا من قاتل على الدنيا فأما قتال من بغى فلا بأس به، فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابنا عن ابن مسعود، فقالوا له: أين كنت يوم الزاوية؟ (وقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث)، قال: في بيتي، قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ (كانت بينهما أيضًا). قال: في بيتي، قالوا: فإن علقمة شهد صفين مع علي، فقال: بخ بخ من لنا مثل علي بن أبي طالب ورجاله؟.

قال إبراهيم: كانوا يرون أن كثيرًا من حديث أبي هريرة منسوخ.

قال الذهبي (معلقًا): وكان كثير من حديثه ناسخًا لأن إسلامه ليالي فتح والناسخ والمنسوخ في جنب ما حمل من العلم عن النبي ﷺ نزر... وكان من أئمة الاجتهاد ومن أهل الفتوى رضي الله عنه، فالسنة الثابتة لا ترد بالدعوى. اهـ. أي بدعوى النسخ لها.

قال مغيرة: كان إبراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب لقاءه خرجت الجارية فقالت: اطلبوه في المسجد.

وعن مغيرة عن إبراهيم قال: الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بدعة.

قلت: وقد أصاب في ذلك، فلم يثبت في حديث أن جهر النبي ﷺ، فقد روى أحمد والترمذي بسند حسن عن ابن عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقول: بسم الله الرحمن الرحيم فقال: أي بني إياك والحدث فقد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقولها فلا تقلها إذا صليت، فقل الحمد لله رب العالمين.

قيل: إن إبراهيم لما احتضر جزع جزعًا شديدًا فقيل له في ذلك، فقال: وأي خطر أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يردُ عليّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ست وتسعين وله تسع وأربعون، وقيل: ثمان وخمسون. والله أعلم.

المراجع:

-سير أعلام النبلاء.
-حلية الأولياء.
-تهذيب الكمال.
-تقريب التهذيب.

الإمام القدوة
مسروق بن الأجدع

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرة بن سلمان بن معمر ويقال: سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمر بن عامر الهمداني، يقال: إنه سُرِقَ وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقًا، وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ.

شيوخه: حدث عن أبي بن كعب وعمر، وروى عن أم رومان ومعاذ بن جبل، وخباب وعائشة وابن مسعود وعثمان وعلي وعبد الله بن عمرو وابن عمر ومعقل بن سنان والمغيرة بن شعبة وغيرهم.

الرواة عنه: روى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب، وعبد الله بن مرة، وأبو وائل، وأبو الضحى، وأبو إسحاق، وأبو الأحوص الجشمي، وأنس بن سيرين، وأبو الشعثاء المحاربي وآخرون.

ثناء العلماء عليه:

قال مرة الهمداني وأبو السفر: ما ولدت همدانية مثل مسروق.

وقال: كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح وكان شريح أعلم بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقًا، وكان مسروق لا يستشير شريحًا.

قال إبراهيم: كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة: علقمة والأسود وعبيدة ومسروقًا والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل.

قال ابن المديني: أنا ما أقدم على مسروق أحدًا.

قال ابن عيينة: بقي مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه أحد.

قال يحيى بن معين: مسروق ثقة لا يُسأل عن مثله.

قال العجلي: تابعي ثقة كان أحد أصحاب عبد الله الذين يُقرئون ويُفتون وكان يصلي حتى ترم قدماه.

قال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث صالحة.

قال أبو نعيم: ومنهم العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه، في العلم معروف، وبالضمان موثوق، ولعباد الله معشوق، أبو عائشة المسمى بمسروق.

قال ابن حجر: ثقة فقيه عابد

مخضرم.

من أحواله وأقواله:

قال الشعبي: خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية فلم يجد عنده فيها علمًا، فأخبر عن رجل من أهل الشام، فقدم علينا هاهنا ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها.

قال أبو الضحى: كان مسروق يقوم فيصلي كأنه راهب، وكان يقول لأهله: هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها لي قبل أن أقوم إلى الصلاة.

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله ويقبل على صلاته ويخليهم ودنياهم.

قال أبو إسحاق: حج مسروق فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع.

وعن امرأته قالت: كان مسروق يصلي حتى تورَّم قدماه، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه.

عن مسروق قالت عائشة: يا مسروق، إنك من ولدي وإنك لمن أحبهم إليَّ، فهل لك علم بالمُخْدَج(١).

قال إبراهيم بن المنتشر: أهدى خالد بن عبد الله بن أسيد عامل البصرة إلى عمي مسروق ثلاثين ألفًا وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها.

قال أبو إسحاق السبيعي: زوج مسروق بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه يجعلها في المجاهدين والمساكين.

قال أبو الضحى: غاب مسروق عاملاً على السلسلة سنتين ثم قدم فنظر أهله في خرجه فأصابوا فأسًا، فقالوا: غبت ثم جئتنا بفأس بلا عود، قال: إنا لله استعرناها نسينا نردها.

وقال الكلبي: شلت يد مسروق يوم القادسية وأصابته آمّة.

قال الشعبي: غشي على مسروق في يوم صائف وكانت عائشة قد تبنته فَسَمّى بنته عائشة، وكان لا يعصى ابنته شيئًا، قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب، قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية، إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

قال إبراهيم بن المنتشر: كان مسروق لا يأخذ على القضاء أجرًا، ويتأول هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

وقال أبو الضحى: سُئل مسروق عن بيت شعر، فقال: أكره أن أجد في صحيفتي شعرًا.

قال مسروق: لأن أفتي يومًا بعدل وحق، أحب إليَّ من أن أغزو سنة.

قال: ما بقي شيء يُرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب، وما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى.

قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

قال: من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة.

قال الذهبي: هذا قاله مسروق على المبالغة لعظم ما في السورة من جُمل أمور الدارين، ومعنى قوله: فليقرأ الواقعة أي يقرأها بتدبر وتفكر وحضور ولا يكن كمثل الحمار يحمل أسفارًا.

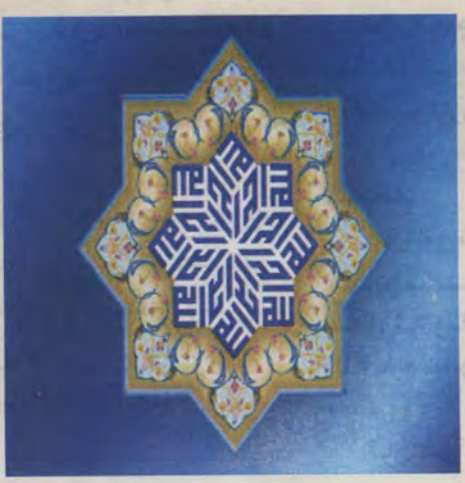

قيل له: أبطأت عن عليٍّ وعن مشاهده، قال: أرأيتم لو أنه حين صفّ بعضكم لبعض فنزل ملك فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أكان ذلك حاجزًا لكم؟ قالوا: نعم، قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم وإنها لمحكمة ما نسخها شيء.

أخذ بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة قال: ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأمضوها (أخلفوها وأبلوها) واستحلوا فيها محارم وقطعوا فيها أرحامهم.

قال رحمه الله: ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا.

كان يتمثل:

ويكفيك مما أغلق الباب دونه
وأرخي عليه الستر ملح وجردق
ماء فرات بارد ثم تغتدي
تعارض أصحاب الثريد الملبق
تجشأ إذا ما تجشوا كأنما
غذيت بألوان الطعام المفتق

قال: إني أحسن ما أكون ظنًا حين يقول لي الخادم: ليس في البيت قفيز ولا درهم.

قال: إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها يتذكر ذنونه ويستغفر منها.

قال: لقد اختلفت إلى عبد الله بن مسعود من رمضان إلى رمضان ما أغبه يومًا.

قال أبو الأحوص: سمعت ابن مسعود يقول لمسروق: يا مسروق، أصبح يوم صومك دهينًا كحيلاً وإياك وعبوس الصائمين، وأجب دعوة من دعاك من أهل ملتك ما لم يظهر لك منه معزاف أو مزمار، وصَلّ على من مات منهم، ولا تقطع عليه الشهادة، واعلم أنك لو تلقى الله بأمثال الجبال ذنوبًا خير لك من أن تلقاه- كلمة ذكرها- وأن تقطع عليه الشهادة، يا مسروق وصلّ عليه وإن رأيته مصلوبًا أو مرجومًا فإن سئلتَ فأحل عليٍّ وإن سئلتُ أحلتُ على النبي ﷺ.

قال الشعبي: ما كان مسروق يشير على شريح بشيء إلا أطاعه.

قال مسروق: لا تنشر برّك إلا عند من يبغيه، أي لا تنشر علمك إلا عند من ينتفع به.

قال أبو وائل: لما احتضر مسروق قال: أموت على أمر لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، أما إني لست أدع صفراء ولا بيضاء إلا ما في سيفي هذا فبيعوه وكفنوني به.

قال مسروق: ما عملت عملاً أخوف عندي أن يدخلني النار من عملكم هذا، وما بي أن أكون ظلمت مسلمًا ومعاهدًا دينارًا ولا درهمًا ولكن بي هذا الحبل الذي لم يسنه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، فقيل له: ما حملك على الدخول فيه؟ قال: لم يدعني شريح وزياد والشيطان حتى أدخلوني فيه.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وستين، وقيل ثلاث وستين.

المراجع:

-تاريخ دمشق لابن عساكر.
حلية الأولياء. -
سير أعلام النبلاء.
تقريب التهذيب.

هامش:

(١) المخدج اليد: أي يده ناقصة الخلق قصيرة.

بسير الأعلام

سيد التابعين وزاهد العصر
أبو مسلم الخولاني

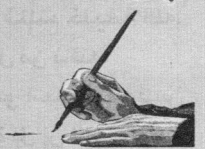

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: اسمه ونسبه: عبد الله بن ثُوَب، ويقال: ابن ثواب، ويقال: ابن عبد الله، ويقال: ابن عبيد، ويقال: ابن عوف، ويقال: ابن مسلم، ويقال: اسمه يعقوب بن عوف أبو مسلم الخولاني الداراني الزاهد، أدرك الجاهلية وسكن الشام، فنزل بداريّ أصله من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق.

شيوخه: روى عن عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وابي ذر وعبادة بن الصامت وعوف بن مالك.

الرواة عنه: روى عنه: أبو إدريس الخولاني، وعمير بن هانئ العنبسي، ومكحول، وعطية بن قيس، وعطاء الخراساني، وعطاء بن أبي رباح المكي، وجبير بن نفير، وشرحبيل بن مسلم، وأبو قلابة الجرمي، وأبو العالية الرياحي، وغيرهم.

ثناء العلماء عليه:

قال يحيى بن معين: أبو مسلم الخولاني شامي ثقة.

قال ابن سعد: كان ثقة.

قال البخاري: قارئ أهل الشام. وكذلك قال ابن أبي حاتم.

قال عبد الجبار بن محمد الخولاني: أدرك الجاهلية وكان من الأفاضل الأخيار، روى عنه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان فاضلاً دينًا ورعًا.

قال العجلي: شامي تابعي ثقة من كبار التابعين وعُبَّادهم.

قال مالك بن دينار: هذا حكيم هذه الأمة.

قال أبو نعيم: ومنهم المتخلى عن الهموم والكُرَب، المتسلي بالأوراد والنُوب، الخولاني أبو مسلم عبد الله بن ثُوَب، حكيم الأمة وممثلها، وقديم الخدمة ومحررها.

قال ابن حجر: أبو مسلم الخولاني الزاهد ثقة عابد.

من أحواله وأقواله:

قال الزهري: سمع أبو مسلم أهل الشام ينالون من عائشة، فقال: ألا أخبركم بمثلي ومثل أمكم هذه؟ كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما.

قال عثمان بن أبي العاتكة: علق أبو مسلم سوطًا في المسجد، فكان يقول: أنا أولى بالسوط من البهائم، فإذا فتر مشق (ضرب) ساقية سوطًا أو سوطين، قال: وكان يقول: لو رأيت الجنة عيانًا أو النار عيانًا ما كان عندي مستزاد.

قال عطية بن قيس: دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غازٍ في أرض الروم وقد احتفر جُوزةً في فسطاطه وجعل فيها نِطْعًا وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق (يتقلب) فيه، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات وهن بُدَّنٌ، إنما تجري وهن ضُمَّر، ألا وإن أيامنا باقية جائية لها نعمل.

قال عبد الملك بن عمير: كان أبو مسلم إذا استسقى سُقي (أي مجاب الدعاء).

عن محمد بن زياد أن امرأة خببت (أفسدت) على أبي مسلم امرأته، فدعا عليها فعميت، فأتته فاعترفت وتابت، فقال: اللهم إن كانت صادقة فأردد بصرها فأبصرت.

عن بلال بن كعب أن الصبيان قالوا لأبي مسلم: ادع الله أن يحبس علينا هذا الظبي فنأخذه فدعا الله فحبسه فأخذوه.

وعن عطاء الخراساني أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق، فقال: هل عندك شيء؟ قالت: درهم بعنابه غزلاً، قال: ابغينيه وهاتي الجراب، فدخل السوق فأتاه سائل وألح عليه فأعطاه الدرهم وملأ الجراب نشارة مع تراب، وأتى وقَلْبُه مرعوبٌ منها وذهب ففتحته فإذا به دقيق حُوّاري (أبيض) فعجنت وخبزت، فلما جاء ليلاً وضعته، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق فأكل وبكى.

قال سعيد بن عبد العزيز: كان أبو مسلم يرتجز يوم صفين ويقول:

ما علتي ما علتي وقد لبست درعتي
أموت عند طاعتي

قال سعيد بن عبد العزيز: قال أبو مسلم: لو قيل لي: إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي.

قال أبو مسلم: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فإنهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن سابيتهم سابوك وإن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن نفرت منهم يدركوك، قال: فما أصنع؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك.

قال أبو مسلم: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتها ونعمتها وودعتها ذمتني غدًا عند الله وإن أنا سخطتها وأنصبتها وأعلمتها رضيت عني غدًا؟ قالوا: ومن يا أبا مسلم؟ قال: والله نفسي.

قال أبو مسلم: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء يجري منها إلى نهر عظيم فيخوض الناس النهر فيكدرونه ويعود عليهم صفو العين، فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر، قال: ومثل الإمام ومثل الناس كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود لا يقوم العمود إلا بالأطناب، أو قال بالأوتاد فكلما نزعت وتدًا زاد العمود وهنا، لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

قال أبو مسلم: أربع لا يتقبلن في أربع في جهاد، ولا حج، ولا عمرة ولا صدقة، الغلول ومال اليتيم، والخيانة والسرقة.

قال حميد: قيل لأبي مسلم الخولاني حين كبر: إنك قد كبرت فلو رفقت بنفسك، قال: أليس إذا أرسلت الحلبة، فقلت لفرسانها: ارفقوا بها وسددوا بها فإذا دنوتم من الغاية فلا تستبقوا منها شيئًا؟ فقد رأيت الغاية فدعوني.

قال أبو مسلم: ما عملت عملاً أبالي من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يقضي حاجة غائط، قلت: ليس رياء بل دعوة للناس بالعمل.

عن محمد بن زياد عن أبي مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجيزوا بسم الله، ويمر بين أيديهم فيمرون بالنهر الغمر وربما لم يبلغ من الدواب إلا في الركب أو بعض ذلك أو قريبًا، فإذا جاوز ذلك قال للناس: هل ذهب لكم من شيء؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامن له، فألقى بعضهم مخلاته عمدًا، فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر، فقال: اتبعني فاتبعه، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعواد النهر، فقال: خذها.

قال عثمان بن أبي العاتكة: اشترى أبو مسلم بغلة، فقالت أم مسلم: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: اللهم بارك لنا فيها، فماتت، قال: فاشترى أخرى فقالت: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: اللهم بارك لنا فيها، فماتت، فاشترى أخرى فقالت: ادع الله أن يبارك لنا فيها، فقال: يقول: اللهم متعنا بهم، فبقيت لهم.

قال أبو مسلم- بعد مقتل عثمان-: يا أهل المدينة، والله لأنتم أعظم جرمًا عند الله من ثمود، فإن ثمود قتلوا ناقة الله وأنتم قتلتم خليفة الله، وخليفة الله أكرم على الله عز وجل من ناقته.

قلت: خليفة الله أي أن الله هو استخلفه وليس بمعنى أنه يخلف الله في الإمارة بل إن الله خليفة كل مسلم.

دخل أبو مسلم على معاوية فقال له: ما اسمك؟ قال: اسمعي معاوية، قال: بل اسمك أحدوثة، فإن جئت بشيء فلك شيء وإن لم تأت بشيء فلا شيء لك يا معاوية إنك لو عدلت بين جميع قبائل العرب ثم ملْت على أقلها قبيلة مَالَ جورك بعدلك، يا معاوية إنا لا نبالي بكدر، الأنهار إذا صفا لنا رأس العين.

قال أبو مسلم: أظهر اليأس مما في أيدي الناس فإن فيه الغنى، وأقل طلب الحاجات إلى الناس فإن فيه الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه من الكلام، وصلّ صلاة مودع يظن أن لن يعود، وإن استطعت أن يكون اليوم خيرًا منك أمس ويكون غدًا خيرًا منك اليوم فافعل.

قال معاوية: إنما المصيبة كل المصيبة بموت أبي مسلم الخولاني وكريب بن سيف الأنصاري.

وله أخبار وأحوال وأقوال عجيبة اقتصرت على ما قدمت.

وكانت وفاته سنة اثنتين وستين، وقيل قبل ذلك. والله أعلم.

المراجع: حلية الأولياء- تاريخ دمشق- سير أعلام النبلاء- تهذيب الكمال- تقريب التهذيب.

أبو الزناد

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ولقبه: هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن ذكوان القرشي المدني، ويلقب بأبي الزناد وأبوه مولى رملة بنت شيبة زوجة الخليفة عثمان بن عفان، وقيل: مولى آل عثمان.

مولده: ولد في نحو سنة خمس وستين.

شيوخه: روى عن أنس بن مالك وأبي أمامة بن سهل وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير وابن المسيب وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والقاسم بن محمد بن أبي بكر والأعرج عبد الرحمن بن هرمز وهو مكثر عنه ثبت فيه والشعبي وغيرهم كثير.

الرواة عنه:

روى عنه ابنه عبد الرحمن وموسى بن عقبة وابن أبي مليكة وصالح بن كيسان وهشام بن عروة وابن عجلان وابن إسحاق ومالك والليث بن سعد وسفيان الثوري وابن عيينة وسعيد بن أبي هلال وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: كان سفيان يسمي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث.

قال أحمد: وهو فوق العلاء بن عبدالرحمن وفوق سهيل ومحمد بن عمرو، أبو الزناد أعلم من ربيعة.

قال ابن معين: ثقة حجة.

قال ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى بن سعيد وأبي الزناد وبكير الأشج.

قال ابن سعد: كان أبو الزناد ثقة كثير الحديث فصيحًا بصيرًا بالعربية عالمًا عاملاً.

قال العجلي: تابعي ثقة.

قال أبو حاتم الرازي: ثقة فقيه صالح الحديث صاحب سنة وهو مما تقوم به الحجة إذا روى عنه الثقات.

قال البخاري: أصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

قال ابن عيينة: قلت للثوري: جالست أبا الزناد؟ قال: ما رأيت بالمدينة أميرًا غيره.

قال مصعب بن عبد الله: كان أبو الزناد فقيه أهل المدينة وكان صاحب كتاب وحفظ.

قال ابن عدي: أبو الزناد كما قال يحيى بن معين ثقة حجة ولم أرد له حديثًا لأن كلها مستقيمة.

قال ابن حجر: ثقة فقيه.

قال الذهبي: الإمام الفقيه المفتي، وقال أيضًا: كان من علماء الإسلام ومن أئمة الاجتهاد.

من أحواله وأقواله:

قال عبد ربه بن سعيد: دخل أبو الزناد مسجد النبي ﷺ ومعه من الأتباع - يعني طلبة العلم - مثل ما مع السلطان فمن سائل عن فريضة ومن سائل عن الحساب ومن سائل عن الشعر ومن سائل عن الحديث ومن سائل عن معضلة.

قال الليث بن سعد: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مائة تابع من طالب فقه وشعر وصنوف ثم لم يلبث أن بقي وحده وأقبلوا على ربيعة وكان ربيعة يقول: «شبر من حظوة خير من باع من علم».

قال الذهبي: غفر الله لربيعة، بل «شبرٌ من جهل خيرٌ من باع من حظوة». والسلامة في الخمول، نسأل الله المسامحة.

ذكر أبو يوسف عن أبي حنيفة قال: قدمت المدينة فأتيت أبا الزناد ورأيت ربيعة فإذا الناس على ربيعة وأبو الزناد أفقه الرجلين، فقلت له: أنت أفقه أهل بلدك والعمل على ربيعة؟ فقال: ويحك «كف من حظ خيرٌ من جراب من علم».

قال مصعب بن عبد الله: وكان أبو الزناد معاديًا لربيعة الرأي وكانا فقيهي البلد في زمانهما وكان الماجشون يعقوب بن أبي سلمة يعين ربيعة على أبي الزناد، وكان الماجشون أول من علّم الغناء من أهل المروءة بالمدينة.

قال أبو الزناد: مثلي ومثل الماجشون كمثل ذئب كان يلح على أهل قرية فيأكل صبيانهم ودواجنهم فاجتمعوا له فخرجوا في طلبه فهرب منهم فتقطعوا عنه إلا صاحب فخّار ..... فألح عليه، فوقف له الذئب وقال: هؤلاء عذرتهم أرأيتك أنت مالي ولك، والله ما كسرت لك فخارة قط، ثم قال: ما لي وللماجشون والله ما كسرت له كَبَرًا ولا بَرْبَطًا.

[الكبر: طبل له وجه واحد، والبربط: من ملاهي العجم]

قال محمد بن سلام الجمحي:

قيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها إن أدنتني منها فقد صانتني عنها.

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: هو كان سبب جلد ربيعة الرأي ثم ولي بعد ذلك المدينة التيمي، فأرسل إلى أبي الزناد فطين عليه بيتًا فشفع فيه ربيعة.

قال الذهبي: تؤول الشحناء بين القرناء إلى أعظم من هذا.

ولما رأى ربيعة أن أبا الزناد يهلك بسببه ما وسعه السكوت فأخرجوا أبا الزناد وقد عاين الموت وذبل ومال عنقه. نسأل الله السلامة.

وروى الليث بن سعد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: أما أبو الزناد فليس بثقة ولا رضي.

قال الذهبي: انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة رضي.

وقيل: كان مالك لا يرضى أبا الزناد وهذا لم يصح وقد أكثر مالك عنه في «موطئه».

روى العقيلي بسنده عن ابن القاسم قال: سألت مالكًا عمن يحدث بالحديث الذي قالوا: «إن الله خلق آدم على صورته»، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا ونهى أن يتحدث به أحد، فقيل: إن ناسًا من أهل العلم يتحدثون به، قال: مَن هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء ولم يكن عالمًا ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات.

قال الذهبي: الخبر لم ينفرد به ابن عجلان، بل ولا أبو الزناد، فقد رواه شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد ورواه قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة، ورواه ابن لهيعة عن الأعرج وأبي يونس عن أبي هريرة، ورواه معمر عن همام عن أبي هريرة، وصح أيضًا من حديث ابن عمر، وقد قال إسحاق بن راهويه عالم خراسان: صح هذا عن رسول الله ﷺ، فهذا الصحيح، مخرّج في كتابي البخاري ومسلم فنؤمن به ونفوض، ونسلّم ولا نخوض فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. انتهى.

قلت: حديث ابن عمر رواه الآجري في الشريعة واليبهقي في الأسماء والصفات وابن خزيمة في التوحيد وغيرهم بلفظ: «لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل».

قال الآجري بعد روايته الحديث:

هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها كيف ؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. اهـ.

قال عبد الوهاب الوراق: من لم يقل إن الله خلق آدم على صورة الرحمن فهو جهمي.

وقد ذكر أبو يعلى في طبقات الحنابلة قال أحمد: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي.

وقد قال شيخ الإسلام ابن يتيمة: لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير (يعني في قوله على صورته) عائدٌ إلى الله فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة وسياق الأحاديث تدل على ذلك. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجه ابن أبي عاصم أيضًا عن طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يردُّ التأويل، قال: «من قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن». فتعين إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، ونقل عن حرب الكرماني في كتاب السنة قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن. اهـ.

وفاته: توفي أبو الزناد رحمه الله في رمضان سنة ثلاثين ومائة وقيل إحدى وثلاثين. والله أعلم.

المراجع:

سير أعلام النبلاء - التهذيب - تقريب التهذيب - فتح الباري.

الإعلام بسير الأعلام

قدوة المفسرين والمحدثين

قتادة

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عُكابة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه.

مولده: ولد سنة ستين.

شيوخه: روى عن عبد الله بن سرجس وأنس بن مالك وسعيد بن المسيب وأبي العالية الرياحي وأبي عثمان النهدي وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصري، وبكر بن عبد الله المزني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي الشعثاء وجابر بن زيد، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شقيق، ومحمد بن سيرين، وأبي مجلز، وخلق كثير.

الرواة عنه: روى عنه أئمة الإسلام أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، ومِسْعر بن كِدَام، وعمرو بن الحارث المصري وشعبة بن الحجاج، وجرير بن حازم، وشيبان النحوي، وهمام بن يحيى، وحماد بن سلمة، وأبان العطار وسعيد بن بشير، وشهاب بن خراش، وأبو عوانة الوضاح اليشكري، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه: قيل للزهري: أقتادة أعلم عندكم أو مكحول؟ قال: بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير.

قال محمد بن سيرين: قتادة من أحفظ الناس.

قال بكر المزني: من سره أن ينظر إلى أحفظ من أدركنا فلينظر إلى قتادة.

قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. وقال له: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

قال معمر: لم أر في هؤلاء أفقه من الزهري وقتادة وحماد.

قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالمًا بالتفسير وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وقال: قلما تجد من يتقدمه، وقال: كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئًا إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها.

قال الثوري: وهل كان في الدنيا مثل قتادة؟

قال مطر الوراق: كان قتادة إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل حتى يحفظه.

قال ابن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد الطويل.

قال أبو حاتم: صدق ابن مهدي.

قال يحيى بن معين: ثقة.

وقال أبو زرعة: قتادة من أعلم أصحاب الحسن.

قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري، ثم قتادة وهو أحب إليَّ من أيوب ويزيد الرشك إذا ذكر الخير يعني إذا صرح بالسماع.

قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا حجة في الحديث.

قال ابن حبان: كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه.

قال ابن حجر: ثقة ثبت يقال وُلد أكمه.

قال الذهبي: حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، وكان من أوعية العلم وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع فإنه مدلس معروف بذلك. (والمدلس أن يروي الراوي ما لم يسمعه من شيخه بصيغة تحتمله كعن ونحوه).

وقال: ولا يشك أحدٌ في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه وبذل وسعه والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل ثم إن الكثير من أئمة

العلم إذا كثر صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له ذلك ولا نضلله ونفارقه وننسى محاسنه. نعم لا تقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك.

قلت: لعل القدر الذي رُمي به قتادة ونفيه خلق الله الشر أو قدرة العباد على فعل الشر وهذا خطأ فإن مذهب أهل السنة أن الله عز وجل خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وكما قال رسول الله ﷺ في بيانه للإيمان: «... وتؤمن بالقدر خيره وشره». ومع ذلك لا نضيف الشر وحده إلى الله عز وجل كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك» أي لا يضاف إليه الشر محضًا أو أن الشر هو شرٌ من جهة المتعلق به وهو العبد، أما الله عز وجل فكل أفعاله خير وهو كما يقول الإمام الذهبي حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل.

من أحواله وأقواله:

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني (أي أخذت مني علمي كله).

قال معمر: وسمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئًا. وعنه قال: ما سمعت شيئًا إلا حفظته.

قال مطر: كان قتادة إذا سمع الحديث يختطفه اختطافًا، يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه (أي القلق والانزعاج).

قال معمر: قال قتادة لسعيد بن المسيب: يا أبا النضر، خذ المصحف، قال: فعرض عليه سورة البقرة فلم يُخْطِ فيها حرفًا، قال: فقال: يا أبا النضر، أحكمت؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة، قال: وكانت قرئت عليه الصحيفة التي يرويها سليمان اليشكري عن جابر.

قال أبو هلال: سألت قتادة عن مسألة فقال: لا أدري، فقلت: قل فيها برأيك، قال: ما قلت برأي منذ أربعين سنة وكان يومئذ له نحو من خمسين سنة، قلت: فدل على أنه ما قال في العلم شيئًا برأيه.

قال عبد الرزاق: عن قتادة قال: تكرير الحديث في المجلس يذهب نوره وما قلت لأحد قط: أعد عليّ.

قال أبو هلال: سمعت قتادة يقول: إذا سرك أن يكذب صاحبك فلقنه.

قال شعبة: كنا نعرف الذي لم يسمع قتادة مما سمع إذا قال: قال فلان وقال فلان عرفنا أنه لم يسمع.

قال ابن مهدي: سمعت شعبة يقول كنت أنظر إلى فم قتادة كيف يقول فإذا قال حدثنا يعني كتبت.

قال مطر الوراق: ما زال قتادة متعلمًا حتى مات.

قال أبو هلال: قالوا لقتادة نكتب ما نسمع منك؟ قال: وما يمنعك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب فقال: «علمها عند ربي في كتاب» وسمعته يقول: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر.

قال قتادة: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول.

قلت: فالعبادة من غير علم قد تكون على بدعة والعلم هو الذي ينير للمرء طريقه.

قال أبان العطار: ذكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة فقال: متى كان العلم في السماكين؟ فذكر قتادة عن يحيى فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة، قال الذهبي كلام الأقران يطوى ولا يروى فإن ذُكر تأمله المحدث فإن وجد له متابعًا وإلا أعرض عنه.

قال قتادة: ما سمعت أذناي شيئًا قط إلا وعاه قلبي.

قال له سعيد بن المسيب: لم أر أحدًا أسأل عما يختلف فيه منك، قال قتادة إنما يسأل عن ذلك من يعقل.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .قال: كفى بالرهبة علمًا اجتنبوا نقض الميثاق فإن الله قدم فيه وأوعد، ذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجة، وإياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس تواضعوا لله لعل الله يرفعكم.

قال ابن شوذب: كان قتادة رأسًا في العربية والغريب وأيام الناس وأنسابها حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء كان قتادة من أنسب الناس.

قال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن يقول: اترك من كان رأسًا في بدعة يدعو إليها، قال: فكيف يصنع بقتادة وابن أبي رَوّاد عمر بن ذر وذكر قومًا ثم قال يحيى: إن ترك هذا الضرب ترك ناسًا كثيرًا.

وفاته:

توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين سنة وذلك سنة مائة وسبع عشرة أو ثماني عشرة، رحمه الله.

المراجع:

سير أعلام النبلاء- تهذيب التهذيب- تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

عالم المدينة في زمانه وتلميذ الفقهاء السبعة

يحيى بن سعيد الأنصاري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه :

هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو، وقيل: ابن قيس بن قهد الأنصاري الخزرجي النجاري العلامة المجود المدني القاضي وهو صاحب حديث: «الأعمال بالنيات». وعنه اشتهر.

مولده :

ولد قبل السبعين زمن ابن الزبير.

شيوخه:

سمع من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وأبي أمامة بن سهل وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد وأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعلي بن الحسين وعمرة بنت عبد الرحمن والأعرج وأبي صالح السمان، وخلق سواهم.

تلامذته:

روى عنه الزهري مع أنه من شيوخه وابن أبي ذئب وشعبة ومالك والسفيانان والحمادان والأوزاعي والليث بن سعد وأبو إسحاق الفزاري وابن المبارك وابن عُلية الثقفي ويحيى بن سعيد الأموي ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون والقاضي أبو يوسف وإبراهيم بن سعد الزهري وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: يحيى بن سعيد الأنصاري أثبت الناس.

قال حماد بن زيد: قدم أيوب من المدينة فقيل له من أفقه من خلفت بها؟ قال: يحيى بن سعيد الأنصاري.

قال سفيان: أدركت من الحفاظ ثلاثة : إسماعيل بن أبي خالد وعبد الملك بن أبي سليمان ويحيى ابن سعيد الأنصاري.

قال الثوري: كان يحيى بن سعيد الأنصاري أجل عند أهل المدينة من

الزهري.

قال وهيب: قدمت المدينة فلم ألق بها أحدًا إلا وأنت تعرف وتنكر غير يحيى بن سعيد ومالك.

قال جرير: سألت يحيى بن سعيد وما رأيت شيخًا أنبل منه.

قال العجلي: كان يحيى بن سعيد رجلاً صالحًا فقيهًا.

قال يحيى القطان: هو مقدم على الزهري لأن الزهري اختلف عليه ويحيى لم يختلف عليه.

قال النسائي: يحيى بن سعيد ثقة ثبت.

قال الحاكم: هو قاضي حرم رسول الله ﷺ ومفتيها في عصره.

قال الذهبي: الإمام العلامة المجود عالم المدينة في زمانه وشيخ عالم المدينة وتلميذ الفقهاء السبعة.

قال يعقوب بن كاسب: حدثني بعض أهل العلم قال: سمعت صائحًا يصيح في المسجد الحرام أيام مروان: لا يفتي الحاج في المسجد إلا يحيى بن سعيد، وعبيد الله بن عمر ومالك بن أنس.

قال ابن حجر: ثقة ثبت.

من أحواله وأقواله:

قال حماد: كان يحيى بن سعيد يقول في مجلسه: اللهم سلم سلم. وقال: كان عبيد الله بن عدي بن الخيار يقول في مجلسه: اللهم سلمنا وسلم المؤمنين منا.

قال الليث: عن يحيى بن سعيد قال: أهل العلم أهل سعة وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا وإن المسألة لترد على أحدهم كالجبل فإذا فتح لها بابًا قال: ما أهون هذه.

قال يحيى: لأن أكون كتبت كل ما أسمع أحب إليّ من أن يكون لي مثل مالي. قلت: لأن الكتابة أضبط وأثبت، وقد قال الله تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قيدوا العلم بالكتاب». [صحيح. رواه الحاكم والطبراني وغيرهما]. قال الضحاك: إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط، وقال معاوية بن قرة: من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالمًا، وقال الخليل بن أحمد: اجعل ما تكتبه بيت مال وما في صدرك للنفقة، وقال إسحاق بن منصور لأحمد بن حنبل: لو لم يكتب العلم لذهب. قال أحمد: نعم، ولولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن. اهـ.

قال محمد بن سلام الجمحي: كان يحيى بن سعيد خفيف الحال، فاستقضاه المنصور فلم يتغير حاله، فقيل له في ذلك، فقال: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال.

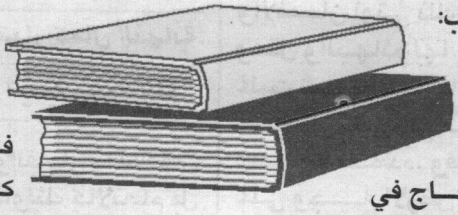

قال يزيد بن هارون: قلت ليحيى بن سعيد: كم تحفظ؟ قال: ستمائة، سبعمائة.

قال الذهبي: هو صاحب حديث: «الأعمال بالنيات»، وعنه اشتهر، حتى يقال: رواه عنه نحو المائتين.

وفاته:

مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقيل: سنة أربع وأربعين. رحمه الله.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام العالم
أبو شهاب الزهري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام.

صفته: قال يعقوب بن عبد الرحمن: رأيته رجلاً قصيرًا قليل اللحية له شعيرات طوال خفيف العارضين.

قال ابن عيينة: رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية في حمرتها انكفاء كأنه يجعل فيها كتمًا وكان أعيمش وله جمة.

مولده: ولد سنة ست وخمسين، وقيل: سنة خمسين أو إحدى وخمسين.

شيوخه: سمع من ابن عمر حديثين، وقيل ثلاثة أحاديث. وروى عن أنس بن مالك ولقيه بدمشق، وروى عن سهل بن سعد والسائب بن يزيد ومحمود بن الربيع وأبي الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب وجالسه ثماني سنوات وتفقه به، وعلقمة بن وقاص وعروة بن الزبير وأبي إدريس الخولاني وسالم بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، والقاسم بن محمد، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وخارجة بن زيد بن ثابت، وغيرهم كثير.

الرواة عنه: روى عنه عطاء بن أبي رباح وهو أكبر منه، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، وقتادة بن دعامة، وزيد بن أسلم، وأيوب السختياني، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو الزناد، وابن جريج، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وابن أبي ذئب، وابن إسحاق، وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه: قال الليث بن سعد: ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الترغيب فنقول لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثًا.

قال سفيان بن عيينة: كان الزهري أعلم أهل المدينة.

قال عمر بن عبد العزيز: ما ساق الحديث أحدٌ مثل الزهري.

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا أنص للحديث من الزهري- يعني يرويه بنصه- وما رأيت أحدًا أهون عن الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر.

قال أحمد بن حنبل: الزهري أحسن الناس حديثًا وأجود الناس إسنادًا.

قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري.

قال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب. قال مكحول: ما بقي أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب.

قال أيوب: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري، فقال له صخر بن جويرية ولا الحسن البصري؟ فقال: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري.

قال سعيد بن عبد العزيز: ما كان إلا بحرًا.

قال شعيب بن أبي حمزة: قيل لمكحول: من أعلم من لقيت؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب.

قال مالك: بقي ابن شهاب وما له في الناس نظير.

قال ابن المديني: أفتى أربعة: الحكم وحماد وقتادة والزهري، والزهري عندهم أفقههم.

قيل لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهًا وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثًا فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحرًا إلا فجرته وأعلمهم عندي جميعًا ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعًا إلى علمه.

قال مالك: إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول قال فلان، قال رسول الله ﷺ وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أمينًا فما أخذت منهم شيئًا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ويقدم علينا الزهري فنزدحم على بابه.

قال ابن سعد: كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهًا جامعًا.

قال قائد بن أكرم يمدح الزهري:

ذَرْ ذَا وأثن على الكريم محمدٍ
واذكر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بماله
قيل الجواد محمد بن شهاب
أهل المدائن يعرفون مكانه
ولربيع ناديه على الأعراب

من أحواله وأقواله:

قال ابن أخي الزهري: جمع عمي القرآن في ثمانين ليلة.

قال ابن شهاب: كنت أخدم عبد الله بن عبد الله حتى إن كنت أستقي له الماء المالح، وكان يقول لجاريته: من بالباب فتقول: غلامك الأعمش.

قال سعد بن إبراهيم: ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشيء إلا أن كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد وكنا تمنعنا الحداثة.

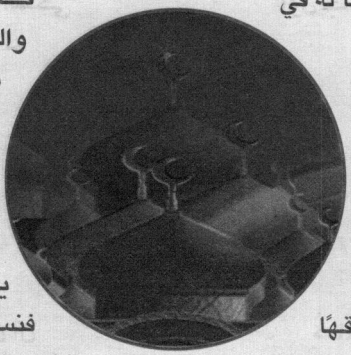

قال أبو الزناد: كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس وبصر عيني به ومعه ألواح أو صحف يكتب فيها الحديث وهو يتعلم يومئذ.

قال الليث: كان ابن شهاب يقول: ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر وكان يشرب العسل ويقول: إنه يذكر،

قال صالح بن كيسان: كنت أطلب العلم أنا والزهري فقال: تعال نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت.

قال الزهري: ما قلت لأحد قط أعد عليَّ.

قال الليث: تذكر ابن شهاب ليلة بعد العشاء حديثًا وهو جالس يتوضأ فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح.

قال يعقوب بن عبد الرحمن: إن الزهري كان يبتغي العلم من عروة وغيره. فيأتي جارية له وهي نائمة فيوقظها يقول لها: حدثني فلان بكذا وحدثني فلان بكذا، فتقول: ما لي ولهذا، فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعي به ولكن سمعت الآن فأردت أن أستذكره.

قال الوليد بن مسلم: خرج الزهري من عند عبد

الملك فجلس عند ذلك العمود، فقال: يا أيها الناس، إنا كنا قد منعناكم شيئًا قد بذلناه لهؤلاء فتعالوا حتى أحدثكم فسمعهم يقولون: قال رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا أهل الشام ما لي أرى أحاديثكم ليست لها أَزِمَّة ولا خُطُم؟ (أزمة جمع زمام وخُطُم جمع خطام وهو ما يجعل في رأس الدابة لتقاد به) قال الوليد: فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ.

قال الزهري: الاعتصام بالسنة نجاة. وقال: أمروا أحاديث رسول اللَّه ﷺ كما جاءت.

قلت: يعني أحاديث الصفات من غير تأويل ولا تعطيل، وقال: إنما يُذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.

قال مالك: كان ابن شهاب من أسخى الناس فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه: قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر ماذا تكون، قال: إن الكريم لا تحنكه التجارب.

قال الزهري: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر.

قلت: على سبيل الترويح من أن تحل النفس والأذن من سماع الحديث.

قال الزهري: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب.

وقال: لا يُرضِي الناس قول عالم لا يعمل ولا عمل عامل لا يعلم.

عن معاوية بن صالح أن أبا جبلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر فصام يوم عاشوراء فقيل له: لم تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر وإن عاشوراء يفوت.

وقال أيضًا: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد ولم يؤمن بالقدر كان ذلك ناقضًا توحيده.

قلت: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان وهو أن الله عز وجل علم فكتب فشاء فخلق ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

قال الزهري: ما استعدت حديثًا قط وما شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت.

قال معمر: سمعت الزهري يقول: يا أهل العراق يخرج الحديث من عندنا شبرًا ويصير عندكم ذراعًا. قلت: يعني ينكر عليهم الزيادة في الحديث وهو اتهام لهم.

قال ابن عيينة: حدث الزهري يومًا بحديث، فقلت له: هات بلا إسناد، قال: أترقي السطح بلا سلم، قلت: يعني بالإسناد يرتقي الإنسان إلى المتن ولولاه لما صعد الإنسان ووصل إلى الحديث، والإسناد من خصائص أمة الإسلام.

قال السيوطي في ألفيته:

أول جامع الحديث والأثر
ابن شهاب آمرًا له عمر

فائدة: قال يحيى بن سعيد القطان مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ وكل ما قدر أن يُسمِّي سمَّى وإنما يترك من لا يحب.

قال الذهبي: مراسيل الزهري كالمعضل لأنه يكون قد سقط منه اثنان ولا يسوغ أن تظن أنه أسقط الصحابي فقط ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله ولو أنه يقول: عن بعض أصحاب النبي ﷺ ومن ظن مرسل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما فإنه لم يدر ما يقول، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه.

قال أبو حاتم: حدثنا أحمد بن أبي شريح سمعت الشافعي يقول: إرسال الزهري ليس بشيء لأنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم.

وفاته: مات سنة ثلاث أو أربع أو خمس وعشرين ومائة.

المراجع:

- سير أعلام النبلاء. - تهذيب التهذيب.
- تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام القدوة

محمد بن المنكدر

إعداد
مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى، ينتهي نسبه إلى تيم بن مرة بن كعب بن لؤي أبو عبد الله القرشي التيمي المدني.

مولده: ولد سنة بضع وثلاثين.

شيوخه: روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عمر وجابر وابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبي صالح ذكوان السمان.

تلامذته والرواة عنه: عمرو بن دينار والزهري وهشام بن عروة وأبو حازم الأعرج وموسى بن عقبة ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج ومعمر ومالك وشعبة والسفيانان والأوزاعي وابن أبي ذئب وأبو حنيفة وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال سفيان: كان من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون ولم يُدْرَكْ أحدٌ أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال قال رسول الله ﷺ منه.

قال الحميدي: هو حافظ، وقال ابن معين وأبو حاتم: ثقة.

قال أبو حاتم البستي: كان من سادات القراء لا يتملك البكاء إذا قرأت حديث رسول الله ﷺ، وكان يصفر لحيته ورأسه بالحناء، قال مالك: كان ابن المنكدر سيد القراء. وقال أبو معشر: كان سيدًا يطعم الطعام ويجتمع عنده القراء. قال يعقوب الفسوي: هو غاية في الإتقان والحفظ والزهد حجة.

قال ابن الماجشون: إن رؤية محمد بن المنكدر لتنفعني في ديني.

قال الذهبي: الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام.

قال ابن حجر: ثقة فاضل.

من أحواله وأقواله: قال أبو القاسم اللالكائي: كان المنكدر خال عائشة فشكا إليها الحاجة، فقالت: إن لي شيئًا يأتيني أبعث به إليك، فجاءتها عشرة آلاف، فبعثت بها إليه، فاشترى جارية فولدت له محمدًا وأبا بكر وعمر.

قلت: فهو ابن خال عائشة، ولذلك سأل الترمذي البخاري عن سماعه من عائشة، فقال: نعم يقول في حديثه: سمعت عائشة.

قال الذهبي: إن ثبت الإسناد إلى ابن المنكدر بهذا فجيد. وذلك ممكن لأنه قرابتها وخصيص بها ولحقها وهو ابن نيف وعشرين سنة.

قال عكرمة بن إبراهيم عن ابن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل له: لم تجزع؟ قال: أخشى آية من كتاب الله: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾، فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

قال ابن عيينة: كان لمحمد بن المنكدر جار مبتلى فكان يرفع صوته بالبلاء،

وكان محمدٌ يرفع صوته بالحمد.

قال مالك كان محمد بن المنكدر لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي.

روى جعفر بن سليمان عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه قومي ضعي قدمك على خدي.

روى أبو نعيم بسنده إلى ابن المنكدر قال: إني لَلَيلة مواجه هذا المنبر في جوف الليل أدعو إذا إنسان عند أسطوانة مُقَنِّع رأسه فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ثم أرسلها الله وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه، فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه ولم يجلس حتى أتى دار أنس فدخل موضعًا ففتح ودخل قال: ورجعت فلما سبحت أتيته فقلت: أدخل؟ قال: أدخل، فإذا هو ينجر أقداحًا، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله، قال: فاستشهرها وأعظمها مني، فلما رأيت ذلك قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله يا أخي هل لك في نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا، ولكن غير ذلك لا تذكرني لأحد ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ولا تأتي يا ابن المنكدر فإنك إن تأتي شهرتني للناس فقلت: إني أحب أن ألقاك قال: ألقني في المسجد قال: وكان فارسيًا فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار فلم يُر ولم يدر أين ذهب، فقال أهل تلك الدار الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح.

قال سفيان: كان ابن المنكدر يقول: كم من عين ساهرة في رزقي في ظلمات البر والبحر، وكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعًا مسته الدموع.

قال ابن المنكدر: بات أخي عمر يصلي وبت أغمز قدمي أمي وما أحب أن ليلتي بليلته.

قال ابن عيينة: تبع ابن المنكدر جنازة سفيه فعوتب فقال: والله إني لأستحي من الله أن أرى رحمته عجزت عن أحد.

قلت: الأصل ألا تتبع جنائز هؤلاء السفهاء والفسقة والمبتدعة، ولذلك أنكروا عليه وعاتبوه على صنيعه، لكن يجوز ذلك عند ظن المصلحة. والله أعلم.

قال ابن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استضاقت.

وقال أيضًا: إن الله يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله فما يزالون في حفظ أو في عافية ما كان بين ظهرانيهم.

وقال أيضًا: نعم العون على تقوى الله الغنى.

قال أبو معشر السندي: بعث ابن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين دينارًا، ثم قال لبنيه: يا بني ما ظنكم بمن فرغ صفوان بن سليم لعبادة ربه؟ قلت: صفوان بن سليم المدني أبو عبد الله الزهري عابد من العباد ثقة مفتي.

قيل لابن المنكدر: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

عن عمر بن محمد بن المنكدر قال: كنت أمسك على أبي المصحف، قال: فمرت مولاة له فكلمها فضحك إليها ثم أقبل يقول: إنا لله إنا لله، حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: مالك؟ فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها.

قال عمر بن محمد بن المنكدر: بينا أنا جالس مع أبي في المسجد مسجد رسول الله ﷺ إذ مر بنا رجل يحدث الناس ويفتيهم ويقضي، قال: فدعاه أبي، فقال له: يا أبا فلان إن المتكلم يخاف مقت الله عز وجل وإن المستمع يرجو رحمة الله عز وجل.

قال ابن المنكدر: ليأتين على الناس زمان لا يخلص فيه إلا من دعا كدعاء الغريق.

وقال: الفقيه يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل.

قال بشر بن المغفل: جلست إلى محمد بن المنكدر فلما أراد أن يقوم قال: أتأذن، قلت: هذا هو أدب المجالسة ينتهي بالاستئذان.

أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت، قال: فما زال يهون عليه الأمر حتى إن وجهه لكأنه المصابيح ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك ثم قضى رحمه الله.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ثلاثين ومائة أو بعدها.

المراجع:

- حلية الأولياء.
- سير أعلام النبلاء.
- تهذيب التهذيب.
- تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

شيخ الكوفة وعالمها

أبو إسحاق السبيعي

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه:
هو أبو إسحاق عمرو بن عبدالله بن علي بن أحمد بن ذي يحمد بن السبيع كذا نسبه ابن سعد في الطبقات .

مولده: ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ورأى عليّا يخطب .

شيوخه: رأى علي بن أبي طالب والمغيرة بن شعبة وقيل لم يسمع منهما، وروى عن البراء بن عازب وجابر بن سمرة وعدي بن حاتم وزيد بن أرقم والنعمان ابن بشير وأبي جحيفة السوائي والأسود ابن زيد النخعي، وسعيد بن جبير والحارث الأعور والشعبي ومسروق بن الأجدع ومصعب بن سعد وعامر بن سعد ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وموسى بن طلحة بن عبيد الله وأبي بردة بن أبي موسى وخلق كثير.

الرواة عنه: ابنه يونس وابن ابنه إسرائيل وقتادة وسليمان التيمي وإسماعيل بن أبي خالد والأعمش وجرير بن حازم ومحمد بن عجلان وشعبة ومسعود الثوري وهو أثبت الناس فيه وزهير بن معاوية وزائدة بن قدامة وحمزة الزيات وأبو حمزة السكري وشريك ومالك بن مغول وسفيان بن عيينة وآخرون.

ثناء العلماء عليه: قال الأعمش : كان أصحاب ابن مسعود إذا رأوا أبا إسحاق قالوا: هذا عمرو القارئ الذي لا يلتفت .

قال مغيرة : كنتُ إذا رأيتُ أبا إسحاق ذكرت به الضرب الأول .

قال جرير بن عبد الحميد : كان يقال: من جالس أبا إسحاق فقد جالس عليّا رضي الله عنه.

قال شعبة عن أبي إسحاق قال : شهدت عند شريح في وصية فأجاز شهادتي وحدي .

قيل لشعبة : أَسَمِعَ أبو إسحاق من مجاهد؟ قال: وما كان يسمع به؟ هو أحسن حديثًا من مجاهد ومن الحسن وابن سيرين .

وقال علي بن المديني : حفظ العلم على الأمة ستة : فلأهل الكوفة أبو إسحاق والأعمش ولأهل البصرة قتادة ويحيى بن أبي كثير ولأهل المدينة الزهري. ولأهل مكة عمرو بن دينار.

قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: أبو إسحاق ثقة .

قال النسائي : ثقة .

قال العجلي : كوفي تابعي ثقة .

قال أبو حاتم : ثقة وهو أحفظ من أبي إسحاق الشيباني ويُشبه الزهري في كثرة الرواية في الرجال .

قال أحمد بن عبدة : سمعت أبا داود الطيالسي يقول : وجدنا الحديث عند أربعة : الزهري ، وقتادة ، وأبو إسحاق والأعمش وكان قتادة أعلمهم بالاختلاف والزهري أعلمهم بالإسناد

وأبو إسحاق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود ، وكان عند الأعمش من كل هذا.

قال الذهبي : الهمداني الكوفي الحافظ شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها ، وقال : وكان رحمه الله من العلماء العاملين ومن جلة التابعين ، وقال: وكان طلابة للعلم كبير القدر .

من أحواله وأقواله :

قال ابن فضيل عن أبيه قال : كان أبو إسحاق يقرأ القرآن في كل ثلاث .

قال سفيان : واجتمع الشعبي وأبو إسحاق فقال له الشعبي أنت خير مني يا أبا إسحاق ، قال: لا والله بل أنت خير مني وأسن مني.

قال سفيان : وقال أبو إسحاق : كانوا يرون السعة عونًا على الدين .

أبو بكر بن عياش قال : سمعت أبا إسحاق يقول : ما أفلت عيني غمضًا منذ أربعين سنة.

ابن فضيل قال : حدثني أبي : أتيت أبا إسحاق بعدما كف بصره ، قال : قلت : تعرفني ؟ قال: فضيل ؟ قلت : نعم ، قال : إني والله أحبك، لولا الحياء منك لقبلتك فضمني إلى صدره ثم قال: حدثني أبو الأحوص عن عبد الله ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ نزلت في المتحابين.

قال يونس : كان أبي يقرأ كل ليلة ألف آية، وقال أبو الأحوص قال لنا أبو إسحاق : يا معشر الشباب اغتنموا يعني : قوتكم وشبابكم قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية وإني لأقرأ البقرة في ركعة وإني لأصوم الأشهر الحرم وثلاثة أيام من كل شهر ، والاثنين والخميس.

قال أبو إسحاق : ذهبت الصلاة مني وضعفت وإني لأصلي فما أقرأ وأنا قائم إلا البقرة وآل عمران .

قال العلاء بن سالم العبدي : ضعف أبو إسحاق قبل موته بسنتين فما كان يقدر أن يقوم حتى يقام فإذا استتم قائمًا قرأ وهو قائم ألف آية.

قلت : سبحان الله ، ما هذه الهمة العالية، والشغف بالعبادة ؟ نسأل الله الهداية .

قال الأعمش : كنت إذا خلوت بأبي إسحاق حدثنا بأحاديث عبد الله غضةً ليس عليها غبار.

قلت : يعني التدليس والله أعلم .

قال الإمام أحمد : كان أبو إسحاق : تزوج امرأة الحارث الأعور فوقعت إليه كتبه .

قال عبد الله بن عون لأبي إسحاق : ما بقي منك ؟ قال : أقرأ البقرة في ركعة . قال : بقي خيرك وذهب شرك .

قال أبو بكر بن عياش : ما سمعت أبا إسحاق يعيب أحدًا قط وإذا ذكر رجلاً من الصحابة فكأنه أفضلهم عنده .

قلت : هذا خلاف ما يذكر عنه من التشيع.

قال مغيرة : ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق والأعمش .

قال الذهبي : لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض وحديث أبي إسحاق مجتج به في دواوين الإسلام ويقع لنا في عواليه .

قلت : لعل مغيرة يعني تدليسهما .

قال ابن عيينة : كان أبو إسحاق يخضب .

قال شعبة : سمعت أبا إسحاق يحدث بحديث عن الحارث بن الأزمع ، فقلت له : سمعت منه؟ فقال : حدثني به مجالد عن الشعبي عنه .

قلت : قد دلس الإسناد وأسقط مجالدًا وهو ضعيف والشعبي.

قال شعبة : كان أبو إسحاق إذا أخبرني عن رجل قلت له : هذا أكبر منك، فإن قال : نعم علمت أنه لقي وإن قال أنا أكبر منه تركته .

قلت : لأنه يكون قد دلس عنه .

قال أبو إسحاق الجوزجاني : كان قوم من أهل الكوفة لا تحمد مذاهبهم - يعني التشيع هم رؤوس محدثي الكوفة مثل أبي إسحاق والأعمش ومنصور وزبيد وغيرهم من أقرانه احتملهم الناس على صدق ألسنتهم في الحديث ووقفوا عند ما أرسلوا لما خافوا أن لا تكون مخارجها صحيحة فأما أبو إسحاق فروي عن قوم لا يعرفون ولم ينتشر عنهم عند أهل العلم إلا ما حكى أبو إسحاق عنهم فإذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقيف في ذلك عندي الصواب.

قال الذهبي : قرأ عليه القرآن عرضًا حمزة بن حبيب فهو أكبر شيخ له في كتاب الله تعالى وغزا الروم في دولة معاوية .

وفاته : مات رحمه الله سنة سبع وعشرين وقيل تسع وعشرين ومائة .

المراجع :

-سير أعلام النبلاء . -تهذيب التهذيب .
-تقريب التهذيب .

الإعلام بسير الأعلام

المجتهد العابد العلامة

عمر بن عبد العزيز

إعداد/ مجدي عرفات

نسبه: هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الأموي المدني أشج بني أمية الخليفة الراشد رضي الله عنه.

مولده: ولد سنة مقتل الحسين يعني سنة إحدى وستين وقيل ثلاث.

صفته: كان أسمر رقيق الوجه حسنه، نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين بجبهته أثر نفخة دابة (وهي الشجة) وقد وخطه الشيب.

شيوخه: حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والسائب بن يزيد وسهل بن سعد وصلى إمامًا لأنس بن مالك رضي الله عنه فقال: ما رأيت إمامًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى.

وروى عن سعيد بن المسيب وعروة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن عبد الرحمن وطائفة.

تلامذته: روى عنه أبو بكر بن حزم ورجاء بن حيوة وابن المنكدر والزهري وأيوب السختياني وإبراهيم بن عَبْلَة وحميد الطويل وابنه عبد العزيز بن عمر، وأخوه زبّان ويحيى بن سعيد الأنصاري وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه: وهو أشهر من أن يذكر ولكن للذكر والترجمة.

قال أبو جعفر الباقر: لكل قوم نجيبة وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز إنه يبعث أمة وحده.

قال عمرو بن ميمون: كانت العلماء مع عمر بن العزيز تلامذة.

قال الحسن البصري لما بلغه موته: مات خير الناس.

قال ميمون بن مهران: إن الله يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز.

عن إبراهيم بن ميسرة: قلت لطاوس: هو المهدي- يعني عمر بن عبد العزيز- قال: هو المهدي، وليس به إنه لم يستكمل العدل كله.

قال ابن عون كان ابن سيرين إذا سئل عن الطِّلاء (شراب العنب المطبوخ) قال: نهى عنه إمام هدىً يعني عمر بن عبد العزيز.

عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمر عمر بن العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، قال سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». [رواه مسلم].

قال ابن سعد في الطبقات: أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان ثقة مأمونًا له فقه وعلم وورع.

قال الذهبي: وكان من أئمة الاجتهاد

ومن الخلفاء الراشدين، وقال: كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق كامل العقل حسن السمت جيد السياسة حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم فقيه النفس طاهر الذكاء والفهم أواهًا منيبًا قانتًا لله حنيفًا زاهدًا مع الخلافة ناطقًا بالحق مع قلة المعين، وكثرة في الأمراء الظلمة الذين ملوه وكرهوا محاققته لهم ونقصه أعطياتهم وأخذه كثيرًا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق فما زالوا به حتى سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة وعد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين.

قال ابن حجر: ولى إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده فعُدّ من الخلفاء الراشدين.

من أحواله وأقواله: عن أبي قبيل: أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن فبكت أمه حين بلغها ذلك.

قال زيد بن أسلم قال لنا أنس بن مالك: ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز، قال زيد فكان عمر يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود.

قال ميمون بن مهران: أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا فما كنا معه إلا تلامذة وكذلك جاء عن مجاهد وغيره.

قال الزهري: سمرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة فحدثته فقال كل ما حدثته الليلة فقد سمعته ولكنك حفظت ونسيت.

حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد حتى كادت تنخلع قلوبهم فقال سليمان: يا أبا حفص هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟!

قال عمر بن عبد العزيز: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.

عن ابن عمر قال عمر: إنا كنا نتحدث وفي لفظ: يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر، قال: فكان بلال ولد عبد الله بن عمر بوجهه شامة وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز أمه هي ابنة عاصم بن عمر.

قال سليمان لعمر: يا أبا حفص، إنا ولينا ما قد ترى ولم يكن بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمُر به، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج وأقيمت الصلوات في أوقاتها بعدما كان أميتت عن وقتها مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، قيل إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف، فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك وهم غدًا خصماؤك، فبكى بكاءًا شديدًا.

قال رجاء بن حيوة: ثقل سليمان ولما مات أجلسته وسندته وهيئته ثم خرجت إلى الناس فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ قلت: أصبح ساكنًا، فادخلوا سلموا عليه وبايعوا بين يديه ما في العهد، فدخلوا وقمت عنده وقلت: إنه يأمركم بالوقوف، ثم أخذت الكتاب من جيبه وقلت إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب فبايعوا، وبسطوا أيديهم، فلما فرغوا قلت: أجركم الله في أمير المؤمنين، قالوا: فمن؟ ففتح الكتاب فإذا فيه عمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبد الملك فلما سمعوا (وبعده يزيد) تراجعوا، وطلب عمر فإذا هو في المسجد فأتوه وسلموا عليه بالخلافة فعقر فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فاصعدوه المنبر فجلس طويلاً لا يتكلم، فقال رجاء: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعونه، فنهضوا إليه ومد يده إليهم، فلما مدّ هشام بن عبد الملك يده إليه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر :نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، حين صار يلي هذه الأمة أنا وأنت، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إني لست بفارض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ، ثم نزل، فأتاه صاحب المراكب، فقال: لا اتئوني بدابتي، ثم كتب إلى عمال الأمصار، قال رجاء: كنت أظن أنه سيضعف فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوى.

قال عبيد الله بن عمر: خطبهم عمر فقال: لست بخير أحد منكم ولكن أثقلكم حملاً.

قال الزهري: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم ليكتب له بسيرة عمر في الصدقات، فكتب إليه بذلك، وكتب إليه: إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيرًا من عمر.

قال الذهبي: هذا كلام عجيب، أنى يكون خيرًا من عمر؟ حاشى وكلا ولكن هذا القول محمول على المبالغة، وأين عز الدين بإسلام عمر؟ وأين شهوده بدرًا؟ وأين فرق الشيطان من عمر؟ وأين فتوحات عمر شرقًا وغربًا؟ وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

عن مغيرة: أن عمر خطب وقال: والله إن عبدًا ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات لمُعْرَقٌ له في الموت. (أي إنه أصيل في الموت)

عن ميمون بن مهران: سمعت عمر بن عبد العزيز

يقول: لو أقمت فيكم خمسين عامًا ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر من أمر العامة فأخاف ألا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعًا من طمع الدنيا.

عن ضمرة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد: فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك.

عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه يده على خده سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين الشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت.

عن عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: كان مؤذن لعمر بن عبد العزيز إذا أذن رعّد، فبعث إليه: أذن أذانًا سمحًا ولا تغنّه وإلا فاجلس في بيتك.

عن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام.

قال عمر: أفضل القصد عند الجِدَة، وأفضل العفو عند المقدرة.

قال عمر: إن نفسي تواقة، وإنها لم تعط من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا، تاقت إلى ما هو أفضل منه، يعني الجنة.

قال مالك بن دينار: يقول الناس عني: زاهد، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

قال عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين.

قال رجاء بن حيوة لعبد العزيز بن عمر: ما أكمل مروءة أبيك، سمرت عنده فعشي السراج وإلى جانبه وصيف نام، قلت: ألا أنبهه؟ قال: لا دعه، قلت: أنا أقوم، قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه، فقام إلى بطة الزيت (إناء كالقارورة) وأصلح السراج ثم رجع، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: إنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك، بغّض إليك كل فان، وحبب إليك كل باقٍ، والسلام.

قال سعيد بن أبي عروة: كان عمر إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

ومما يروي له من الشعر:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم؟
وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت
مدامع عينيك الدموعُ السواجم
تُسر بما يبلى وتفرح بالمنى
كما اغتر باللذات في اليوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غِبّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

عن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز: ما يقول فيّ الناس؟ قلت: يقولون: مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك، ما حملك على أن سقيتني السُّمّ؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق، قال: هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب لا يراك أحد. قال الذهبي: كانت بنو أمية قد تبرمت بعمر لكونه شدد عليهم وانتزع كثيرًا مما في أيديهم مما قد غصبوه وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم.

قال المغيرة بن حكيم: قلت لفاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر في مرضه يقول: اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة، قالت: قلت له: ألا أخرج عنك فإنك لم تنم، فخرجت فجعلت أسمعه يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ مرارًا، ثم أطرق فلبثت طويلاً لا يسمع له حسٌّ، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل صاح فدخلت فوجدته ميتًا قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه، قلت: وأخباره رضي الله عنه كثيرة قد أفردت فيها مصنفات، ولكن هذه إشارة إليها، فرحمه الله، ورضي عنه.

وفاته: كانت وفاته يوم الخميس لخمس مضين من رجب سنة إحدى ومائة.

المراجع :

- سير أعلام النبلاء. - التاريخ للزهير.
- سيرة عمر بن عبد العزيز.
- تهذيب التهذيب. - تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام الحافظ الحجة هشام الدستوائي

إعداد

الشيخ/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سَنْبَر البصري الرَّبَعي مولاهم صاحب الثياب الدستوائية كان يتجر في القماش الذي يجلب من دَسْتُوا ولذا قيل له صاحب الدستوائي، ودستوا بليدة من أعمال الأهواز.

مولده: ولد سنة خمس وسبعين تقريبًا.

شيوخه: حدث عن يحيى بن أبي كثير وقتادة والقاسم بن أبي بزة وحماد الفقيه ومطر الوراق، وعاصم بن بهدلة وعامر الأحول وابن أبي نجيح وأبي الزبير وأيوب وبديل بن ميسرة وغيرهم.

تلامذته: روى عنه ابناه معاذ وعبد الله وشعبة وابن المبارك ويزيد بن زريع وعبد الوارث وابن علية وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن هارون ومكي بن إبراهيم وأبو نعيم ومعاذ بن فضالة وأبو سلمة التبوذكي وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: قال يزيد بن زريع سمعت أيوب يأمرنا بهشام بن أبي عبد الله ويحث على الأخذ عنه.

قال شعبة: ما من الناس أحدٌ قيل إنه طلب الحديث يريد به الله إلا هشام صاحب الدستوائي.

قال معلى بن منصور: سألت ابن علية عن حفاظ البصرة فذكر هشام الدستوائي.

قال وكيع: حدثنا هشام الدستوائي وكان ثبتًا.

قال ابن معين: كان يحيى القطان إذا سمع الحديث من هشام الدستوائي لا يبالي أن لا يسمعه من غيره.

قال أبو داود الطيالسي: كان هشام الدستوائي أمير المؤمنين.

قال أبو حاتم: وسألت أحمد بن حنبل عن الأوزاعي والدستوائي: أيهما أثبت في يحيى بن أبي كثير فقال: الدستوائي لا تسأل عنه أحدًا ما أرى الناس يروون عن أحدٍ أثبت منه، مثله عسى، أما أثبت منه فلا.

قال العجلي: هشام بصري ثقة ثبت في الحديث كان أروى الناس عن ثلاثة: قتادة وحماد بن أبي سليم، ويحيى بن أبي كثير كان يقول بالقدر ولم يكن يدعو إليه.

قال ابن سعد: هشام الدستوائي مولى بني سدوس كان ثقة ثبتًا في الحديث حجة إلا أنه يرى القدر.

قال أبو نعيم: ومنهم المخلص في الرعاية السلس في الرواية، كان للذكر أليفا وللخوف حليفًا هشام بن أبي عبد الله الدستوائي.

قال الذهبي: هو الحافظ الحجة الإمام الصادق.

قال ابن حجر: ثقة ثبت وقد رمى بالقدر.

من أحواله وأقواله: قال مسلم بن إبراهيم: كان هشام الدستوائي لا يطفئ السراج إلى الصبح وقال: إذا رأيت الظلمة ذكرت ظلمة القبر.

قال شعبة: كان هشام يقول: ليتنا ننجو من هذا الحديث كفافًا لا لنا ولا علينا

ثم قال شعبة: إذا كان هشام يقول هذا فكيف نحن؟

قال عبيد الله العيشي: كان هشام الدستوائي إذا فقد السراج من بيته يتململ على فراشه فكانت امرأته تأتيه بالسراج، فقالت له في ذلك، فقال: إني إذا فقدت السراج ذكرت ظلمة القبر.

قال شاذ بن فياض: بكى هشام الدستوائي حتى فسدت عينه فكانت مفتوحة ولا يكاد يبصر بها.

وقال: عجبت للعالم كيف يضحك، وكان يقول: ليتنا ننجو لا علينا ولا لنا.

قال هشام: والله ما أستطيع أن أقول إني ذهبت يومًا قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل.

قال الذهبي: والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله فَنَبُلُوا وصاروا أئمة يقتدى بهم وطلبه قوم منهم لا لله وحصلوه ثم استفاقوا وحاسبوا أنفسهم فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله فهذا أيضًا حسن ثم نشروه بنية صالحة، وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا ليُثنى عليهم فلهم ما نووا، قال عليه السلام: «من غزا ينوي عقالا فله ما نوى». [في سنده لين]

ونرى هذا الضرب لم تستضيئوا بنور العلم ولا لهم وقع في النفوس ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل وإنما العالم من يخشى الله تعالى، وقوم نالوا العلم وولُوا به المناصب فظلموا وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش فتبًا لهم فما هؤلاء بعلماء، وبعضهم لم يتق الله في علمه بل ركب الحيل وأفتى بالرخص وروى الشاذ من الأخبار وبعضهم اجترأ على الله ووضع الأحاديث فهتكه الله وذهب علمه وصار زاده إلى النار وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئًا كبيرًا، وتضلعوا منه في الجملة فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير أوهموا به أنهم علماء فضلاء ولم يدُرْ في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله لأنهم ما رأوا شيخًا يقتدى به في العلم فصاروا همجًا رَعاعًا، غاية المدرّس منهم أن يحصل كتبًا ثمينة يخزنها وينظر فيها يومًا ما فيصحف ما يورده ولا يقرره فنسأل الله النجاة والعفو كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيت عالمًا. وقد كان هشام بن أبي عبد الله من الأئمة لولا ما شاب علمه بالقدر. اهـ.

قلت: نسأل الله السلامة والإخلاص في الأقوال والأعمال ونسأله سبحانه علمًا نافعًا.

قال الحافظ محمد بن البرقي: قلت ليحيى بن معين: أرأيت من يرمى بالقدر يكتب حديثه؟ قال: نعم، قد كان قتادة وهشام الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة وعبد الوارث وذكر جماعة يقولون بالقدر وهم ثقات يكتب حديثهم ما لم يدعوا إلى شيء.

قال الذهبي: هذه مسألة كبيرة وهي القدري والمعتزلي والجهمي والرافضي إذا علم صدقه في الحديث وتقواه ولم يكن داعيًا إلى بدعته فالذي عليه أكثر العلماء قبول روايته والعمل بحديثه وترددوا في الداعية هل يؤخذ عنه؟ فذهب كثير من الحفاظ إلى تجنب حديثه وهجرانه، وقال بعضهم إذا علمنا صدقه وكان داعية ووجدنا عنده سنة تفرد بها فكيف يسوغ لنا ترك تلك السنة فجميع تصرفات أئمة الحديث تؤذن بأن المبتدع إذا لم تبح بدعته خروجه من دائرة الإسلام ولم تبح دمه فإن قبول ما رواه سائغ، وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة ولم يعد من رؤوسها ولا أمعن فيها يقبل حديثه كما مثّل الحافظ أبو زكريا بأولئك المذكورين، وحديثهم في كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم. اهـ.

قلت: والرأي الأخير هو المقبول المعمول به كما روى البخاري في صحيحه لعمران بن حطان من الخوارج وقتادة وهشام ممن رمي بالقدر أما الجهمية الغلاة فكفرهم أهل العلم فلا تقبل رواياتهم ولا كرامة والله تعالى أعلم.

قال معاذ بن هشام: مكث أبي - يعني عاش - ثمانيا وسبعين سنة.

وفاته: توفي رحمه الله سنة اثنتين وخمسين ومئة، وقيل سنة ثلاث وخمسين وقيل سنة أربع وخمسين والله أعلم.

المراجع:

- تهذيب الكمال
- سير أعلام النبلاء
- حلية الأولياء
- تقريب التهذيب

الإعلام بسير الأعلام

الإمام شيخ الإسلام ابن أبي ذئب

إعداد

الشيخ/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه: أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب واسم ابي ذئب هشام بن شعبة، القرشي العامري المدني الفقيه.

مولده: ولد سنة ثمانين.

شيوخه: سمع عكرمة وسعيدًا المقبري، ونافعًا مولى ابن عمر، وصالحًا مولى التوأمة والزهري، ومحمد بن المنكدر، وشعبة مولى ابن عباس، ومسلم بن جندب، وخلقًا سواهم.

تلامذته: حدث عنه ابن المبارك ويحيى القطان وابن أبي فديك والثوري وأبو نعيم ووكيع وآدم بن أبي إياس والقعنبي وعلي بن الجعد، والوليد بن مسلم، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وأسد بن موسى، وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: كان يشبه بسعيد بن المسيب.

فقيل لأحمد: خلّف مثله؟ قال: لا، ثم قال: كان أفضل من مالك إلا أن مالكًا رحمه الله أشد تنقية للرجال منه؟ علق الذهبي على ذلك بقوله: وهو أقدم نقيا للكبار من مالك، ولكن مالكًا أوسع دائرة في العلم والفتيا والحديث والإتقان منه بكثير.

وقال أحمد: ابن أبي ذئب ثقة.

قال الواقدي: وكان من أورع الناس وأفضلهم ورمي بالقدر وما كان قدريًا، لقد كان يتقي قولهم ويعيبه ولكنه كان رجلاً كريمًا يجلس إليه كل أحد ويغشاه فلا يطرده ولا يقول له شيئًا وإن مرض عاده فكانوا يتهمونه بالقدر لهذا وشبهه، علق الذهبي على ذلك بقوله: كان حقه أن يكفهر في وجوههم، ولعله كان حسن الظن بالناس.

قال يحيى بن معين: ابن أبي ذئب ثقة وكل من روى عنه ابن أبي ذئب فثقة إلا أبا جابر البياضي. اهـ.

قلت: هذا الذي قال عنه الشافعي رحمه الله: بيّض الله عيني من حدث عن أبي جابر البياضي.

قال يعقوب بن شيبة: سمعت أحمد ويحيى يتناظران في ابن أبي ذئب وعبد الله بن جعفر المخرميّ فقدّم أحمد المخرميّ فقال يحيى: المخرميّ شيخ وأيش عنده؟ وأطرى ابن أبي ذئب وقدّمه على المخرمي تقديمًا كثيرًا متفاوتًا فذكرت هذا لعلي (يعني ابن المديني) فوافق يحيى، وسألت عليًا عن سماع ابن أبي ذئب من الزهري، فقال: هي مقاربة وهي عرض.

قال ابن حبان: كان من فقهاء أهل المدينة وعبادهم.

وقال عثمان بن أبي شيبة: سألت عليًا عنه فقال: كان عندنا ثقة.

قال النسائي: ثقة.

قال الذهبي: هو ثقة مرضي، أو قال: وكان من أوعية العلم ثقة فاضلاً قوالاً بالحق مهيبًا.

قال الخليلي: ثقة أثنى عليه مالك فقيه من أئمة أهل المدينة حديثه مخرج في الصحيحين إذا روى عن الثقات.

قال ابن حجر: ثقة فقيه فاضل.

من أحواله وأقواله:

قال الواقدي تلميذه: وكان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له: إن القيامة تقوم غدًا، ما كان فيه مزيد من الاجتهاد، أخبرني أخوه قال: كان أخي يصوم يومًا ويفطر يومًا، ثم سرد الصوم كان شديد الحال يتعشى الخبز والزيت، وله قميص وطيلسان يشتو فيه ويصيف، قال: وكان من رجال الناس صرامة وقولاً بالحق، وكان يحفظ حديثه ولم يكن له كتاب، وكان يروح إلى الجمعة باكرًا فيصلي إلى أن يخرج الإمام ورأيته يأتي دار أجداد عند الصفا فيأخذ كراءها وكان لا يغير شيبه. اهـ.

قلت: أما قيام الليل كله وسرد الصوم ففيهما مخالفة للسنة النبوية.

قال الواقدي: دخل مرة على والي المدينة فكلمه- وهو عبد الصمد بن علي عم المنصور- فكلمه في شيء، فقال عبد الصمد بن علي: إني لأراك مرائيًا، فأخذ عودًا وقال: من أرائي؟ فوالله للنَّاس عندي أهون من هذا.

وفي مسند الشافعي: أخبرني أبو حنيفة بن سماك حدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين: إن أحب العقل وإن أحب فله القود». قلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟ فضرب صدري وصاح صياحًا كثيرًا ونال مني وقال: أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول تأخذ به، نعم آخذ به وذلك الفرض عليّ وعلى كل من سمعه، إن الله اختار محمدًا ﷺ من الناس فهداهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك.

قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث: «البيعان بالخيار». [متفق عليه]. فقال: يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم قال أحمد: هو أورع وأَقْوَل بالحق من مالك.

قال الذهبي: لو كان ورعًا كما ينبغي لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث لأنه رآه منسوخًا، وقيل عمل به وحمل قوله: «حتى يتفرقا» على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث وفي كل حديث له أجر ولابد فإن أصاب ازداد أجرًا آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحرورية، وبكل حال فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه، فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه بل هما عالما المدينة في زمانهما رضي الله عنهما ولم يسندها الإمام أحمد فلعلها لا تصح.

قلت: ولعل كلام ابن أبي ذئب يحمل على التحذير للآخرين من رد حديث رسول اللَّه ﷺ، فمن رده فهو على شفا هلكة.

قال أبو العيناء: لما حج المهدي دخل مسجد رسول اللَّه ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين، فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين، فقال المهدي: دعه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

قال أبو العيناء: وقال ابن أبي ذئب للمنصور قد هلك الناس، فلو أعنتهم من الفيء، فقال: ويلك، لولا ما سددت من الثغور لكنت تُؤتي في منزلك فتُذبح، فقال ابن أبي ذئب: قد سد الثغور وأعطى الناس من هو خير منك، عمر رضي الله عنه فنكس المنصور رأسه والسيف في يد المسيب ثم قال: هذا خير أهل الحجاز.

قال أبو نعيم: حججت عام حج أبو جعفر ومعه ابن أبي ذئب ومالك بن أنس فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة، فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن حسن- يعني أمير المدينة؟ فقال: إنه ليتحرى العدل، فقال له: ما تقول فيّ- مرتين-؟ فقال: وربّ هذه البنية إنك لجائر؟ قال: فأخذ الربيع الحاجب بلحيته، فقال له أبو جعفر: كُف يا ابن اللخناء، ثم أمر لابن أبي ذئب بثلاث مائة دينار.

قال أحمد بن حنبل: قد دخل على أبي جعفر المنصور فلم يَهُلْهُ أن قال له الحق، وقال: الظلم ببابك فاشٍ، وأبو جعفر أبو جعفر.

قال حماد بن خالد: كان يشبه بسعيد بن المسيب وما كان هو ومالك في موضع عند سلطان إلا تكلم ابن أبي ذئب بالحق والأمر والنهي ومالك ساكت.

قال الدارقطني: كان ابن أبي ذئب صنف موطأً فلم يخرج.

وقال الذهبي: قيل ألف ابن أبي ذئب كتابًا كبيرًا في السنن.

وفاته: مات رحمه الله سنة ثمان وخمسين ومائة وقيل: تسع وخمسين بالكوفة.

المراجع:

تهذيب الكمال. تهذيب التهذيب.
سير أعلام النبلاء. تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

محدث الشام

الحافظ الإمام بقية الأعلام

إسماعيل بن عياش

إعداد

الشيخ/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو عتبة إسماعيل بن عياش بن سليم الحمصي العنسي مولاهم.

مولده: ولد سنة ست ومائة.

شيوخه: سمع من شرحبيل بن مسلم الخولاني وبحير بن سعد والزُّبيدي وثور بن يزيد وحريز بن عثمان وعاصم بن رجاء بن حيوة وخلق من الشاميين، وروى عن زيد بن أسلم وسهيل بن أبي صالح وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد وابن جريج وموسى بن عقبة وخلق من الحجازيين والعراقيين.

قال محمد بن أحمد المقدسي: كان أزرق.

ثناء العلماء عليه: قال محمد بن مهاجر: قال لي أخي عمرو: ليس تحسن تسأل، لم لا تسألني مسألة هذا الأزرق؟ ما سألني أحد أحسن مسألة منه. قلت: كيف أكون مثله وهو فقيه- يعني إسماعيل؟

عن عبد الله بن أحمد قال أبي لداود بن عمرو وأنا أسمع: يا أبا سليمان كان إسماعيل بن عياش يحدثكم هذه الأحاديث حفظًا؟ قال: نعم، ما رأيت معه كتابًا قط، فقال: لقد كان حافظًا كم كان يحفظ؟ قال: شيئًا كثيرًا قال له: كان يحفظ عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف، قال أبي: هذا كان مثل وكيع.

قال أحمد: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من إسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم.

قال يعقوب الفسوي: كنت أسمع أصحابنا يقولون: علم الشام عند إسماعيل والوليد، فسمعت أبا اليمان يقول: كان أصحابنا لهم رغبة في العلم وطلب شديد بالشام والمدينة ومكة وكانوا يقولون: نجهد في الطلب ونتعب أبداننا ونغيب فإذا جئنا وجدنا كل ما كتبنا عند إسماعيل، قال الفسوي: وتكلم قوم في إسماعيل، وإسماعيل ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشاميين ولا يدفعه دافع وأكثر ما تكلموا قالوا: يغرب عن ثقات المدنيين والمكيين.

قال يزيد بن هارون: ما رأيت شاميًا ولا عراقيًا أحفظ من إسماعيل.

قال ابن معين: إسماعيل بن عياش ثقة كان أحب إلى أهل الشام من بقية (يعني بقية بن الوليد الحمصي).

وقال أيضًا: شهدته يُمْلِي إملاءً فكتبت عنه.

وقال يحيى أيضًا: ليس به بأس في أهل الشام، والعراقيون يكرهون حديثه.

قال ابن حبان: كان إسماعيل من

الحفاظ المتقنين في حديثهم فلما كبر تغير حفظه فما حفظ في صباه وحداثته أتى به على جهته وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه.

قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: يوثق فيما روى عن أصحابه أهل الشام فأما ما روى عن غيرهم ففيه ضعف.

وقال ابن المديني: ما أحد أعلم منه بحديث أهل الشام لو ثبت على حديث أهل الشام ولكنه خلّط في حديثه عن أهل العراق.

قلت: كذا قال الفلاس، ودحيم ويعقوب بن شيبة والبخاري.

قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالشام بعد الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز أحفظ من إسماعيل بن عياش.

قال الذهبي: وكان من بحور العلم صادق اللهجة متين الديانة صاحب سنة واتباع وجلالة ووقار. وقال: وهو فيهم (يعني الحجازيين والعراقيين) كثير الغلط بخلاف أهل بلده فإنه يحفظ حديثهم ويكاد أن يتقنه إن شاء الله.

وقال أيضًا: حديث إسماعيل عن الحجازيين والعراقيين لا يحتج به وحديثه عن الشاميين صالح من قبيل الحسن ويحتج به إن لم يعارضه أقوى منه.

قال ابن حجر: صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم.

قال الصنعاني في «سبل السلام» (٤٧٤/٣): والذي يرجح عند الظن قبوله مطلقًا لثقته وضبطه.

قلت: وقد رمي إسماعيل بالتدليس أيضًا.

من أحواله وأقواله:

قال أبو اليمان: كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي فكان يُحيي الليل وكان ربما قرأ ثم يقطع ثم رجع فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يومًا فقلت: يا عم، قد رأيت منك في القراءة كيت وكيت، قال: يا بني، وما سؤالك؟ قلت: أريد أن أعلم، قال: يا بني إني أصلي فأقرأ فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها فأقطع الصلاة فأكتبه فيه ثم أرجع إلى صلاتي فابتدئ من الموضع الذي قطعت منه.

قلت: «يُحيي الليل» أي: بالصلاة والعلم كما في الرواية، أما قطعه للصلاة لعله يعني أنه يسلم من الركعتين حتى يكتب ولا يصلُ الركعات ببعضها كما كان ابن عمر يفعل يسلم من الركعتين حتى يأمر ببعض حاجته.

قال يحيى الوحاظي: ما رأيت رجلاً كان أكبر نفسًا من إسماعيل بن عياش، كنا إذا أتيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخبيص، سمعته يقول: ورثت من أبي أربعة آلاف دينار فأنفقتها في طلب العلم.

قال عثمان بن صالح: كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفّوا عن ذلك، وكان أهل حمص ينتقصون عليًا حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل عليّ فكفّوا عن ذلك.

قال الذهبي: وقد صحح الترمذي لإسماعيل بن عياش غير ما حديث من روايته عن أهل بلده، منها حديث: «لا وصية لوارث»، وحديث: «بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه»، وما خرجا له في الصحيحين شيئًا. اهـ.

قلت: له في البخاري شيء معلق.

وفاته: توفي إسماعيل سنة إحدى وثمانين ومائة، وقيل اثنتين وثمانين.

المراجع:

سير أعلام النبلاء. تهذيب التهذيب.

تقريب التهذيب. سبل السلام.

الإعلام بسير الأعلام

العلامة الإخباري

محمد بن إسحاق

إعداد/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار أبو بكر وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة النبوية كان جده يسار من سبي عين التمر.

مولده: ولد ابن إسحاق سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيد بن المسيب.

شيوخه: روى عن أبيه وسعيد المقبري والأعرج وعمرو بن شعيب ومحمد بن إبراهيم التيمي وأبي جعفر الباقر ونافع مولى ابن عمر وفاطمة بنت المنذر بن الزبير والزهري وسعد بن إبراهيم وعبيد الله بن عبد الله بن عمر ومحمد بن المنكدر ويزيد بن أبي حبيب وابن طاووس وخلق كثير.

تلامذته والرواة عنه: حدث عنه يزيد بن أبي حبيب شيخه ويحيى بن سعيد الأنصاري وشعبة والثوري والحمادان وأبو عوانه وهشيم وجرير بن حازم وجرير بن عبد الحميد وسفيان بن عبيد ويزيد بن هارون ويونس بن بكير ويحيى بن سعيد الأموي وأمم سواهم يشق استقصاؤهم ويبعد إحصاؤهم.

ثناء العلماء عليه: قال المفضل الغلابي: سألت يحيى بن معين عن ابن إسحاق فقال: كان ثقة حسن الحديث.

قال علي بن المديني: مدار الحديث على ستة فذكرهم ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر أحدهم محمد بن إسحاق، قال الزهري: لا يزال بالمدينة علم جسيم ما دام فيهم ابن إسحاق وقال: وقد سئل عن مغازيه: هذا أعلم الناس بها يعني ابن إسحاق.

قال الشافعي: من أراد أن يتجر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق.

قال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق.

قال أبو معاوية: كان ابن إسحاق من أحفظ الناس فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر فاستُودعها عند ابن إسحاق قال: إحفظها عليّ فإن نسيتها كنت قد حفظتها على ما قال عبد الله بن فائد: كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن.

قال الميموني: حدثنا أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد) بحديث استحسنه عن ابن إسحاق فقلت: يا أبا عبد الله ما أحسن هذا القصص التي يجيء بها ابن إسحاق فتبسم إلي متعجبا.

وقال شعبة: محمد بن إسحاق أمير المحدثين لحفظه.

قال علي بن المديني: نظرت في كتب ابن إسحاق فما وجدت عليه إلا في حديثين ويمكن أن يكونا صحيحين.

قال أبو زرعة الدمشقي: ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه.

قال ابن سعد: كان ثقة ومنهم من تكلم فيه.

قال ابن حبان: لما سئل ابن المبارك قال: إنا وجدناه صدوقا ثلاث مرات ثم قال ابن حبان ولم يكن أحدٌ بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه ولا يوازيه في اطلاعه وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار.

قال الخليلي: محمد بن إسحاق عالم كبير، واسع الرواية والعلم ثقة.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه.

قال يزيد بن هارون: لو كان لي سلطان لأمّرت ابن إسحاق على المحدثين.

قال البخاري: رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق وذكر عن سفيان أنه ما رأى أحدًا يتهمه.

قال الذهبي: العلامة الحافظ وقال: وهو أول من دَوَّنَ العلم بالمدينة وذلك قبل مالك

وذويه وكان في العلم بحرًا عجاجا ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي وقال أيضا: قد كان في المغازي علامة.

قال ابن حجر: إمام المغازي صدوق يدلس ما رمي بالتشيع والقدر.

من أحواله وأقواله: قال ابن المديني: سمعت سفيان وسئل عن ابن إسحاق لِمَ لَمْ يرو أهل المدينة عنه؟ فقال: جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئا. فقلت له كان ابن إسحاق يجالس فاطمة بنت المنذر؟ فقال أخبرني أنها حدثته وأنه دخل عليها قال الذهبي (معقبًا) هو صادق، في ذلك بلا ريب.

قال يحيى بن سعيد: سمعت هشام بن عروة يقول حدث ابن إسحاق عن امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إن رآها قط، قال الذهبي معلقًا: هشام صادق في يمينه فما رآها ولا زعم الرجل أنه رآها بل ذكر أنها حدثته وقد سمعنا من عدة نسوة وما رأيتهن وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة وما رأوا لها صورة أبدًا.

قال الأثرم: سألت أبا عبد الله عن ابن إسحاق فقال: هو حسن الحديث، ثم قال: وقال مالك (وذكر ابن إسحاق): دجال من الدجاجلة.

قال البخاري: لو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق فلربما تكلم الإنسان فيرمي صاحبه بشيء واحد ولا يتهمه في الأمور كلها، وقال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح: نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكثر عنهما في «الموطأ» وهما ممن يحتج بهما ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلهم وتناول بعضهم في العرض والنفس ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة والكلام في هذا كثير.

قال الذهبي: لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ولا من الكلام بنفس حادٍّ فيمن بينهم وبينه شحناء، وقد علم أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مُهدر لا عبرة به ولا سيما إذا وثق الرجلَ جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة وارتفع مالك وصار كالنجم، والآخر فله ارتفاع بحسبه ولا سيما في السير وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه فإنه يعد منكرًا هذا الذي عندي في حاله والله أعلم.

قال أبو زرعة الدمشقي: قد اختبره أهل الحديث فرأوه صدقا وخيرًا مع مدح ابن شهاب له وقد ذاكرت دحيمًا قول مالك فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهم بالقدر.

قال يعقوب بن شيبة: سألت عليا: كيف حديث ابن إسحاق عندك صحيح؟ فقال: نعم حديثه عندي صحيح قلت: فكلام مالك فيه؟ قال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه وأي شيء حدث به ابن إسحاق بالمدينة: قلت: فهشام بن عروة قد تكلم فيه فقال علي: الذي قال هشام ليس بحجة لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها أن حديثه ليبين فيه الصدق.

قال عبد الله بن أحمد: كان أبي يتبع حديث ابن إسحاق فيكتبه كثيرًا بالعلو والنزول ويخرجه في المسند وما رأيته أبقى حديثه قط وقيل له يحتج به؟ قال لم يكن يحتج به في السنن.

قال أبو سعيد بن يونس: قدم ابن إسحاق الإسكندرية سنة خمس عشرة ومئة وروى عن جماعة من أهل مصر منهم عبيد الله بن المغيرة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر والقاسم بن قرمان والسكن بن أبي كريمة روى عنهم أحاديث لم يروها عنهم غيره فيما علمت.

قال ابن سعد: كان ابن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وخرج من المدينة قديمًا فلم يرو عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد وكان مع العباس بن محمد بالجزيرة وأتى أبا جعفر بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب، وسمع منه أهل الري فرواته من هؤلاء البلدان أكثر من روى عنه من أهل المدينة.

قال ابن عدي: ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلة سبق بها ثم من بعده صنفها قوم آخرون لم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتشت أحاديثه كثيرًا فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يُقطع عليه بالضعف وربما أخطأ أولهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقاة والأئمة وهو لا بأس به.

قال الذهبي: روى له مسلم في المتابعات واستشهد به البخاري وأخرج أرباب السند له.

وفاته: توفي ابن إسحاق سنة اثنتين وخمسين ومائة وقيل إحدى وخمسين وقيل ثلاث وخمسين وقيل خمسين والله أعلم.

المراجع: - سير أعلام النبلاء
- تهذيب التهذيب - تقريب التهذيب

شيخ العراق

مسعر بن كدام

إعداد/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث أبو سلمة الرؤاسي الهلالي الكوفي الأحول الحافظ.

شيوخه ومن روى عنهم:

روى عن الحكم بن عتيبة وقتادة بن دعامة وسعد بن إبراهيم وقيس بن مسلم وأبي إسحاق السبيعي وحبيب بن أبي ثابت ومحارب بن دثار ويزيد الفقير ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى والزهري ومحمد بن المنكدر وغيرهم.

تلامذته والرواة عنه:

روى عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وسليمان التيمي وابن نمير ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون وابن المبارك ويحيى بن آدم وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال يحيى بن سعيد ما رأيت أحدًا أثبت من مسعر وقال أحمد بن حنبل الثقة كشعبة ومسعر.

قال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا أبو خلدة فقال أحمد بن حنبل: كان ثقة؟ فقال: كان مؤدبًا وكان خيارًا، الثقة شعبة ومسعر.

قال وكيع شكُّ مسعر كيقين غيره.

وقال سفيان بن عيينة قالوا للأعمش إن مسعرًا يشك في حديثه قال شكه كيقين غيره.

قال هشام بن عروة: ما قدم علينا من العراق أفضل من ذاك السختياني أيوب وذاك الرؤاسي مسعر.

قال شعبة بن الحجاج: كنا نسمي مسعرًا المصحف، يعني من إتقانه، قال أبو معمر القطيعي قيل لسفيان بن عيينة من أفضل من رأيت؟ قال مسعر.

قال يعلى بن عبيد: كان مسعر قد جمع العلم والورع.

قال عبد الله بن داود الحُزيبي ما من أحد إلا وقد أُخذ عليه إلا مسعر قال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت مثل مسعر كان من أثبت الناس.

قال سفيان الثوري كنا إذا اختلفنا في شيء أتينا مسعرًا.

قال أبو نعيم: مسعر أثبت ثم سفيان ثم شعبة وقال أيضا: كان مسعر شكاكًا في حديثه وليس يخطئ في شيء من حديثه إلا مرة حديث واحد.

قال ابن عمار: حجة، من بالكوفة مثله؟

قال العجلي كوفي ثقة ثبت.

وقال أبو حاتم مسعر أتقن من سفيان وأجود حديثًا وأعلى إسنادًا وهو أتقن من حماد بن يزيد وقد سأله ابنه: عن مسعر إذا خالفه الثوري؟

فقال الحكم لمسعر فإنه المصحف.

قال أبو زرعة: ثقة.

قال ابن المبارك:

من كان ملتمسًا جليسًا صالحًا
فليأت حلقة مسعر بن كدام
فيها السكينة والوقار وأهلها
أهل العفاف وعلية الأقوام

قال الذهبي: الإمام الثبت شيخ العراق الحافظ.

قال ابن حجر: ثقة ثبت فاضل.

من أحواله وأقواله:

قال الحسن بن عمارة: إن لم يدخل الجنة إلا مثل مسعر إن أهل الجنة لقليل، قال خالد بن عمرو: رأيت مسعرًا كأن جبهته ركبة عنز من السجود.

قال محمد بن مسعر كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.

قال معن: ما رأيت مسعرًا في يوم إلا وهو أفضل من اليوم الذي كان بالأمس، قال قبيصة: كان مسعر لأن ينزع ضرسه أحب إليه من أن يسأل عن حديث.

قال ابن السَّمَّاك رأيت مسعرًا في النوم فقلت أي العمل وجدته أنفع؟ قال ذكر الله.

قال مسعر لرجل رأى عليه ثيابا جيدة: ليس هذا من آلة طالب الحديث وكان طالب حديث.

قال مسعر من طلب الحديث لنفسه فقد اكتفى ومن طلبه للناس فليبالغ.

أنشد مسعر:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وتَتْعَبُ فيما سوف تكره غِبَّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قال أبو أسامة سمعت مسعرًا يقول إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟

قال الذهبي معلقا على هذا: قلت هذه مسألة مختلف فيها هل طلب العلم أفضل؟ أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟ فأما من كان مخلصًا في طلب العلم وذهنه جيد فالعلم أولى ولكن مع حظ من صلاة وتعبّد فإن رأيته مجدًا في طلب العلم، لاحظ له في القربات فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته، وأما من كان طلبه الحديث والفقه غِيةً، ومحبة نفسانية فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل، وهذا تقسيم في الجملة، فَقَلَّ - واللَّهِ - من رأيته مخلصًا في طلب العلم دَعْنَا من هذا كلّه فليس طلب الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حَيِّز طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية وأخذ عن شيخ لا يعي وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم أو لرضيع يبكي أو لفقيه يتحدث مع حدث أو آخر ينسخ وفاضلهم مشغول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنعاس والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما في الجزء سواء تصحف عليه الاسم أو اختبط المتن أو كان من الموضوعات فالعلم عن هؤلاء بمعزل والعمل لا أكاد أراه بل أرى أمورًا سيئة. نسأل الله العفو.

قال مسعر: الإيمان قول وعمل. قلت: في هذا تبرئة له من تهمة الإرجاء.

قال مسعر: التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة.

أنشد مسعر:

ومشيد دارًا ليسكن داره
سكن القبور وداره لم تسكن

وقال يوصي ولده كدامًا:

إني منحتك يا كدام نصيحتي
فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المُزَاحةَ والمراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاور جارًا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه
وعروقه في الناس أي عروق

قال محمد بن سعد: كان لمسعر أم عابدة فكان يخدمها.

وفاته: توفي مسعر في رجب سنة خمس وخمسين ومائة.

المراجع:

- سير أعلام النبلاء.
- تهذيب التهذيب.
- تقريب التهزيب.

الإمام الحافظ

إسماعيل بن علية العلامة

إعداد/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدي مولاهم مولى عبد الرحمن بن قطبة الأسدي أسد خزيمة وعلية أمه، كان جده مقسم من سبي القيقانية، وكان إبراهيم بن مقسم تاجرًا من الكوفة كان يقدم البصرة للتجارة فتخلف وتزوج عُلية بنت حسار مولاة لبني شيبان وكانت عاقلة لها دار بالعَوقَة (بالبصرة) تعرف بها وكان صالح المُري وغيره من وجوه البصرة وفقهائها يدخلون عليها فتبرز لهم وتحادثهم وتسائلهم، وأقام ابنها إسماعيل بالبصرة.

مولده: ولد سنة مات الحسن البصري سنة عشر ومئة.

شيوخه ومن روى عنهم: روى عن أبي بكر محمد بن المنكدر التيمي، وأيوب السختياني ويونس بن عبيد وحميد الطويل وعطاء بن السائب وابن أبي نجيح، وعبد العزيز بن صهيب وأبي التياح وسعيد الجريري وابن جريج، وحجاج الصواف وخالد الحذاء، وروح بن القاسم، وعاصم بن سليمان الأحول وعوف الأعرابي، وداود بن أبي هند، وسليمان التيمي، وسهيل ابن أبي صالح، وحبيب بن الشهيد وخلق كثير.

تلامذته والرواة عنه: روى عنه ابن جريج وشعبة وهما من شيوخه، وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المديني، وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأبو حفص الفلاس وأبو حنيفة، وعلي بن حُجر ومحمد بن بشار، ونصر بن علي وخليفة بن خياط ومحمد بن المثنى والحسن بن محمد الزعفراني وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: قال شعبة: إسماعيل بن علية سيد المحدثين.

قال أبو داود: ما أحد من المحدثين إلا وقد أخطأ إلا إسماعيل بن علية، وبشر بن المفضل.

قال ابن معين: كان ابن علية ثقة تقيًا ورعًا.

قال غندر: نشأت في الحديث يوم نشأت وليس أحد يقدم في الحديث على ابن علية.

وقال شعبة أيضًا: ابن علية ريحانة الفقهاء.

قال يحيى القطان: ابن علية أثبت من وهيب.

قال ابن مهدي: هو أثبت من هشيم.

قال عفان: كنا عند حماد بن سلمة فأخطأ عن حديث وكان لا يرجع إلى قول أحد، فقيل له: قد خولفت فيه، فقال: من؟ قالوا: حماد بن زيد فلم يلتفت، فقيل: إن إسماعيل بن علية يخالفك فقام ودخل ثم خرج فقال: القول ما قال إسماعيل.

قال أحمد: إليه المنتهي في التثبت بالبصرة.

قال النسائي: ابن علية ثقة ثبت.

قال الهيثم بن خالد: اجتمع حفاظ البصرة فقال أهل الكوفة لهم: نحوا عنا

إسماعيل وهاتوا من شئتم.

قال ابن المديني: ما أقول إن أحدًا أثبت في الحديث من إسماعيل.

قال زياد بن أيوب: ما رأيت لابن علية كتابًا قط وكان يقال: ابن علية يعدّ الحروف.

قال يزيد بن هارون: دخلت البصرة وما بها خلق يفضل على ابن علية في الحديث.

قال ابن سعد: كان ثبتًا حجة ولي صدقات البصرة وولي ببغداد المظالم في آخر خلافة هارون.

قال يعقوب السدوسي: ابن علية ثبت جدًا.

قال الذهبي: كان فقيهًا، إمامًا، مفتيًا من أئمة الحديث وكان يقول: من قال ابن علية فقد اغتابني، قلت: هذا سوء خلق رحمه الله شيء قد غلب عليه فما الحيلة؟ قد دعا النبي ﷺ غير واحد من الصحابة بأسمائهم مضافًا إلى الأم كالزبير ابن صفية، وعمار ابن سمية. اهـ.

قلت: لهذا كان الشافعي يقول: حدثنا إسماعيل الذي يقال له ابن علية، قال ابن حجر: ثقة حافظ.

من أحواله وأقواله: قال عمرو بن زرارة النيسابوري: صحبت ابن علية أربع عشرة سنة فما رأيته تبسم فيها. قال الذهبي: ما في هذا مدح ولكنه مؤذن بخشية وحزن.

قال حماد بن سلمة: ما كنا نشبه شمائل إسماعيل ابن علية إلا بشمائل يونس (يعني ابن عبيد) حتى دخل فيما دخل فيه.

قال الذهبي: يريد ولايته الصدقة، وكان موصوفًا بالدين والورع والتاله منظورًا إليه في الفضل والعلم، وبدت منه هفوة خفيفة لم تغير رتبته إن شاء الله، وقد بعث إليه ابن المبارك بأبيات حسنة يعنفه فيها وهي:

يا جاعل العلم له بازيا
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما
كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى
عن ابن عون وابن سيرين
ودرسك العلم بآثاره
في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل
زل حمار العلم في الطين
لاتبع الدين بالدنيا كما
يفعل ضلال الرهابين

روى الخطيب في التاريخ أن الحديث الذي أخذ على إسماعيل شيء يتعلق بالكلام في القرآن؛ وكان حدث بحديث «تجئ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما» فقيل لابن علية: ألهما لسان؟ قال: نعم، فقالوا: إنه يقول: القرآن مخلوق وإنما غلط. قال الذهبي معلقًا على ذلك: انظر كيف كان الصدر الأول في انكفافهم عن الكلام فإنه لو قال أيضًا: يتكلم بلا لسان لخطؤوه والله تعالى يقول: ««ولا تقف ما ليس لك به علم»» ومن الناس من يقول: ثواب البقرة وآل عمران، وابن علية فقد تاب ولزم السكوت.

قال الإمام أحمد: بلغني أنه أُدخل على الأمين، فلما رآه زحف وجعل يقول: يا ابن الفاعلة تتكلم في القرآن؟ وجعل إسماعيل يقول: جعلني الله فداك زلة من عالم، ثم قال أحمد: إن يغفر الله له - يعني الأمين - فبها، ثم قال أحمد: وإسماعيل ثبت.

قال محمد بن المثنى: بت ليلة عند ابن علية فقرأ ثلث القرآن وما رأيته ضحك قط.

قال الذهبي: وقد انحرف بعض الحفاظ عنه بلا حجة حتى إن منصور بن سلمة الخزاعي تحدث مرة فسبقه لسانه فقال: حدثنا إسماعيل ابن علية ثم قال: لا ولا كرامة بل أردت زهيرًا، وقال: ليس من قارف الذنب كمن لم يقارفه أنا والله استتبته، قلت: يشير بذلك إلى تلك الهفوة الصغيرة وهذا من الجرح المردود وقد اتفق علماء الأمة على الاحتجاج بإسماعيل بن إبراهيم العدل المأمون، وقد قال عبد الصمد بن يزيد مردويه: سمعت إسماعيل بن علية يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قلت: هذا من مسائل العقيدة التي كان يعظم شأنها العلماء من سلفنا الصالح حتى يدونوها في كتبهم ويشنعوا على من خالفها، بخلاف الخلف من أهل زماننا الذين يقولون: لا تثيروا علينا ما كان في الماضي فلهم زمانهم ولنا زماننا ثم لا يعتقدون بهذا المعتقد وقد تقدم مرارًا أنه لابد أن يقول ويعتقد المسلم أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يسكت، فمن سكت كان جهميًا كما قال الإمام أحمد، رحم الله إسماعيل بن علية وسائر أئمة السنة الذين يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

وفاته: توفي إسماعيل سنة ثلاث وتسعين ومئة رحمه الله.

المراجع: تهذيب التهذيب - سير أعلام النبلاء - تقريب التهذيب - ميزان الاعتدال.

الفقيه المقرئ المحدث

أبو بكر بن عياش

إعداد/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه:
هو أبو بكر بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي الحناط المقرئ مولى واصل الأحدب مشهور بكنيته وأشهر ما ذكر في اسمه: شعبة، وقيل: اسمه كنيته وقيل محمد وأحمد، وعنترة وقاسم وحسين وغير ذلك.

مولده: ولد سنة خمس وتسعين، ويقال: سبع وتسعين.

شيوخه ومن روى عنهم: قرأ القرآن وجوده ثلاث مراتٍ على عاصم بن أبي النجود وحدث عن عاصم وأبي إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير والسدي الكبير، وحميد الطويل، والأعمش وهشام بن حسان ومنصور بن المعتمر وعبد العزيز بن رفيع وهشام بن عروة وخلق سواهم.

تلامذته والرواة عنه: تلا عليه جماعة منهم أبو الحسن الكسائي ويحيى العلمي وأبو يوسف الأعشى ويحيى بن آدم، وغيرهم.

وروى عنه ابن المبارك والكسائي ووكيع وأبو داود وأحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الله بن نمير وإسحاق بن راهوية وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب محمد بن العلاء الهمداني والحسن بن عرفة وهناد بن السري، وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه: قال أحمد بن حنبل: ثقة. ربما غلط صاحب قرآن وخير.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش.

قال ابن معين: ثقة. قال أبو حاتم: أبو بكر وشريك في الحفظ سواء غير أن أبا بكر أصح كتابًا.

قال يعقوب بن شيبة: كان أبو بكر معروفًا بالصلاح البارع وكان له فقه وعلم بالأخبار وفي حديثه اضطراب.

قال ابن عدي: لم أر له حديثًا منكرًا من رواية ثقة عنه.

قال الذهبي: فأما حاله في القراءة فقيِّم بحرف عاصم وقد خالفه حفص في أزيد من خمسمائة حرف، حفص أيضًا حجة في القراءة لين في الحديث.

قال ابن حجر: ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح.

من أحواله وأقواله:

قال أبو بكر بن عياش: القرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل وألقاه جبريل إلى محمد ﷺ منه بدأ وإليه يعود.

قال: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله لا نجالسه ولا نكلمه.

قال: والله لو أعلم أن أحدًا يطلب الحديث بمكان كذا وكذا لأتيت منزله حتى أحدثه.

قال عيسى بن يونس: سألت أبا بكر بن عياش عن الحديث، فقال: إن كنت تحب أن تمدن فلست بأهل أن تؤتى، وإن كنت تكره أن تؤتى فبالحري أن تنجو.

قال أبو بكر بن عياش: أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ في نص

القرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قال: فمن سماه الله صادقًا فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ.

وقال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى به عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة وكفى بها بلية.

قال أبو بكر: كان الأعمش يقول لأصحاب الحديث: إذا حدث بثلاثة أحاديث: قد جاءكم السيل، وأنا اليوم مثل الأعمش.

وقال: ما رأيت أحدًا أقرأ من عاصم فقرأت عليه، وما رأيت أحدًا أفقه من المغيرة فلزمته، والمغيرة هو ابن عبد الرحمن المخزومي بقية أهل المدينة.

قال: يا مَلَكَيَّ ادعُوَا الله لي فإنكما أطوع لله مني.

قال لابن عيينة: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة.

سُئل عن القرآن فقال: هو كلام الله غير مخلوق.

قال أحمد بن يونس: قلت لأبي بكر بن عياش: لي جار رافضي قد مرض قال: عُدْهُ كما تعوده اليهودي والنصراني، لا تنوي فيه الأجر.

قال أبو بكر: قال لي الرشيد: كيف استخلف أبو بكر رضي الله عنه؟ قلت: يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون، فقال: والله ما زدتني إلا عميً، قلت: مرض رسول الله ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال، فقال: مروا ابا بكر فليُصَلِّ بالناس، فصلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ، فأعجبه ذلك، وقال: بارك الله فيك.

قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارون الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة فجاء ومعه وكيع فدخل ووكيع يقوده فأدناه الرشيد وقال: قد أدركت أيام بني أمية وأيامنا فأينا خير؟ قال: أنتم أقوم بالصلاة، وأولئك كانوا أنفع للناس، قال: فأجازه الرشيد بستة آلاف دينار صرفه، وأجاز وكيعًا بثلاثة آلاف.

قال يحيى بن سعيد: زاملت أبا بكر بن عياش إلى مكة فما رأيت أورع منه، لقد أُهدى له رجل رطبًا فبلغه أنه من بستان أُخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلهم وتصدق بثمنه.

قال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة جاءه سفيان بن عيينة فبرك بين يديه فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال: لا تسألني عن حديث ما دام هذا الشيخ قاعدًا، فجعل أبو بكر يقول: يا سفيان كيف أنت؟ وكيف عائلة أبيك؟

قال أحمد بن يونس: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم وكان يأخذ بيد أبي بكر فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

قال يزيد بن هارون: كان أبو بكر بن عياش خيرًا فاضلاً لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة.

قلت: هذا يذكر عن كثير من العباد وهو خلاف سنة رسول الله ﷺ الذي يقول: «أما أنا فاصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه من حديث أنس.

قال أبو بكر: تعلمت القرآن من عاصم كما يتعلم الصبي من المعلم فلقي مني شدة فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلمًا.

قال يحيى بن آدم: قال أبو بكر: اختلفت إلى عاصم نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل.

قال الذهبي: وقد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحوًا من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة. قال: وهذه عبادة يخضع لها ولكن متابعة السنة أولى، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. رواه البخاري.

وقال عليه السلام: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». [رواه أبو داود والترمذي وهو صحيح]. اهـ.

قلت: وهذا كما تقدم من القيام.

قال أبو بكر: ولدت سنة سبع وتسعين وأخذت رزق عمر بن عبد العزيز ومكثت خمسة أشهر ما شربت ماءً ما أشرب إلا النبيذ.

قال الذهبي: النبيذ الذي هو نقيع التمر ونقيع الزبيب، ونحو ذلك، والفقاع حلال شربه، وأما نبيذ الكوفيين الذي يسكر كثيره فحرام الإكثار منه عند الحنفية وسائر العلماء، وكذلك يحرم يسيره عند الجمهور ويترخص فيه الكوفيون وفي تحريمه عدة أحاديث.

قال الأحمسي: ما رأيت أحدًا أحسن صلاة من أبي بكر بن عياش.

وفاته: مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، عائش ستًا وتسعين سنة.

المراجع:

تهذيب الكمال - تهذيب التهذيب.
سير أعلام النبلاء - تقريب التهذيب.

محدث العراق الإمام الحافظ

وكيع بن الجراح

إعداد/ مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس أبو سفيان الرؤاسي الكوفي محدث العراق.

مولده: ولد سنة تسع وعشرين ومئة وقيل سنة ثمان وعشرين.

شيوخه: سمع من هشام بن عروة والأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وابن عون وابن جريج ويونس بن أبي إسحاق والأوزاعي وزكريا بن أبي زائدة وفضيل بن غزوان وأبان بن يزيد العطار، وأفلح بن حميد وخالد بن طهمان وعباد بن منصور وعمر بن ذر وابن أبي ليلى ومسعر بن كدام وابن أبي ذئب وسفيان وشعبة وإسرائيل وشريك وخلق كثير.

تلامذته: حدث عنه سفيان الثوري وهو أحد شيوخه، وابن المبارك وهو أكبر منه، ويحيى بن آدم وعبد الرحمن بن مهدي والحميدي ومسدد وابن المديني وأحمد وابن معين وإسحاق وابناء أبي شيبة وأبو خيثمة وأبو كريب وابن نمير، وأبو هشام الرفاعي وأحمد بن عبد الجبار العطاردي وأمم سواهم.

ثناء العلماء عليه: قال القعنبي: كنا عند حماد بن زيد فلما خرج وكيع قالوا: هذا رواية سفيان، قال حماد: إن شئتم قلت: أرجح من سفيان.

قال ابن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه.

قال أحمد: ما رأيت أحدًا أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. قال الذهبي: كان أحمد يعظم وكيعا ويفخمه، وقال أحمد أيضًا: ما رأيت قط مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع.

قال ابن سعد: كان وكيع ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا كثير الحديث حجة.

و قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: أيما أثبت عندك وكيع أو يزيد؟ يعني ابن هارون، فقال: ما منهما بحمد الله إلا ثبت وما رأيت أوعى للعلم من وكيع ولا أشبه من أهل النسك منه ولم يختلط بالسلطان.

وقال أيضًا: وكيع أكبر في القلب وعبد الرحمن إمام. وقد سئل عنهما.

وقال يحيى بن معين: ما رأيت أحدًا أحفظ من وكيع، فقال له رجل: ولا هشيم؟ فقال: وأين يقع حديث هشيم من حديث وكيع؟ قال الرجل: إني سمعت علي بن المديني يقول: ما رأيت أحدًا أحفظ من يزيد بن هارون. فقال: كان يزيد يتحفظ كانت له جارية تحفظه من كتاب.

قال جرير: جاءني ابن المبارك فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عني، ثم قال: رجل المصرين (الكوفة والبصرة) وكيع.

قال العجلي: وكيع كوفي ثقة عابد صالح أديب من حفاظ الحديث وكان مفتيًا.

سئل أبو داود: أيما أحفظ وكيع أو عبد الرحمن بن مهدي؟ قال: وكيع أحفظ وعبد الرحمن أتقن، وقد التقيا بعد العشاء في المسجد الحرام فتواقفا حتى سمعا أذان الصبح.

قال الدوري: قلت ليحيى: حديث الأعمش إذا اختلف وكيع وأبو معاوية؟

قال: يوقف حتى يجئ من يتابع أحدهما ثم قال: كانت الرحلة إلى وكيع في زمانه.

قال مروان الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع وما وُصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة إلا وكيعًا رأيته فوق ما وُصف لي.

قال إسحاق بن راهويه: حفظي وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلي، قام وكيع فاستند وحدث بسبع مئة حديث حفظًا.

قال محمد بن عبد الله بن نمير: كانوا إذا رأوا وكيعًا سكتوا يعني في الحفظ والإجلال.

قال الذهبي: وكان من بحور العلم وائمة الحفظ وقال: أصح إسناد بالعراق وغيرها: أحمد بن حنبل عن وكيع عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ وفي المسند بهذا السند عدة متون.

قال ابن حجر: ثقة حافظ عابد.

من أحواله وأقواله: قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعًا في الحضر والسفر وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. قال الذهبي: هذه عبادة يخضع لها ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة فقد صح نهيه عليه السلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى فرضى الله عن وكيع وأين مثل وكيع؟

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع وكان جهبذا سمعته يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة إلا في صحيفة يومًا، فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها، قال: وحدثتهم بنحو من ألف وخمس مئة، أربعة أحاديث ليست بكثيرة في ذلك.

قال سفيان بن وكيع: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار ثم ينصرف فيقيل، ثم يصلي الظهر ويقصد الطريق إلى الشرعة (موارد الماء) التي يقعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار ثم يدخل منزله فيقدم إليه إفطاره.

قال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتابًا قط إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ فقال: إن علّمتك الدواء استعملته قلت: إي والله، قال: ترك المعاصي ما جربت مثله.

قال أحمد بن سنان: كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ولا يقوم فيه أحد ولا يُبرى فيه قلم ولا يتبسم أحد، وكان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر من أمرهم شيئًا انتعل ودخل، وكان ابن نمير يغضب ويصيح وإن رأى من يبري قلمًا تغير وجهه غضبًا.

قال أبو جعفر الجمال: أتينا وكيعًا فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأ من وجهه فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور.

قال وكيع: من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوّى به رأيه فهو صاحب بدعة.

وقال: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم، يعني صلاة النافلة.

وقال: الجهر بالبسملة بدعة.

وقال: ما نعيش إلا في ستر ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم، الصدق النية.

قال: لا يكمل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا وكيع بحديث في الكرسي (وهو حديث الكرسي موضع القدمين) قال: فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وقال: ادركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها.

قال وكيع: من شك أن القرآن كلام الله غير مخلوق فهو كافر،

قال وكيع: نسلّم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول: كيف كذا؟ ولا لم كذا؟ يعني مثل حديث (يحمل السموات على أصبع).

وفاته: قال أحمد بن حنبل: حج وكيع سنة ست وتسعين ومات بفيد. رحمه الله.

المراجع: - تهذيب التهذيب. - تقريب التهذيب. - سير أعلام النبلاء.

الإمام القدوة شيخ الإسلام

يزيد بن هارون

إعداد / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو الإمام شيخ الإسلام أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذان السُلمي مولاهم الواسطي الحافظ.

مولده: ولد في سنة ثماني عشرة ومائة.

شيوخه: سمع من عاصم الأحول ويحيى بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي وحميد الطويل وبهز بن حكيم وحريز بن عثمان وشعبة بن الحجاج وسعيد بن أبي عروبة وشيبان النحوي وفضيل بن مرزوق وشريك بن عبد الله النخعي وإسماعيل بن عياش وخلق كثير.

تلامذته والرواة عنه:

روى عنه علي بن المديني وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب والحسن بن عزوز والحسن بن علي الخلال وأبو إسحاق الجوزجاني وعباس الدوري وعبد بن حميد والدارمي ويعقوب الدورقي وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال علي بن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد إلا هارون.

وقال يحيى بن يحيى التميمي: هو أحفظ من وكيع.

وقال أحمد بن حنبل: كان يزيد حافظًا متقنًا.

قال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقيل له: يزيد بن هارون له فقه؟

قال: نعم ما كان أذكاه وأفهمه وأفطنه.

قال أبو حاتم الرازي: يزيد ثقة إمام لا يسأل عن مثله.

وروى عمرو بن عون، عن هشيم، قال: ما بالمصرين مثل يزيد بن هارون.

قال أحمد بن عبد الله العجلي: يزيد بن هارون ثقة ثبت متعبد حسن الصلاة جدًا يصلي الضحى ست عشرة ركعة بها من الجودة غير قليل.

قال: وكان قد عمي.

قال أحمد بن سنان: كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل والنهار.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: ما رأيت أحدًا أتقن حفظًا من يزيد بن هارون.

وقد كان يزيد رأسًا في السنة

معاديًا للجهمية منكرًا تأويلهم في مسألة الاستواء.

قال محمد بن رافع: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كان بالعراق أربعة من الحفاظ: شيخان: يزيد بن زريع، وهشيم، وكهلان: وكيع ويزيد بن هارون ويزيد أفقهما.

روى أبو طالب عن أحمد قال: كان يزيد حافظًا متقنًا للحديث صحيح الحديث عن حجاج بن أرطأة.

وقال ابن معين: ثقة.

قال زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد كتابًا قط، ولا حديثًا إلا حفظًا.

وقال أحمد بن سنان: ما رأيت عالمًا أحسن صلاةً من يزيد بن هارون.

يقوم كأنه أسطوانة. قال الزعفراني: ما رأيت خيرًا من يزيد.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث ولد سنة ثمان عشرة ومائة.

قال الذهبي: كان رأسًا في العلم والعمل ثقة حجة كبير الشأن.

قال ابن حجر: ثقة متقن عابد.

من أحواله وأقواله:

قال علي بن شعيب: سمعت يزيد بن هارون يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر وأحفظ للشاميين عشرين ألف حديث لا أسأل عنها.

قال أحمد بن سنان القطان: ما رأيت عالمًا قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار.

قال مؤمل بن إهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: ما دلست حديثًا قط إلا حديثًا واحدًا عن عوف الأعرابي فما بورك لي فيه.

قال يحيى بن أبي طالب: سمعت من يزيد ببغداد وكان يقال إن في مجلسه سبعين ألفًا.

قال شاذ بن يحيى إنه سمع يزيد بن هارون يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو زنديق.

قال محمد بن عبد الرحيم صاعقة: كان يزيد يخضب خضابًا قانيًا.

أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه قال: كان يعاب على يزيد حيث ذهب بصره ربما سئل عن حديث لا يعرفه فيأمر جارية له تحفظه إياه من كتابه.

قال الذهبي: ما بهذا الفعل بأس من أمانة من يلقنه ويزيد حجة.

قال أحمد بن خالد يقول: سمعت يزيد بن هارون يقول: سمعت حديث الصور مرة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفًا فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

قال الحسن بن عرفة ليزيد: ما فعلت تلك العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بها بكاء الأسحار.

قال ابن المقرئ: سمعت ابن قتيبة سمعت مؤمل بن يهاب سمعت يزيد بن هارون يقول: اللهم لا تجعلنا من الثقلاء.

وقال: سمعت أحمد بن عمرو بن جابر الرملي سمعت الحارث بن أبي أسامة يقول كان يزيد بن هارون إذا جاءه من فاته المجلس قال يا غلام ناوله المنديل (يعني: حتى يبكي على ما فاته من العلم).

وقال الطبراني: حدثنا المعمري سمعت خلف بن سالم يقول: كنا في مجلس يزيد بن هارون فمزح مع مستمليه فتنحنح أحمد بن حنبل فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل فضرب يزيد على جبينه وقال: ألا أعلتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح.

وفاته:

توفي يزيد بن هارون في خلافة المأمون وهو ابن تسع أو ثمان وثمانين وأشهر- يعني سنة ست ومائتين رحمه الله.

المراجع: سير أعلام النبلاء. تهذيب التهذيب- تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام المالكية

سُحنون أبو سعيد

فقيه المغرب

إعداد

مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة بن عبد الله التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي قاضي القيروان وصاحب المدونة يلقب (بسحنون)، وسُحنون بضم السين وفتحها اسم طائر بالمغرب يوصف بالفطنة والتحرّز.

مولده: ولد سنة مائة وستين تقريبًا.

شيوخه: سمع من سفيان بن عيينة والوليد بن مسلم وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن القاسم وأشهب ويزيد بن هارون وأبي داود والطيالسي وغيرهم.

تلاميذه: أخذ عنه ولده محمد فقيه القيروان وأصبغ بن خليل القرطبي وبقي بن مخلد ومحمد بن عبدالله بن عبدوس المغربي ووهب بن نافع قاضي قرطبة وعدد كثير من الفقهاء وقيل إنّ الرواه عن سحنون بلغوا تسعمائة.

ثناء العلماء عليه: قال أشهب: ما قدم علينا أحد مثل سحنون وقال: سحنون أفقه من أسد (يعنى بن الفرات) بتسع وتسعين مرة.

قال يونس بن عبد الأعلى: سحنون سيد أهل المغرب.

قال ابن عجلان الأندلسي: ما بورك لأحد بعد النبي ﷺ من أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه فإنهم كانوا في كل بلد أئمة.

قال الحافظ أحمد بن خالد: كان محمد بن وضاح لا يفضل أحدًا من لقى على سحنون في الفقيه وبدقيق المسائل.

قال عيسى بن مسكين: سحنون راهب هذه الأمة ولم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه من سحنون.

قال الذهبي: لازم ابن وهب وابن القاسم وأشهب حتى صار من نظرائهم وساد أهل المغرب فى تحرير المذهب (مذهب مالك) وانتهت إليه رئاسة العلم وعلى قوله المعول بتلك الناحية، وكان موصوفًا بالعقل والديانة الامة والورع مشهورًا بالجود والبذل وافر الحرمة عديم النظير.

من أحوال وأقواله: قال سحنون: من لم يعمل بعلمه لم ينفعه علمه بل يضره. قال: إذا أتى الرجل مجلس القضاء ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته.

سُئِل: أيسع العالم أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أما ما فيه كتاب أو سنة ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي فإنه يسعه ذلك لأنه لا يدري أمصيب هو أم مخطئ.

قال: أكل بالمسكنة ولا أكل بالعلم، محب الدنيا أعمى لم ينوره العلم، ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء، والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفس فوجدت عليها الدرك، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاه به من الغلظة، والله ما أخذت ولا لبست لهم ثوبًا.

قال: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير فيحسبها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة وكان إذا أعجبه الصمت تكلم.

قال: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علمًا.

قال: أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقاويل من ثمانية أئمة، فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب؟ يعني حتى ينظر في أرجحها بالدليل.

قال: ما وجدت من باع آخرته بدنيا غيره إلا المفتي.

دخل سحنون على ابن القصار وهو مريض فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله، قال له سحنون: ألست مصدقًا بالرسل وبالبعث والحساب والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يَرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال: إي والله فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت، قلت: جمع الإمام فى هذا الكلام القليل عقائد أهل السنة والجماعة فيما تخالف فيه إحدى الطوائف المبتدعة من الدهرية

والرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا.

قال سحنون لأصحابه: كبرنا وساءت أخلاقنا ويعلم الله ما أصبح عليكم إلا لأؤوبكم. قلت: صدق من قال: نقسها لينزجروا ومن يك ذا حزم فليقسو أحيانا على من يرحم.

قال: حججت زميل ابن وهب، قلت: فهذه منزلة عظيمة ابن وهب الإمام.

قال: إني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كام القرآن.

قال: إني لأخرج من الدنيا ولا يسألني أحد عن مسألة قلت فيها برأيي وما أكثر ما لا أعرف.

قال: سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال، قلت: لأن ذلك يؤدى إلا الإعجاب بالنفس الذي يخرج بصاحبه عن الإخلاص.

قيل إن طالبًا قال: رأيت في النوم كأن سحنونًا يبني الكعبة، قال: فغدوت إليه فوجدته يقرأ للناس مناسك الحج الذي جمعه.

قال عبد الجبار بن خالد: كنا نسمع من سحنون بقريته فصلى الصبح وخرج وعلى كتفه محراث وبين يديه زوج بقر فقال لنا: حُمّ الغلام البارحة فأنا أحرث عنه اليوم وأجيئكم، فقلت: أنا أحرث عنك، فقرّب إليّ غداءه خبز شعير وزيتًا.

قيل إن الأمير زيادة الله، بعث يسأل سحنونًا عن مسألة فلم يجبه، فقال له محمد بن عبدوس: اخرج من بلد القوم، أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيهم واليوم لا تجبهم؟ قال: أفأجيب من يريد أن يتفكه يريد أن يأخذ قولي وقول غيري، ولو كان شيئًا يقصد به الدين لأجبته.

قال أبو داود العطار: باع سحنون زيوتًا له بثمان مئة فدفعها إليّ ففرقتها عنه صدقة.

كان سحنون إذا قرئ عليه «مغازى» ابن وهب تسيل دموعه، وإذا قرئ عليه «الزهد» لابن وهب يبكي.

قيل: كان يحضر مجلس سحنون من العُبّاد أكثر من الطلبة، كانوا يأتون إليه من أقطار الأرض ولما ولي القضاء بأخرة عوتب فقال: ما زلت في القضاء منذ أربعين سنة هل الفتيا إلا الضعفاء.

وفي تاريخ القيروان لأبي بكر بن محمد المالكي: قال أبو العرب: اجتمعت في سحنون خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، كان ربما وصل إخوانه بالثلاثين دينارًا وكان لا يقبل من أحدٍ شيئًا، ولم يكن يهاب سلطانًا في حقٍ، شديدًا على أهل البدع انتشرت إمامته وأجمعوا على فضله، قدم به أبوه مع جند الحمصيين وهو من تنوخ صليبة.

قال: كنت عند ابن القاسم وأجوبة مالك ترد عليه فقال لي: ما يمنعك من السماع منه؟ قال: قلت قلة الدراهم، وقال مرة: ألجأ إليه الفقر فلولاه لأدركت مالكًا.

«والمدونة» في فقه الإمام مالك التي اشتهر بها سحنون قال الذهبي: أصلها أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم، فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم فأصلح فيها كثيرًا وأسقط ثم رتبها سحنون وبوبها واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته مع أن فيها أشياءً لا ينهض دليلها، بل رأى محض ، وحكوا أن سحنون في أواخر الأمر علّم عليها وهمّ بإسقاطها وتهذيب «المدونة، فأدركته المنية رحمه الله فكبراء المالكية، يعرفون تلك المسائل ويقررون منها ما قدروا عليه ويوهنون ما ضُعف دليله، فهي لها أسوة بغيرها من دواوين الفقه، وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب ذاك القبر ﷺ تسليمًا فالعلم بحر لا ساحل وهو مفرّق في الأمة موجود لمن التمسه. اهـ.

وفاته: توفى رحمه الله سنة أربعين ومائتين وله ثمانون سنة.

فوائد ملتقطة من الترجمة:

١ ـ الحذر من العلم الذي لا يتبعه عمل فأهل العلم هم العباد.

٢ ـ التحذير من كتمان العلم وهو ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة.

٣ ـ القول بالحق سمة أهل العلم ولا يخشون في الله لومة لائم.

٤ ـ من كان على عقيدة السلف الصالح الصافية النقية فليمت متى شاء فلا خوف عليه.

٥ ـ أهل العلم السابقون كان يحفظون كتبهم كما نحفظ القرآن.

٦ ـ الفقر كان سمة الفقهاء وهم أزهد الناس في الدنيا وقد قيل للفقير أين أنت مقيم قال في عمائم الفقهاء.

إن بيني وبينهم لإخاءً
وعزيز على قطع الإخاء

٧ـ الإخلاص في الأقوال والأفعال شرط في صحتها وهكذا كان السلف لا يتكلمون ولا يسكتون إلا لمخالفة حظ النفس فإن رأى لنفسه حظًا في الكلام سكت وإن رأى حظًا لها في السكوت تكلم.

والله تعالى أعلم

الأعلام بسير الأعلام

أمير المؤمنين في الحديث
الإمام البخاري

إعداد / مجدي عرفات

اسمه: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (كلمة فارسية معناها: الزراع) الجعفي مولاهم، البخاري، أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسيًا.

طلب إسماعيل والده العلم فقال عنه ابنه: سمع أبي مالكًا ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه.

مولده: ولد البخاري سنة (١٩٤) في شوال ومات والده وهو صغير فنشأ في حجر أمه وكانت عابدة صاحبة كرامات روى اللالكائي في كرامات الأولياء في شرح السنة أن محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم في المنام فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

كان البخاري خفيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير.

ثناء العلماء عليه: قال نعيم بن حماد: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة.

وقال قتيبة: لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية.

وقال بندار لما دخل البخاري البصرة: اليوم دخل سيد الفقهاء.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجَت خراسان مُثلَ محمد بن إسماعيل.

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل.

وقال مسلم بن الحجاج وقد جاء إلى البخاري: دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله.

وقال موسى بن هارون: لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن يُنَصِّبوا آخر مثل البخاري ما قدروا عليه.

ذكر الذهبي عن أبي الخطاب بن دحية: أن الرملي الكذابة قال: البخاري مجهول لم يرو عنه إلا الفربري، قال أبو الخطاب: والله كذب في هذا وفجر والتقم الحجر، بل البخاري مشهور بالعلم وحمله، مجمع على حفظه ونبله، جاب البلاد وطلب الرواية والإسناد، وروى عنه جماعة من العلماء. اهـ.

وقال ابن حجر: جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث.

من أحواله وأقواله:

ورعه وفضله وعبادته:

قال البخاري رحمه الله: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا. قال الذهبي: صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام على الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول فلان كذاب أو كان يضع الحديث، حتى أنه قال: إذا قلتُ فلان في حديثه نظر فهو متهم واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدًا وهذا هو والله غاية الورع.

قال وراقه: كان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت: أراك تحمل على نفسك ولم توقظني، قال: أنت شاب ولا

أحب أن أفسد عليك نومك.

وقال بكر بن منير: وكان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى الصلاة، قال: انظروا إيش آذاني، وفي رواية قال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

تصانيفه:

١ - «التاريخ الكبير»: قال البخاري: قَلَّ اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب، وأخذ إسحاق بن راهويه كتاب التاريخ فادخله على عبد الله بن طاهر فقال: أيها الأمير ألا أريك سحرًا؟ قال: فنظر فيه عبد الله فتعجب منه وقال: لست أفهم تصنيفه.

٢- الجامع الصحيح المسند لحديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: وهو الشهير باسم صحيح البخاري.

قال البخاري رحمه الله: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لسنة النبي ﷺ فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب، وقال: أخرجت هذا الكتاب من زهاء ست مائة ألف حديث: ما وضعت في كتاب «الصحيح» حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وقال: ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب، وقال: صنفت الصحيح في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى.

وصحيحه أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

قال الفربري: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقي أحد يرويه غيري، وله من المصنفات الكثير غيرهما.

حفظه وسعة علمه وكثرة شيوخه:

قال البخاري رحمه الله: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر لقيتهم كرات فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء؛ أن الدين قول وعمل، وأن القرآن كلام الله. قال: أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

طلبه للعلم: قال وراقه محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب، فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنوات أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له إرجع إلى الأصل، فرجع فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ فقلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأحكم الكتاب، وقال: صدقت، فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة فلما طعنت في ست عشرة سنة كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث، وقال أيضًا: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم فقال لي مؤدب من أهلها كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين وأردت بذلك حديثين فضحك من حضر المجلس فقال شيخ منهم: لاتضحكوا فلعله يضحك منك يومًا، وقال أيضًا: دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة وبينه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا فعرضا عليَّ فقضيت للحميدي على من يخالفه، ولو أن مخالفه أصر على خلافه ثم مات على دعواه لمات كافرًا.

وفاته: قال عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي: جاء محمد بن إسماعيل إلى خرتنك وكان له بها أقرباء فنزل عندهم فسمعته ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك فما تم الشهر حتى مات، وكانت وفاته ليلة السبت، ليلة الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين رحمه الله.

فوائد من الترجمة:

١- العلماء هم العباد حقًا؛ فالعلم الخشية.

٢- وجوب الجرح للمجروح لكن مع الورع في الألفاظ والعبادات.

٣- معرفة مكانة صحيح البخاري عند الأمة التي أجمعت على صحته إلا القليل المختلف فيه.

٤- حفظ الحديث الضعيف مهم مثل الصحيح حتى لا يخلطه الضعفاء وأصحاب الأهواء بالصحيح.

٥- الدين وهو الإسلام وهو الإيمان وكلها عند البخاري بمعنى قول وعمل يزيد وينقص.

٦- القرآن كلام الله وهو من صفاته سبحانه غير مخلوق، والله أعلم.

المراجع:

-سير أعلام النبلاء.- هدي الساري مقدمة فتح الباري.- مقدمة إرشاد الساري- تهذيب الكمال- تقريب التهذيب.

الإمام شيخ الإسلام

اسمه ونسبه: هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي القرطبي الحافظ صاحب التفسير والمسند اللذين لا نظير لهما.

مولده: ولد في حدود سنة مئتين أو قبلها بقليل.

شيوخه: سمع من يحيى بن يحيى الليثي، ويحيى بن بكير ومحمد بن عيسى الأعشي وأبي مصعب الزهري وإبراهيم بن المنذر الحزامي وهشام بن عمار ومحمد بن عبد الله بن نمير وأحمد بن حنبل مسائل وفوائد وأبي بكر بن أبي شيبة كثيرا وشيبان بن فروخ وهدبة بن خالد وحرملة بن يحيى وعيسى بن حماد وسحنون بن سعيد الفقيه وعثمان بن أبي شيبة وأبي كريب وبندار والفلاس وخلق كثيرين.

تلامذته: حدث عنه ابنه أحمد، وأيوب بن سليمان المرى، وأسلم بن عبد العزيز، ومحمد بن وزير، والحسن بن سعد الكناني، وعبد الله بن يونس المرادي، وعبد الواحد بن حمدون، وهشام بن الوليد الغافقي، وآخرون.

ثناء العلماء عليه:

قال الذهبي: وكان إمامًا مجتهدًا صالحًا، ربانيًا صادقًا مخلصًا، رأسًا في العلم والعمل، عديم المثل، منقطع القرين، يفتي بالأثر، ولا يقلد أحدا.

قال طاهر بن عبد العزيز الأندلسي: حملت معي جزءًا من مسند بقي بن مخلد إلى المشرق، فاريته محمد بن إسماعيل الصائغ، فقال: ما اعترف هذا إلا من بحر، وعجب من كثرة علمه.

وقال إبراهيم بن حيون، عن بقي بن مخلد، قال: لما رجعت من العراق، اجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه، وسمع مني سبعة أحاديث.

قال الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري: أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسير بقي، لا تفسير محمد بن جرير، ولا غيره.

قال ابو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي: «كان فاضلا تقيا، صواما قواما متبتلا، منقطع القرين في عصره، منفردا عن النظير في مصره، كان أول طلبه عند محمد بن عيسى الأعشى، ثم رحل، فحمل عن أهل الحرمين، ومصر، والشام، والجزيرة، وحلوان، والبصرة، والكوفة، وواسط وبغداد، وخراسان. قال الذهبي: كذا قال، فغلط لم يصل إلى خراسان، بل ولا إلى همذان، وما أدري هل دخل الجزيرة أم لا؟ ويظهر لك من تأمل شيوخه - ثم قال: وعدن والقيروان - قلت: وما دخل الرجل إلى اليمن قال ابن كثير الحافظ الكبير له المسند المبوب على الفقه ثم قال وكان رجلا صالحا عابدا زاهدا مجاب الدعوة.

من أحواله وأقواله:

قال أسلم بن عبد العزيز حدثنا بقي بن مخلد قال لما وضعت (مسندي) جاءني عبيد الله بن يحيى بن يحيى وأخوه إسحاق فقالا: بلغنا أنك وضعت (مسندا) قدمت فيه أبا مصعب الزهري ويحيى بن بكير وأخرت إبانا: فقال: أما تقديمي أبا مصعب فلقول رسول الله ﷺ «قدموا قريشا ولا تقدموها» وأما تقديمي ابن بكير فلقول رسول الله ﷺ «كبر كبر» يريد السن - ومع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة وأبوكما لم يسمعه إلا مرة واحدة قلت وله فيه فوت معروف. قال: فخرجا ولم يعودا، قال: وذكر عبد الرحمن بن أحمد، عن أبيه أن امرأة جاءت إلى بقي فقالت إن ابنتي في الأسر ولا حيلة لي فلو أشرت إلى من

... بن مخلد

إعداد/ مجدي عرفات

يفديه فإنني والهة قال: نعم انصرفي حتى أنظر في أمره ثم اطرق وحرك شفتيه ثم بعد مدة جاءت المرأة بابنها فقال: كنت في يد ملك فبينا أنا في العمل سقط قيدي قال فذكر اليوم والساعة فوافق وقت دعاء الشيخ قال فصاح على المرسم بنا ثم نظر وتحير ثم أحضر الحداد وقيدني فلما فرغه ومشيت سقط القيد فبهتوا ودعوا رهبانهم فقالوا ألك والدة؟ قلت: نعم. قالوا: وافق دعاؤها الإجابة.

قال الذهبي: هذه الواقعة حدث بها الحافظ حمزة السهمي، عن أبي الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك قال سمعت عبد الرحمن بن أحمد حدثنا أبي..... فذكرها وفيها ثم قالوا: قد أطلقك الله فلا يمكننا أن نقيدك فزودوني وبعثوا بي.

قال ابن حزم: و(مسند) بقي روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم الذي قد أربى فيه على مصنف بن أبي شيبة وعلى مصنف عبد الرازق وعلى مصنف سعيد بن منصور ..... ثم إنه نوه بذكر تفسيره وقال: فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدًا وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي.

وقال أبو عبد الملك المذكور في تاريخه كان بقي طوالا اقنى ذا لحية مضببرا (مكتنز اللحم) قويا جلدا على المشي لم ير راكبا دابة قط وكان ملازما لحضور الجنائز متواضعًا، وكان يقول إني لأعرف رجلا كان تمضي عليه الأيام في وقت طلبه العلم ليس له عيش إلا ورق الكرنب الذي يرمى وسمعت من كل من سمعت منه في البلدان ماشيا إليهم على قدمي.

قال ابن لبابة الحافظ: كان بقي من عقلاء الناس وأفضلهم، وكان أسلم بن عبد العزيز يقدمه على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زهده، ويقول ربما كنت أمشي معه في أزقة قرطبة فإذا نظر في موضع خال إلى ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه.

وذكر أبو عبيدة، قال: كان بقي يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مئة ركعة، ويصوم الدهر وكان كثير الجهاد فاضلا، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غزوة.

وقال الذهبي: ومن مناقبه أنه كان من كبار المجاهدين في سبيل الله، يقال شهد سبعين غزوه.

وفاته: توفي لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومئتين رحمه الله.

المراجع:

- سير أعلام النبلاء. - طبقات الحفاظ. - البداية والنهاية.

دروس مستفادة من الترجمة:

١ - لا ينال العلم براحة الجسم ولكن بالرحلة والطلب والسعي.

٢ - أهل الرأي أعداء السنن فاحذروهم.

٣ - العلماء هم أولياء الله تجاب دعوتهم.

الإعلام بسير الأعلام

الإمام الكبير والحافظ المجود
صاحب الصحيح
مسلم بن حجاج

إعداد

مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري نسبًا النيسابوري بلدًا.

مولده: ولد سنة أربع ومئتين.

صفته: كان تام القامة حسن الوجه والثياب أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه.

شيوخه: كثيرون يزيدون عن المئتين وقد جمعتهم في مصنف وسميته (إسعاف المحتاج) نذكر من هؤلاء الإمام أحمد ابن حنبل، أحمد بن يونس، إسحاق بن راهويه، إسحاق بن منصور، حرملة بن يحيى، الحسن الخلال، خلف بن هشام، زهير بن حرب، سعيد بن منصور، والإمام الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن، عبد الملك بن شعيب بن الليث، علي بن حجر السعدي، محمد بن بشار بندار، محمد بن رمح، محمد بن عبد الله بن نمير، أبو كريب، محمد بن المثنى العنزي، محمود ابن غيلان، يحيى بن معين، يحيى بن يحيى، يونس بن عبد الأعلى، وأبو الربيع الزهراني، أبو زرعة، أبو كامل الجحدري وغيرهم رحمهم الله، ولم يرو في الصحيح عن ابن المديني والذهلي وعلي بن الجعد.

الرواة عنه: روى عنه صالح بن محمد جزرة، الترمذي في الجامع، إبراهيم بن أبي طالب رفيقه، إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه راوي (الصحيح)، عبد الرحمن بن أبي حاتم، أبو بكر بن خزيمة يحيى بن محمد بن صاعد، الحافظ أبو عوانة وغيرهم.

ثناء العلماء عليه: قال إسحاق بن راهويه له: لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين.

قال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلمًا في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.

قال ابن أبي حاتم كان مسلم ثقة من الحفاظ كتبت عنه بالري.

قال محمد بن بشار حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند ومحمد بن إسماعيل ببخارى.

قال محمد بن عبد الوهاب الفراء: مسلم بن الحجاج من علماء الناس ومن أوعية العلم.

قال الحافظ بن عقدة وقد سئل عن البخاري ومسلم: كان محمد عالمًا ومسلم عالمًا.

أما صحيحه ففي الرتبة الثانية من الصحة بعد صحيح البخاري قال عنه: صنفت هذا (المسند الصحيح) من ثلاث مئة ألف حديث مسموع.

قال أحمد بن سلمة: كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة، قال: وهو اثنا عشر ألف حديث.

قال الذهبي يعني بالمكرر بحيث إذا قال حدثنا قتيبة وأخبرنا ابن رمح يعدان حديثين اتفقا في لفظيهما أو اختلفا في كلمة.

وقال النووي أيضًا: وأجمعوا على جلالته وإمامته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبيهه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد ولو في حرف واعتنائه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع المدلسين وغير ذلك مما هو معروف في كتابه، ثم قال: وعلى الجملة فلا نظير لكتابه في هذه الدقائق وصنعة الإسناد وهذا عندنا من المحققات التي لا شك فيها للدلائل المتظاهرة عليها ومع هذا فصحيح البخاري أصح وأكثر فوائد، هذا هو مذهب جمهور العلماء وهو الصحيح المختار لكن كتاب مسلم في دقائق الأسانيد ونحوها أجود كما ذكرنا وينبغي لكل راغب في علم الحديث أن يعتني به ويتفطن في تلك الدقائق فيرى فيها العجائب من المحاسن وإن ضعف عن الاستقلال باستخراجها استعان بالشرح المذكور (يعني شرحه).

ثم قال: واعلم أن مسلمًا رحمه الله أحد أعلام أئمة هذا الشأن وكبار المبرزين فيه وأهل الحفظ والاتقان والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان والمرجوع إلى كتابه والمعتمد عليه في كل الأزمان، ثم قال: وصنف مسلم في علم الحديث كتبًا كثيرة منها هذا الكتاب الصحيح الذي منّ الله الكريم وله الحمد والنعمة والفضل والمنة به على المسلمين أبقى لمسلم به ذكرًا جميلا وثناءً حسنا إلى يوم الدين مع ما أعد له من الأجر الجزيل في دار القرار وعم نفعه المسلمين قاطبة. أهـ

قال الخطيب: كان أحد الأئمة من حفاظ الحديث.

قال ابن منده: سمعت أبا علي النيسابوري الحافظ يقول: ما تحت أديم السماء كتابا أصح من كتاب مسلم، قلت: وهذا خلاف ما عليه أهل الحديث، قال النووي رحمه الله: اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز: (الصحيحان) البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلمًا كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث. قلت: ولترجيح صحيح البخاري على مسلم وجوه لها ذكر في كتب مصطلح الحديث:

قال النووي: ذكر مسلم رحمه الله في أول مقدمة صحيحة أنه يقسم الأحاديث إلى ثلاثة أقسام الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون، والثاني: ما رواه المستورون المتوسطون في الحفظ والاتقان، والثالث: ما رواه الضعفاء والمتروكون وأنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثاني أما الثالث فلا يعرج عليه فاختلف العلماء في مراده بهذا التقسيم ثم اختار ما قاله القاضي عياض: فعندي أنه أتى بطبقاته الثلاث في كتابه وطرح الطبقة الرابعة أهـ قال الذهبي: بل خرج حديث الطبقة الأولى وحديث الطبقة الثانية إلا النزر القليل مما يستنكره لأهل الطبقة الثانية، ثم خرج لأهل الطبقة الثالثة أحاديث ليست بالكثيرة في الشواهد والاعتبارات والمتابعات وقل إن خرج لهم في الأصول شيئًا، ولو استوعبت أحاديث أهل هذه الطبقة في (الصحيح) لجاء الكتاب في حجم ما هو مرة أخرى، ولنزل كتابه بذلك عن الاستيعاب عن رتبة الصحة وهم كعطاء بن السائب وليث، ويزيد بن

أبي زياد، وأبان بن صَمْعَةَ ومحمد بن إسحاق ومحمد بن عمرو بن علقمة، وطائفة أمثالهم فلم يخرج لهم إلا الحديث بعد الحديث إذا كان له أصل، وإنما يسوق أحاديث هؤلاء ويكثر منها أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي وغيرهم، فإذا انحطوا إلى إخراج أحاديث الضعفاء الذين هم أهل الطبقة الرابعة اختاروا منها ولم يستوعبوها على حسب آرائهم واجتهاداتهم في ذلك. أهـ

قلت: ولم يترجم مسلم لأبواب كتابه إنما ترجم للكتب واعتنى في ترتيب أحاديث كل كتاب بالتناسب بينها وترتيبها دون ترجمة فوضع الإمام النووي لكل جملة من هذه الأحاديث ترجمة تناسبها ولذلك ربما طالت تراجمه بحسب ما في الأحاديث من فوائد، بخلاف البخاري الذي ترجم للكتب ولأبواب كل كتاب ووضع فيها فقهه والله أعلم.

قال ابن حجر: ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه.

قال الذهبي: وهو كتاب نفيس كامل في معناه فلما رآه الحفاظ أعجبوا به ولم يسمعوه لنزوله (أي لطول أسانيده) فعمدوا إلى أحاديث الكتاب فساقوها من مروياتهم عالية بدرجة وبدرجتين ونحو ذلك حتى أتوا على الجميع هكذا وسموه «المستخرج على صحيح مسلم».

قال مسلم: لو أن أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة فمدارهم على هذا «السند» يعني السند الكبير. وقال:

ما وضعت في هذا «المسند» شيئًا إلا بحجة ولا أسقط شيئا منه إلا بحجة.

من أحواله وأقواله:

وكان مسلم من أهل الجرح والتعديل، قال مكي بن عبدان: سألت مسلمًا عن علي بن الجعد فقال: ثقة ولكنه كان جهميًا، وسألته عن محمد بن يزيد فقال: لا يكتب عنه: وسألته عن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن بشر فوثقهما، وسألته عن قطن بن إبراهيم فقال: لا يكتب حديثه.

وعيب عليه حديث أحمد بن عبد الرحمن الوهبي فقال: إنما نقموا عليه بعد خروجه من مصر، أي أنه سمع منه قبل التغير، قال مسلم: إذا قال ابن جريج حدثنا وأخبرنا وسمعت فليس في الدنيا شيء أثبت من هذا.

قال الحاكم: كان متجر مسلم خان محمش ومعاشه من ضياعه بأستوا (من نواحي نيسابور، رأيت من أعقابه من جهة البنات في داره.

قال الحاكم عن طاهر بن محمد عن مكي بن عبدان: كان مسلم بن الحجاج يظهر القول باللفظ (أي لفظي بالقرآن مخلوق، ويعني حركة اللسان والهواء الخارج ونغمة الصوت) ولا يكتمه ولما استوطن البخاري أكثر مسلم الاختلاف إليه حتى هُجر، وسافر من نيسابور قال: فقطعه أكثر الناس غير مسلم فبلغ محمد بن يحيى فقال يومًا، إلا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته فقام على رؤوس الناس ثم بعث إليه بما كتب عنه على ظهر جمال، وقال: وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه.

قال الخطيب: كان مسلم يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى بسببه.

وفاته: توفى مسلم في شهر رجب سنة إحدى وستين ومئتين بنيسابور عن بضع وخمسين سنة.

فوائد ملتقطه من الترجمة:

١ ـ الرحلة في طلب العلم سنة عن سلفنا ولذلك استكثر مسلم بسببها من الشيوخ.

٢ ـ الصبر في طلب العلم ونشره يورث الرفعة في الدنيا والآخرة.

٣ ـ صحيح مسلم من أصول دواوين الإسلام التي يجب الرجوع إليها.

٤ ـ الجرح والتعديل من علوم الشرع الهامة ولا يتعاطاها إلا العلماء وليس كل أحد.

٥ ـ الوفاء سمة العلماء فهذا مسلم هجر الجميع وفاءًا لشيخه الإمام البخاري.

المراجع:

- تاريخ بغداد.
- تهذيب الكمال.
- سير أعلام النبلاء.
- تقريب التهذيب.

الإعلام بسير الأعلام

الحافظ الكبير شيخ الإسلام

أبو نعيم

الفضل بن دكين

إعداد

مجدي عرفات

اسمه ونسبه: أبو نعيم الفضل بن دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي الطلحي القرشي مولاهم الكوفي الملائي الأحول مولى آل طلحة بن عبيد الله.

كان شريكًا لعبد السلام بن حرب الملائي بالكوفة يبيعان المُلاء وغير ذلك، وكذلك كان غالب علماء السلف، إنما ينفقون من كسبهم.

مولده: روى الخطيب عن أحمد بن ملاعب: سمعت أبا نعيم يقول: ولدت في آخر سنة ثلاثين ومائة.

شيوخه: سمع من سليمان الأعمش وزكريا بن أبي زائدة، وعمر بن ذر وعبد الواحد بن أيمن، ومالك بن مغول، ويونس بن أبي إسحاق، ومسعر بن كدام وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، وإسرائيل بن يونس، وشريك بن عبد الله، وعبد العزيز بن أبي رواد، وزهير بن حازم، وأبي حنيفة وابن أبي ليلى، وشيبان النحوي، وخلق كثيرين.

تلامذته والرواة عنه: روى عنه البخاري كثيرًا وهو من كبار شيوخه، وروى عنه أيضًا أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب، وأبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، ومحمد بن يحيى الذهلي، والدارمي، وعبد بن حميد، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعلي بن عبد العزيز البغوي، وأمم سواهم، وحدث عن عبد الله بن المبارك مع تقدمه، قال: شاركت سفيان الثوري في أكثر من أربعين شيخًا. اهـ. وهذا يدل على تبكيره في السماع.

ثناء العلماء عليه: قال أحمد بن حنبل: أبو نعيم أعلم بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال، ووكيع أفقه.

وقال أيضًا: إذا مات أبو نعيم صار كتابه إمامًا، إذا اختلف الناس في شيء فزعوا إليه، وقال أيضًا: ما رأيت أحفظ من وكيع، وكفاك بعبد الرحمن معرفة وإتقانًا، وما رأيت رجلاً أوزن بقوم من غير محاباة وأشد تثبتًا في أمور الرجال من يحيى بن سعيد، وأبو نعيم فأقل الأربعة خطأً وهو عندي ثقة موضع الحجة في الحديث.

وقال أيضًا عندما سأله الفضل بن زياد: أيجري عندك ابن فضيل مجرى عبيد الله بن موسى ؟ قال: لا، كان ابن فضيل أستر وكان عبيد الله صاحب تخليط، روى أحاديث سوء، قلت: فأبو نعيم يجري مجراهما ؟ قال: لا، أبو نعيم يقظان في الحديث، وقام في الأمر - يعني محنة خلق القرآن - ثم قال: إذا رفعت أبا نعيم من الحديث فليس بشيء.

وقال أيضًا: كان ثقة يقظان في الحديث عارفًا به، ثم قام في أمر الامتحان ما لم يقم غيره عافاه الله، وقال: إنما رفع الله عفان وأبا نعيم بالصدق حتى نوّه

بذكرهما.

قال يحيى بن معين: ما رأيت أحدًا أثبت من رجلين: أبي نعيم وعفان.

قال أحمد بن صالح: ما رأيت محدثًا أصدق من أبي نعيم.

قال يعقوب الفسوي: أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان.

قال أبو حاتم: كان حافظًا متقنًا لم أر من المحدثين من يحفظ ويأتي بالحديث على لفظ واحد لا يغيره سوى قبيصة وأبي نعيم في حديث الثوري، وكان أبو نعيم يحفظ حديث الثوري حفظًا جيدًا - يعني الذي عنده عنه - وثلاثة آلاف وخمسمائة حديث، ويحفظ حديث مسعر وهو خمس مائة حديث وكان لا يلقن.

قال يحيى بن سعيد القطان: إذا وافقني هذا الأحول - يعني أبا نعيم - ما أبالي من خالفني.

قال أبو نعيم: نظر ابن المبارك في كتبي فقال: ما رأيت أصح من كتبك.

قال محمد بن عبد الله بن عمار: أبو نعيم متقن حافظ، إذا روى عن الثقات فحديثه حجة أحج ما يكون.

قال عثمان بن أبي شيبة مرة: حدثنا الأسد، فقيل: من ؟ قال: أبو نعيم.

قال أبو حاتم: سألت عليًا (يعني ابن المديني): مَن أوثق أصحاب الثوري؟ قال: يحيى وعبدالرحمن ووكيع وأبو نعيم.

قال العجلي: ثقة ثبت في الحديث.

قال الذهبي: كان من أئمة هذا الشأن (يعني الحديث) وأثباتهم.

قال ابن حجر: ثقة ثبت.

من أقواله وأحواله: قال أبو نعيم: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر.

قال رحمه الله: ينبغي أن يُكتب هذا الشأن عمن كتب الحديث يوم كتب يدري ما كتب، صدوق مؤتمن عليه يحدث يوم يحدث يدري ما يحدث معنى كلامه؛ أن لا يكتب الحديث إلا عمن يدري معنى ما كتب ومعنى ما يحدث به لا يكون جاهلاً بمعنى ما يكتب ويحدث.

قال: لا ينبغي أن يؤخذ الحديث إلا من حافظ أمين له عارف بالله.

قلت: وهذا معنى ما تقدم من قوله السابق.

قال: عندي عن أمير المؤمنين في الحديث سفيان (يعني الثوري) أربعة آلاف حديث. اهـ.

قلت: هذا يدل على سعة حفظه فهذا شيخ واحد من شيوخه يروي عنه أربعة آلاف فكم يكون الباقي ؟

قال: كثر تعجبي من قول عائشة رضي الله عنها: ذهب الذين يعاش في أكنافهم... لكني أقول:

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا
خَلَفًا في أراذل النَّسناس
في أناس نعدهم من عديد
فإذا فُتشوا فليسوا بناس
كلما جئتُ أبتغي النَّيْلَ منهم
بدروني قبل السؤال بياس
وبكَوْا لي حتى تمنيت أني
منهم قد أَفْلَتُّ رأسًا برأس

قال أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد (يعني ابن حنبل) ويحيى (ابن معين) إلى عبد الرزاق (ابن همام الصنعاني) خادمًا لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين: أريد أن اختبر أبا نعيم، فقال أحمد: لا تُرِدْ فالرجل ثقة، قال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثًا وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم فخرج وجلس على دكان طين (مكان مرتفع) وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ويحيى عن يساره وجلستُ أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي؛ اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث ثم قرأ الحديث الثالث فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى فقال: أمّا هذا - وذراع أحمد بيده - فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا - يريدني - فأقل من أن يفعل ذلك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، وأخرج رجله فرفس يحيى فرمى به من الدكان وقام فدخل داره فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك إنه ثَبْتٌ، قال: والله لرِفْسَتُهُ لي أحب إليّ من سفرتي.

قال أبو العباس السراج عن الكديمي قال: لما دخل أبو نعيم على الوالي ليمتحنه وثَمَّ يونس

وأبو غسان وغيرهما فأول ما امتحن فلان فأجاب ثم عطف على أبي نعيم فقال: قد أجاب هذا فما تقول؟ فقال: والله ما زلت أتهم جدّه بالزندقة ولقد أخبرني يونس بن بكير أنه سمع جده يقول: لا بأس أن يرمي الجمرة بالقوارير، أدركت الكوفة وبها أكثر من سبع مائة شيخ، الأعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله وعنقي أهون من زرّي هذا، فقام إليه أحمد بن يونس فقبل رأسه وكان بينهما شحناء، وقال: جزاك الله من شيخ خيرًا.

قال سبط بن الجوزي في (مرآة الزمان): قال عبد الصمد بن المهتدي: لما دخل المأمون بغداد نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون فنهاهم المأمون وقال: قد اجتمع الناس على إمام فمر أبو نعيم فرأى جنديًا على منكر عظيم فنهاه أبو نعيم بعنف فحمله إلى الوالي فيحمله الوالي إلى المأمون قال: وأُدخلت عليه بُكرةً وهو يُسبح، فقال: توضأ، فتوضأت ثلاثًا ثلاثًا على ما رواه عبد خير عن علي رضي الله عنه فصليت ركعتين، فقال: ما تقول في رجل مات عن أبوين، فقلت: للأم الثلث وما بقي للأب، قال: فإن خلف أبويه وأخاه ؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الأخ، قال: فإن خلف أبوين وأخوين ؟ قلت: للأم السدس وما بقي للأب، قال: في قول الناس كلهم ؟ قلت: لا، إن جدك ابن عباس يا أمير المؤمنين ما حجب الأم عن الثلث إلا بثلاثة إخوة، فقال: يا هذا من نهى مثلك عن الأمر بالمعروف ؟ إنما نهينا أقوامًا يجعلون المعروف منكرًا ثم خرجت.

قال محمد بن عبد الوهاب الفراء: كنا نهاب أبا نعيم أشد من هيبة الأمير.

قال بشر بن عبد الواحد: رأيت أبا نعيم في المنام فقلت: ما فعل الله بك ؟ يعني فيما كان يأخذ على الحديث، فقال: نظر القاضي في أمري فوجدني ذا عيال فعفا عني، قال الذهبي: ثبت عنه أنه كان يأخذ على الحديث شيئًا قليلاً لفقره.

قال عليّ بن خشرم: سمعت أبا نعيم يقول: يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر نفسًا وما في بيتي رغيف. قال الذهبي: لاموه على الأخذ يعني من الإمام لا من الطلبة.

قال الذهبي: وقد كان أبو نعيم ذا دعابة فروى علي بن العباس المقانعي سمعت الحسين بن عمرو العنقزي يقول: دق رجل على أبي نعيم الباب، فقال: من ذا ؟ قال: أنا، قال: من أنا؟ قال: رجل من ولد آدم، فخرج إليه أبو نعيم وقبله وقال: مرحبًا وأهلاً، ما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحدٌ.

قال الذهبي: كان في أبي نعيم تشيع خفيف.

قلت: كان منتشرًا في الكوفة.

وفاته: توفي أبو نعيم رحمه الله بالكوفة ليلة الثلاثاء لانسلاخ شعبان سنة تسع عشرة.

قال الذهبي: توفي أبو نعيم شهيدًا، فإنه طعن في عنقه وظهر به في يده حمرة بسبب الطاعون.

ومما رواه أبو نعيم من الحديث:

روى البخاري عنه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، للصائم فرحتان؛ فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى الله عز وجل، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

وما رواه البخاري عنه عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام قال: كنا جلوسًا مع حذيفة فقيل له: إن رجلاً يرفع الحديث إلى عثمان، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات». والقتات هو النمام.

فوائد من الترجمة:

١- مكانة أبي نعيم في العلم والفضل والصدع بالحق.

٢- لا يؤخذ العلم إلا عمن يفهم ما يكتب وشهد له بذلك العلماء.

٣- يُعرف حال الراوي بالاختبار والسؤال عن حديثه.

٤- الثبات على الحق من أخلاق العلماء فإنهم لا يتلونون.

٥- أهل العلم ينبغي أن يكون لهم المهابة والوقار.

٦- جواز أخذ الأجرة على العلم الشرعي وتعليمه لمن كان محتاجًا.

٧- الطاعون شهادة.

مراجع البحث:

- تاريخ بغداد. - سير أعلام النبلاء.
- تهذيب التهذيب. - تقريب التهذيب.

الإمام القدوة مطرف بن الشخير

إعداد

مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن يزيد بن الحريش بن عامر الحَرَشِيّ العامري البصري.

مولده: ولد في حياة النبي ﷺ.

شيوخه: روى عن أبيه وعلي وعمار وأبي ذر وعثمان وعائشة ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

تلامذته: حدث عنه الحسن البصري وأخوه يزيد بن عبد الله بن الشخير وثابت البناني وقتادة وحميد بن هلال وسعيد الجريري وخلق كثير.

ثناء العلماء عليه:

١- ذكره ابن سعد فقال: روى عن أبي بن كعب وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب.

٢- وقال العجلي: كان ثقة لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين ولم ينج منها بالكوفة إلا خيثمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي.

وقال: بصري ثقة من كبار التابعين رجل صالح.

وقال ابن حجر: ثقة فاضل.

من أحواله وأقواله:

قال مهدي بن ميمون: حدثنا غيلان بن جرير أنه كان بينه وبين رجل كلام فكذب عليه فقال: اللهم إن كان كاذبًا فأمته، فخر ميتًا مكانه، قال: فرفع ذلك إلى زياد فقال: قتلت الرجل، قال: لا ولكنها دعوة وافقت أجلاً.

وعن غيلان أن مطرفًا كان يلبس المطارف والبرانس ويركب الخيل ويغشى السلطان ولكنه إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.

قال مسلمة بن إبراهيم: حدثنا أبو طلحة بشر بن كثير قال: حدثتني امرأة مطرف أنه تزوجها على ثلاثين ألفًا وبغلة وقطيفة وماشطة، وروى مهدي بن ميمون أن غيلان قال: تزوج مطرف امرأة على عشرين ألفًا.

قال الذهبي: كان مطرف له مال وثروة وبزة جميلة ووقع في النفوس، وروى أبو خلدة أن مطرفًا كان يخضب بالصفرة.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق، أنبأنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة قال: كان مطرف بن عبد الله وصاحب له سَرَيَا في ليلة مظلمة فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء فقال: أما إنه لو حدثنا الناس بهذا كذبونا، فقال مطرف المكذب أكذب، يقول: المكذب بنعمة الله أكذب.

عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن مطرف قال: لقيت عليًا رضي الله عنه فقال لي: يا أبا عبد الله ما بطأ بك ؟ أَحُب عثمان ؟ ثم قال: لئن قلت ذاك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب.

وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا عمارة بن زاذان قال: رأيت على مطرف بن الشخير مِطْرَف خز أخذه بأربعة آلاف درهم.

وقال حميد بن هلال: أتت الحرورية مطرف بن عبد الله

يدعون إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما وأمسكت الأخرى فإن كان الذي تقولون هدى أتبعتها الأخرى وإن كان ضلالة هلكت نفسي وبقيت لي نفسي ولكن هي نفس واحدة لا أغرر بها.

قال سليمان بن حرب: كان مطرف مجاب الدعوة.

قال سليمان بن المغيرة: كان مطرف إذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته.

قال مهدي بن ميمون عن غيلان بن حرير قال: حبس السلطان ابن أخي مطرف فلبس مطرف خلقان ثيابه وأخذ عكازًا وقال: استكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي.

أقواله:

كان يقول: الناس على قدر زمانهم.

وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله قال: فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع.

وفي الحلية روى أبو الأشهب عن رجل قال مطرف بن عبد الله لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

وعن ثابت البناني عن مطرف قال: لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة فيقول: يا مطرف ألا فعلت. أحب إلي من أن يقول لم فعلت ؟

جرير بن حازم حدثنا حميد بن هلال قال: قال مطرف بن عبد الله: إنما وجدت العبد ملقى بين ربه وبين الشيطان فإن استشلاه ربه واستنقذه نجا وإن تركه والشيطان ذهب به.

جعفر بن سليمان حدثنا ثابت قال: قال مطرف: لو أخرج قلبي فجعل في يساري وجيء بالخير فجعل في يميني ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئًا حتى يكون الله يضعه.

حماد بن يزيد عن داود بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله قال: ليس لأحد أن يصعد فيلقي نفسه من شاهق ويقول: قدر لي ربي ولكن يحذر ويجتهد ويتقي فإن أصابه شيء علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

وقال أيوب: قال مطرف: لأن آخذ بالثقة في القعود أحب إليَّ من أن التمس فضل الجهاد بالتعزيز.

وعن محمد بن واسع قال: كان مطرف يقول: اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض.

وعن مطرف أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني واكتبها في رقعة فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال.

وقال مهدي بن ميمون: قال مطرف: لقد كاد خوف النار يحول بيني وبين أن أسأل الله الجنة.

قال قتادة: قال مطرف: لأن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أن أُبتلى فأصبر.

روى ابن عساكر بسنده إليه أنه قال: إني لاستلقي من الليل على فراشي فأبتدر القرآن كله فأعرض نفسي على أعمال أهل الجنة فأرى أعمالهم شديدة ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، فلا أرى صفتي منهم، وأعرض نفسي على أعمال أهل النار قالوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ فأرى القوم مكذبين فلا أراني فيهم فأمر بهذه الآية ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.

وقال: يا إخوتاه؛ اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك.

وقال: القبر منزل بين الدنيا والآخرة من نزله بزاد ارتحل منه إلى الآخرة إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

قال: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إليَّ نفسي.

قال: لو أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يخيرني أفي الجنة أنا أم في النار وبين أن أصير ترابًا لاخترت أن أصير ترابًا.

وكان يقول: لو أن رجلاً رأى صيدًا والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه ؟ قالوا: بلى قال: فإن الشيطان هو يرانا ونحن لا نراه وهو يصيب منا.

وقال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خَلط خُلط له.

وقال لابنه: يا بني إن العلم خير من العمل، وإن الحسنة بين السيئتين، وإن خير العمل أوساطه، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، وقال: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ وقال: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾، وقال: خير الأمور أوسطها والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة.

قال الأصمعي: قوله: «الحسنة بين السيئتين» يعني: أن الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة. وقوله: «شر السير الحقحقة» هو أن يلجّ في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعًا به، وهذا مثل ضربه للمجتهد في العبادة حتى يخسر.

وكان يقول: صلاح قلب بصلاح عمل، وصلاح عمل بصلاح نية.

قال: كأن القلوب ليست منا، وكأن هذا الحديث يُعني به غيرنا.

قال: إني إنما وجدت ابن آدم كالشيء الملقى بين الله عز وجل وبين الشيطان فإن أراد الله أن ينعشه اجتره إليه وإن أراد به غير ذلك خلّى بينه وبين عدوه.

قال: إن أقوامًا يزعمون أنهم إن شاءوا دخلوا الجنة وإن شاءوا دخلوا النار فأبعدهم الله إن دخلوا النار (هؤلاء هم القدرية الذين ينفون عن الله التقدير لكل شيء وأن لهم مشيئة مستقلة لا مشيئة لله عليهم)، ثم قال: والله الذي لا إله إلا هو - ثلاثًا مجتهدًا - لا يدخل الجنة عبدٌ أبدًا حتى يدخله الجنة ربه.

قال: إن أقوامًا يزعمون أن الله عز وجل لم يخلق الشر، لشر هو أشر من الشيطان، خلق الله الشيطان وخلق النار وخلق الشر، والشيطان قائد لكل شر حتى يكبه في النار.

قال: نظرت في بُدوِّ هذا الأمر ممن هو ؟ فإذا هو من الله، ونظرت على من تمامه ؟ فإذا تمامه على الله، ونظرت ما ملاكه ؟ فإذا ملاكه الدعاء.

قال: إن الله لم يوكل الناس إلى القدر وإليه يعودون.

قال: ما أوتي رجل بعد الإيمان بالله خير من العقل.

قال قتادة: كان مطرف إذا كانت الفتنة نهى عنها وهرب، وقال مطرف: لبثت في فتنة ابن الزبير تسعًا أو سبعًا ما أُخبرت فيها بخبر ولا استخبرت فيها عن خبر.

قال مطرف: إن من أحب عباد الله إلى الله الصبار الشكور الذي إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

قال ثابت: كان عبد الله بن مطرف بن عبد الله بلغ في الدنيا حتى استعمل فمات فخرج مطرف وعليه ثياب من صالح ما كان يلبس، فقالوا له: يموت عبد الله وتلبس مثل هذه الثياب؟ قال مطرف: أستبكي وقد وعدني الله عليها ثلاث خصال أحب إليَّ من الدنيا كلها ؟ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُم مُّهْتَدُونَ﴾ فقد استرجعت كما أمرني ربي وكل واحدة من هذه الخصال أحب إليَّ من الدنيا كلها.

ذكر له أهل الدنيا فقال: لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

وكان مطرف يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان، ومن شر ما تجري به أقلامهم، وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على خير نزل بي، وأعوذ بك أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحدًا أسعد بما علمته مني، اللهم لا تخزني فإنك بي عالم، اللهم لا تعذبني فإنك عليّ قادر.

قال مطرف: أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا ليس فيه موت.

وفاته: توفي رحمه الله سنة ست وثمانين وقيل غير ذلك في أول ولاية الحجاج.

فوائد الترجمة:

١- الزينة والجمال في الثياب والبدن لا ينافي التقوى والورع.

٢- إجابة الدعاء منوطة بالتقوى والورع.

٣- احرص على نفسك فلا تهلكها بالبدع والشبهات.

٤- العلم أفضل من العبادة بجهل.

٥- الإعجاب بالعمل يفسده.

٦- ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ فهو الذي يوفقك ويهديك لا بقدرتك.

٧- الشكر على النعمة أقرب من الصبر على البلاء وكلاهما من الابتلاء.

المراجع:

تاريخ دمشق - حلية الأولياء - سير أعلام النبلاء - تهذيب التهذيب - تقريب التهذيب.